

ماكس سييك

MAX SEECK

القارئ المُخلص

USKOLLINEN LUKIJA

FAITHFUL READER

مكتبة ٦٢٢

رواية

ترجمت
إلى 36 لغة عالمية
حقوق النشر
التلفزيوني،
Stampede Ventures

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.



ماكس سييك

MAX SEECK

القارئ المخلص

USKOLLINEN LUKIJA

FAITHFUL READER

مكتبة | 622

هدية لـ القارئ المخلص

من وجدني مكتبة شيئاً مما تعنيه الحياة

يتضمن هذا الكتاب ترجمة النسخة الانجليزية عن الأصل الفنلندي

USKOLLINEN LUKIJA

FAITHFUL READER

حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونيًا من المؤلف

Arabic edition published by agreement with Max Seeck and
Elina Ahlback Literary Agency, Helsinki, Finland

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

Copyright © Max Seeck, 2019

Original edition published by Tammi publishers, 2019

All rights reserved

Arabic Copyright © 2019 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى: نيسان/أبريل 2020 م - 1441 هـ

ردمك 7-3048-01-614-978

جميع الحقوق محفوظة للناشر

 facebook.com/ASPARabic

 twitter.com/ASPARabic

 www.aspbooks.com

 asparabic


الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل.
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)

ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان

فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

٢٠٢٠ ١٢ ١٥

مكتبة

t.me/t_pdf

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل.

تصميم الغلاف: علي القهوجي

التضيد وفرز الألوان: أوجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (1-961+)

الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (1-961+)

ماكس سييك

MAX SEECK

القارئ المُخلص

USKOLLINEN LUKIJA

FAITHFUL READER

رواية

مكتبة | 622

ترجمة

ماجد حامد

مراجعة وتحريـر

مركز التعريب والبرمجة



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

اشتدت الرياح، وعصفت بالمنزل الضخم المصنوع من الزجاج والخرسانة، وشيئا فشيئا ازدادت أصوات الطرقات على السطح، هذه الطرقات المكتومة تستحضر إلى الذهن صوت إطلاق النار. كانت السرعة المذهلة التي تختفي بها الكتبان البيضاء المتراكمة في الفناء تُخبر عن قوة العاصفة. عقدت ماريا كوبونين سترتها الصوفية حول خصرها بإحكام، وحدّقت إلى الظلام من خلال النوافذ الممتدة حتى السقف. إنها تحدد إلى البحر المتجمد - الذي يشبه في هذا الوقت من العام حقلا مسطحا شاسعا - ثم حدقت إلى المسار الذي حُفر إلى الرصيف، وأضيء بأنوار فناء يبلغ ارتفاعها ارتفاع الركبة.

غرزت ماريا أصابع قدميها في السجادة الفخمة التي تصل تقريبا إلى جوانب الأرضية. كان المنزل دافئا، مثل الشرنقة. بالرغم من ذلك، شعرت ماريا بعدم الارتياح، فالليلة - وعلى نحو غير معتاد - تُزعجها أبسط الأمور، مثل أنوار الفناء التي لا تعمل كما يجب بالرغم من أنها كلفتها مبلغا كبيرا.

استيقظت ماريا من حلم اليقظة، عندما أدركت أن الموسيقى قد توقفت. سارت بالقرب من الموقد إلى رف الكتب الضخم، حيث ربت مجموعة أسطوانات زوجها المكونة من أربعمئة ألبوم في خمسة صفوف أنيقة. بمرور السنوات، اعتادت ماريا على حقيقة أن الموسيقى في هذا المنزل لا تُشغل من شاشة الهاتف الذكي. "إن صوت أسطوانات الفينيل يبدو أفضل بكثير". هذا ما قاله لها روجر منذ سنوات، عندما توقفت أمام المجموعة للمرة الأولى.

في ذلك الوقت، كان هناك أكثر من ثلاثمئة أسطوانة، أقل بمئة من عددها الآن. إن حقيقة أن عدد الأسطوانات تزيد ببطء، خلال وجودهما معا، جعلتها تفكر في الحياة التي عاشها روجر قبلها. لم تعرف ماريا قبل روجر سوى رجل واحد: قصة

حب في المدرسة الثانوية، أدت إلى زواجها في سن مبكرة، ذلك الزواج الذي انتهى عندما التقت بالكاتب الشهير. بعكس روجر، لم تعش ماريًا بمفردها أبدًا. في بعض الأحيان تمت لو أُتيحت لها الفرصة لتجرب العيش غير المسؤول، ولتجد نفسها، وتعيش مواعيد الليلة الواحدة، أو ما يسمى الحرية.

لم تكن ماريًا منزوعة من حقيقة أن روجر يكبرها بستة عشر عامًا، لكن أفكارها بدأت تلوح في ذهنها: مثل استيقاظها ذات يوم وهي تشعر بعدم الارتياح؛ وهو نوع من عدم الارتياح لن يختفي حتى تغرق في المجهول عدداً كافياً من المرات. كانت لدى روجر بالفعل فرصة لتجربة ذلك في ما مضى من حياته. الآن، ومن دون سابق إنذار تقضي ماريًا هذه الليلة الشباطية العاصفة بالتمشي بمفردها في أرجاء منزلها الساحلي الضخم، وهذا ما ترى فيه للمرة الأولى تهديداً؛ إنه خلل في التوازن قد يدفع بسفينة علاقتهما لانجراف خطر إلى عين عاصفة حقيقية.

رفعت ماريًا إبرة مشغل الأسطوانات، وحملت أسطوانة بين أناملها لتضعها بعناية في غلافها المصنوع من الورق المقوى الذي طُبعت عليه صورة فنان شاب يرتدي سترة من جلد الغزال البني ووشاحاً ذا مربعات بالأبيض والأسود، وينظر مباشرة إلى الكاميرا، بدا واثقاً ومطمئناً. إنها أسطوانة بوب ديلان "شقران على شقران".

أعدت ماريًا الأسطوانة إلى مكانها، واختارت بعشوائية أسطوانة أخرى من آخر المجموعة المنظمة أبجدياً. بعد لحظة، وبعد فرقة قصيرة، كان صوت ستيفي وندر، العاشق والعاطفي، يتردد عبر مكبرات الصوت.

رأته ماريًا مرة أخرى، هذا المرة من زاوية عينيها. انطفأ ضوء الفناء الأقرب إلى الشاطئ لجزء من الثانية، ثم عاد مرة أخرى. أظلم المكان لجزء من الثانية، تماماً كما حدث قبل برهة. تعلم ماريًا أن عناصر الإضاءة التي تتوهج داخل الحامل استبدلت قبل الكرسمس، إنها تتذكر ذلك جيداً، لأنها هي التي دفعت فاتورة الكهرباء، ولهذا السبب، استفزتها كثيراً هذه المسألة التافهة.

التقطت ماريًا هاتفها، وكتبت رسالة إلى روجر. إنها غير متأكدة من السبب الذي جعلها تُزعج زوجها بمثل هذه المسألة، خاصة وأنها تعرف أنه على خشبة

المسرح، يخاطب قراءه في هذه اللحظة بالذات، ربما كان السبب شعورا عابرا بالوحدة، ممزوجة بدفقة من الريبة والغيرة غير المبررتين. للحظة راقبت ماريا الرسالة التي أرسلتها، في انتظار تحول السهمين الصغيرين عند الحافة السفلية إلى اللون الأزرق، لكن ذلك لم يحصل، يبدو أن روجر لا يتفحص هاتفه في هذه الأثناء.

في تلك اللحظة، علقت الأسطوانة: "ما أنا على وشك القيام به. ما أنا على وشك. ما أنا...". إن بعض أسطوانات روجر في حالة سيئة لدرجة أنها لا تستحق الاحتفاظ بها. "ألا يوجد شيء يعمل في هذا المنزل الملعون؟".

شعرت ماريا بالقشعريرة، قبل أن يتوفر لها الوقت لفهم ما أدركته للتو، نظرت إلى الأبواب المنزلة، ورأت شيئا لا ينتمي إلى المكان. للحظة، تتوافق الخطوط مع نظراتها، ولكن بعد ذلك يتحرك الشيء، ويتحول إلى كيان خاص متميز.

مكتبة
t.me/t_pdf

2

جلس روجر كوبونين على الكرسي المنجد بنسيج خشن يحفز على التعرق، وحدّق. كانت الأضواء المعلقة بسقف القاعة الرئيسة لمركز المؤتمرات تلمع مباشرة في أعين الجالسين على المسرح. للحظة لم ير سوى الضوء الذي أعمى عينيه، نسي أنه يجلس أمامه هو وزميليّه المؤلفين أربعمئة من القراء الفضوليين الذين ازدحموا في هذه القاعة للاستماع إلى أفكارهم المفضلة حول أحدث أعمالهم.

أدرك روجر أن هذا الحدث مهم للترويج لكتابه، إنه يتفهم السبب الذي يدفعه لقيادة سيارته مسافة أربعمئة كيلومتر في الثلوج الكثيفة لقضاء الليل في القاعة التي بُنيت في ساحة سافونيلينا الرئيسة، ولكنه لا يفهم سبب مجيء سكان سافونيلينا الطيبين في مثل هذه الليلة.

بالرغم من أن كتبه بيعت بملايين النسخ في جميع أنحاء العالم، إلا أنه لم يشعر بحب الجمهور كما هي حال نجوم الغناء والموسيقا الذين لا يكف المعجبون بهم عن التعبير عن مشاعرهم تجاههم من خلال الصراخ. قليلون هم الذين يعتقدون أن أعمال الموسيقيين والمؤلفين متشابهة للغاية - نفس القرف، معبأ بشكل مختلف - ولكن الموسيقيين فقط هم من يلهمون النساء في منتصف العمر لإلقاء سراويلهن الداخلية على المسرح، ومع ذلك فالناس ما زالوا يأتون، كانت الغالبية العظمى من كبار السن، يميلون رؤوسهم ببطء إلى جانب ثم إلى الجانب الآخر. أليسوا متعبين من التفاهات السطحية التي يحللها المؤلفون عن أعمالهم بأسلوب المعلقين الرياضيين؟ لا يبدو الأمر كذلك، لأن المكان يبدو ممتلئاً، فما من مقعد شاغر. كانت آخر روايات روجر السيكلولوجية المثيرة، التي أُطلقت في الربيع الماضي، هي الجزء الثالث والأخير من ثلاثيته ذات الشعبية الكبيرة حول مطاردة الساحرات.

لطالما حققت كتبه مبيعاتٍ جيدة نسبياً، ولكن سلسلة مطاردة الساحرات حققت نتائج باهرة. لم يتوقع أحد هذا القدر من النجاح الهائل، بمن فيهم وكيله الأدبي وناشره السابق، الذي شكك في الأصل بالمشروع بأكمله. إن عدم ثقة الناشر باحتمال نجاح الثلاثية هو ما حمل روجر إلى الانفصال عنه مباشرة قبل نشر الجزء الأول من الثلاثية. لكن في غضون سنوات، بيعت حقوق ترجمة الثلاثية إلى ثلاثين لغة، وهناك المزيد من الصفقات القادمة. بالرغم من أن وضعه المادي هو وماريا كان جيداً من قبل، إلا أنهما يستطيعان شراء ما يريدانه الآن. فجأة أصبحت جميع الكماليات والمتع في متناول اليد.

مضت الأمسية بشكل متوقع؛ لقد سمع روجر الأسئلة نفسها مئات المرات خلال رحلاته الترويجية، وأجاب عنها بأربع لغات مختلفة، وعدّل بشكل متقطع إيقاعه ونغمته وبعض التفاصيل البسيطة حتى يُبقي نفسه مستيقظاً وسط ضباب الأضواء الساطعة والضحك الإجابي.

قال أحدهم: "كتبك عنيفة جداً". لكن روجر لم ينظر أعلى من الإبريق الذي يستخدمه لملء كوب الماء للمرة الثالثة أو الرابعة. لطالما سمع هذا الرأي، وهو لا ينكر العنف في كتبه: فجرائم القتل الوحشية، والتعذيب السادي، والعنف الجنسي الموجه ضد النساء، والغوص المرعب في فساد العقول المريضة موصوفة في أعمال روجر كوبونين بالتفصيل.

تابع الشخص: "إن هذا يذكرني ببريت إيستون إليس⁽¹⁾، الذي قال إنه يُنقّس عن غضبه عن طريق كتابة صور مفصلة للعنف". نظر روجر إلى الشخص الجالس في وسط القاعة، رفع الكأس إلى شفثيه حاملاً الميكروفون بيده منتظراً أن يطرح الرجل سؤاله، وبدلاً من ذلك، كانت هناك وقفة طويلة مربكة، لأن الرجل عمل على ترتيب أفكاره، قبل أن يسأل بصوت واهن: "هل أنت خائف؟ هل خوفك هو دافعك إلى الكتابة؟".

(1) بريت إيستون إليس، كاتب، وسيناريس، وروائي، وصحفي أميركي من مواليد لوس أنجلوس من مؤلفاته مختل أميركي (المترجم)

وضع روجر الكأس الزجاجية من يده، وألقى نظرة فاحصة على الرجل الأصلع الذي بدا مثل الفزاعة، مدهشا ومثيرا للاهتمام، لم يسبق لأحد أن طرح عليه مثل هذا السؤال.

انحنى روجر إلى الأمام، وقرب فمه من الميكروفون المرن المثبت على الطاولة. لسبب ما، شعر بالجوع في هذه اللحظة. وبدوره كرر سؤال الرجل: "هل أنا خائف؟". سأله الرجل موضحا: "هل كتبت مخاوفك في كتبك؟". ثم أخفض الميكروفون إلى حضنه، إن هناك غرابة مزعجة في هذا الرجل، ليست هناك أية إشارة إلى الاحترام، ولا يبدو أن الرجل يشعر برهبة التحدث إلى رجل مشهور.

أجاب روجر: "صحيح". وابتسم مفكرا بعمق. نسي للحظة الشخص الذي طرح السؤال، وسمح لعينيه بالتجول عبر بحر الوجوه. "أعتقد أن شيئا ما من المؤلف يجد دائما طريقه إلى العمل، لا يمكنك إلا أن تكتب عما تعرفه أو تعتقد أنك تعرفه. المخاوف والأمل والصدمات، والأمور التي لم تُنه، إضافة إلى الأشياء التي قمت بها وبررت لنفسك القيام بها بسهولة...".

رفع الرجل الهزيل الميكروفون إلى شفثيه مرة أخرى وقال: "أنت لم تُجب عن سؤالي".

في البدء شعر روجر بالدهشة ثم انتابه الغضب، ما هذا؟! استجاب لعين؟ لست مضطرا للاستماع إلى هذا القرف، بغض النظر عن الظروف.

هنا تدخل بيف كوسكينين وسأله: "هل يمكنك أن تكون أكثر تحديدا؟". كوسكينين هو الناقد المخضرم الذي نظّم هذا الحدث ويشرف على إدارته، إنه يظن أنه أدى دوره بمهارة وذوق، وهو يخشى الآن أن يتخذ ضيفه النجم، كاتب الإثارة المشهور الذي كتب ثلاثة من أكثر الكتب مبيعا على مستوى العالم، موقفا هجوميا، لكن روجر رفع يده إلى الهواء مهدئا وابتسم بثقة: "أعتذر. ربما لم أفهم السؤال. أتقصد أنني أكتب عن أكثر مخاوفي؟".

"لا. العكس هو الصحيح". قال الرجل بنبرة باردة على نحو غير عادي. في تلك الأثناء انتابت موجة سعال عنيفة شخصا في الصف الأمامي.

أخفى روجر ارتبائه خلف ابتسامة غبية: "العكس هو الصحيح؟!".

"نعم سيد روجر كوبونين". استمر الرجل بالتكلم بطريقة آلية، لم يلفظ اسم روجر بسخرية فقط، بل بطريقة غامضة تقشعرُّ لها الأبدان: "هل أنت خائف مما تكتبه؟".

"لماذا أخاف مما أكتبه؟".

ردّ الرجل ذو الوجه الرفيع قائلا: "لأن الحقيقة أغرب من الخيال". وتراجع ليجلس في مقعده، عندها خيّم صمت محرج على القاعة.

بعد عشر دقائق، جلس روجر إلى طاولة طويلة مغطاة بملاءة بيضاء في البهو، الذي كان ينبض بالناس والدردشات. كان بييف كوسكينين أول المعجبين في صف أولئك الذين يأملون الحصول على توقيعه.

"شكرا روجر. شكرا. أنا آسف بخصوص ذلك الرجل الأحمق. لقد تعاملت مع الوضع بشكل جميل. لسوء الحظ، لا يملك الجميع المهارات الاجتماعية...". ابتسم روجر: "لا تقلق، يا بييف. هناك واحد من هؤلاء ضمن كل حشد من الناس. في هذا العالم كل شخص مسؤول عن سلوكه".

لاحظ أن بييف قد وضع الأجزاء الثلاثة على الطاولة لتوقيعها، بينما كان يكتب بعجلة شيئا ما يبدو شخصا مع اسمه في الصفحة الأولى، ألقى نظرة على الخط الملتوي أمامه، ولاحظ بصمت أن الرجل غريب الأطوار، ذا الوجه الرفيع ليس في الأفق. لحسن الحظ، لن يكون مضطرا لمواجهة استفزازه وجها لوجه بالدبلوماسية نفسها.

"شكرا لك، روجر. شكرا لك. لدينا طاولة محجوزة في مطعم الفندق عند التاسعة. إنهم يصنعون طبقا لذيذا من لحم الضأن". ابتسم بييف، ووقف أمام روجر، واضعا الكتب على صدره مثل تلميذة شغوفة.

هزّ روجر رأسه ببطء، وعاد لينظر إلى الطاولة، مثل سجين تلقى للتو عقوبته. يجب ألا يكون من الصعب على بييف إدراك أن روجر يفضل أن ينسحب إلى غرفته، لقد أصبح يحتقر الدردشة المبتذلة، وشرب النبيذ قسريا حتى يوشك على

الترنح، فهو يعلم أن هذه الأمور لا تزيد من مبيعات كتبه، لذا يمكنه بسهولة رفض الدعوة، وجعل نفسه يوصف بالأحمق غير الاجتماعي.

قال روجر: "يبدو هذا رائعا". وحرك عضلات وجهه بما يشبه الابتسامة، فأوماً ييف برضى، كاشفاً عن أسنان بيضاء تقريبا بفضل التيجان الجديدة. لم يبدُ واثقا من نفسه.

ثم تنحى جانبا، مفسحا الطريق أمام حشد القراء.

3

ربطت المحققة جيسيكا نيمي شعرها الأسود الذي يصل إلى كتفها على شكل ذيل حصان، ووضعت في يديها زوجا من القفازات الجلدية. سمعت إشارة صوتية عالية وهي تفتح باب الراكب؛ كان المحرك لا يزال يعمل.
"شكرا على التوصيلة".

تثاءب الرجل الذي يجلس خلف المقود: "ربما من الأفضل ألا يعرف أحد من الذي أوصلك".

تبادلوا النظرات لبرهة، كما لو أن كلا واحد منهما يتوقع قبلة، ولكن لم يبادر أي منهما إلى الخطوة الأولى.
"كان ذلك خاطئا للغاية".

خرجت جيسيكا من السيارة، وضيقت عينها، عندما لفحت الرياح المثلجة وجهها. لقد تساقط الثلج بكثافة، ولم تصل الجرافات إلى الواجهة المائية بعد. أغلقت جيسيكا باب السيارة، ورأت أمامها منزلا كبيرا، عصريا يلوح في الأفق. كان هناك فناء أمامي مزدحم، يحيط به سياج من أشجار الزينة التي سُذبت بعناية، وبوابة من الحديد. رُكنت سيارتان في الشارع أمام الفناء، وعندما تناهت إلى سمعها أصوات صفارات إنذار بعيدة، علمت أن هناك مزيدا من السيارات في طريقها إلى هنا.

"مرحبا". تقدم شرطي يرتدي معظفا أزرق ثقيلًا من خلف إحدى السيارتين نحو جيسيكا مقدما نفسه: "العنصر كوفيوهاو"

"جيسيكا نيمي". وأظهرت شارتها، لكن زملاءها الذين يرتدون الزي الرسمي تعرفوا إليها بالفعل.

سألت جيسيكا: "ماذا حدث؟".

"اللعنة...".

خلع كويفو هو قبعته ذات اللون الأزرق السماوي وفرك رأسه الأصلع. انتظرت جيسيكا بصبر حتى يتمالك العنصر نفسه، وأخذت تنظر إلى المنزل لترى أن الباب الأمامي كان مفتوحا بشكل جزئي.

"تلقينا مكالمة هاتفية عند الساعة 10:15. لقد كنا أنا وتاسكينين قريبين جدا، لذلك كنا أول دورية تصل". أشار كويفو هو إلى جيسيكا لتتبعه عبر البوابة، في حين كان العناصر ينتظرون بالقرب من سيارة الشرطة.

"ماذا قال مركز الإرسال؟".

قال كويفو هو في أثناء صعودهما إلى الشرفة: "أخبرونا أن هناك تهديدا انتحاريا في هذا العنوان". تشكلت بركة نتيجة ذوبان بعض الثلج عند زاوية المدخل، همدت الرياح لثانية، واستمر كويفو هو: "كان الباب مفتوحا، لذلك دخلنا".

الآن فقط، تحت ضوء الشرفة، رأت جيسيكا عمق الخوف في عيني الرجل القوي. ضمت أصابعها التي تؤلمها قبل أن تعيد فتحها، وبدأت تسمح لعقلها بتشكيل صورة للموقف بناء على القليل الذي قيل لها قبل لحظة على الهاتف.

سألت، بالرغم من أنها تعرف الإجابة: "ما من أحد آخر داخل المنزل؟".

هزّ كويفو هو رأسه بجديّة، وأعاد وضع قبعته الصوفية، وسحبها إلى أذنيه. "لقد فحصنا الطابقين. لا بد لي من القول، إن قلبي لم يدق من قبل بهذا العنف، إضافة إلى ذلك، فقد صدرت موسيقا لعينة من مكبرات الصوت".

"موسيقى؟".

"كانت...، غير مناسبة للوضع... ناعمة جدا".

سلم كويفو هو جيسيكا عتاد الوقاية الأساسي: قفازات، قناع الوجه، زوج من أغطية الأحذية الذي يستعمل لمرة واحدة. انحنى لتزلق الأغطية البلاستيكية الزرقاء فوق حذائها الرياضي الأسود. انزلق قِراب سلاحها قليلا نحو الأرض.

"أين الجثة؟".

أجابه كويفو اهو: "حاولنا ترك المكان من دون أن نعبث به". ثم سعل في قبضته.

حرّكت جيسيكا خصلة من الشعر الرطب عن جبينها، ومشت باتجاه النافذة المطلة على البحر. مرت بالمطبخ، ودخلت غرفة الجلوس، حيث كانت جميع الجدران زجاجية. جعلت أضواء الطوارئ التي تلمع عبر ألواح الزجاج الهائلة الأثاث ينبض باللون الأزرق بشكل متزامن مع نبضات قلبها. بدت الغرفة كحوض أسماك أكثر من كونها غرفة مريحة، ولكن عندما رأت جيسيكا الجسم الجالس عند رأس الطاولة، توقفت فجأة عن تقييم الأبعاد الجمالية للغرفة.

توقفت جيسيكا قليلا، وحاولت معرفة السبب الذي جعل المرأة الجالسة في وضع مستقيم تقريبا على كرسيها تبدو غير طبيعية بشكل لا يصدق. خطت عدة خطوات مقتربة منها.

من مكان ما وراء جيسيكا، سأل كويفو اهو: "هل رأيت شيئا مخيفا إلى هذه الدرجة؟!".

لكنها لم تسمع السؤال، أظهر وجه المرأة الملتوي ضحكة، وبدت عيناها ضاحكتين هما الآخران، لم تُظهر ملامح المرأة أنها ماتت منذ قليل، إنها ترتدي فستانا أسود اللون، وأبرز ما يميز هذا الفستان فتحة صدره الكبيرة، يداها متشابكتان ومُسندتان إلى الطاولة. لم يكن هناك هاتف، ولا سلاح، ولا أي شيء.

قال كويفو اهو: "لقد شعرت بنبض. ولم أشعر بأي شيء آخر".

التفتت جيسيكا نحوها، ثم اقتربت منها بحذر، ومالت لتفحص وجهها الذي بدا غير طبيعي على نحو جلي.

همست جيسيكا بصوت خافت لم يستطع أحد سماعه: "ما هذا بحق الجحيم؟... لم يكن باستطاعة أحد سماع صوتها الخافت سوى المرأة التي أمامها لو لم تكن ميتة. نظرت جيسيكا نظرة خاطفة إلى الأسفل، وانتهت بسرعة إلى أن القدمين الحافيتين كانتا متشابكتين أسفل الكرسي، وكانت أظفار يديها وقدميها مطلية باللون الأسود اللامع.

أخيرا قالت: "كويفو اهو!".

وهي تنظر إلى وجه المرأة المفعم بالنشوة التي كانت مجبرة عليها.
"نعم؟".

"لقد ادعيت أن هذه جريمة قتل. مع أن هذه الحالة لا تبدو حالة انتحار عادية،
إنها...".
"تبا".

ازدرد كويفو اهو لعابه، وتقدم خطوات نحو الطاولة. انسالت نقطة من العرق
على جبينه المتجدد، ثم تابعت طريقها خلف أذنه، واختفت بين عنقه السمينة وياقة
معطفه. بدا جليا أنه يحاول تجنب النظر إلى المرأة.

أردف بتردد: "ألم يخبروكِ بالأمر؟ كان الاتصال برقم الطوارئ...".
كادت جيسيكا أن تفقد صبرها: "نعم؟".

توقف كويفو اهو لثوانٍ معدودة ليلعق شفثيه الجافتين. كانت جيسيكا تعرف ما
سيقول، ولكن مع ذلك فإن سماع الأمر أشعرها بالقشعريرة.
"لقد كان المتصل رجلا".

ارتشف روجر كوبونين ما بقي من شراب في كأسه، وتلمظ من دون أن يشعر بأي طعم للتفاح أو الإجااص. يا له من مشروب سيئ! لكن الوجبة كانت مفاجأة سارة، لا يُعزى الفضل بها إلى المنظمين بل إلى إليزا، مديرة المكتبة المحلية؛ المرأة الثلاثينية، الجذابة، التي عززت جاذبيتها من خلال وجهها الجميل وضحكتها الرائعة. لقد ذكرت منذ قليل كيف نسي حبيبها السابق مفاتيح الشقة في الطابق الثالث، وكيف تسلقا عن طريق ترتيبهما لأثاث الحديقة فوق بعضه. و... و... و... الخ. من يهتم؟

استرق روجر النظر خلسة إلى شفيتها البضتين اللامعتين وهما تكوّنان الكلمات من دون أن يصغي إلى القصة التي تخبرها إليزا. خلاصة القصة أن حبيبها الذي تذكره في القصة، أصبح يحمل بقرار منه أو بقرار منها وربما بقرارهما المشترك لقب حبيبها السابق.

نظرت إليزا إلى روجر بالطريقة نفسها التي تنظر بها العازبات اللواتي بعمرها ممّن يجدن أنفسهن حائرات بين توقهن إلى الأمومة، وحفاظهن على أجسادهن وشبابهن الدائم.

أصغى روجر إليها باهتمام، لم يكن في شبابه من الشبان الذين تهيم بهم الفتيات، بل كان على العكس من ذلك تماما، فعلاقاته في مرحلة المراهقة كانت مثيرة للشفقة، ولم تصبح أموره جيدة مع الجنس الناعم إلا بعد مرور عقدين من الزمن.

في شبابه، كان روجر مختلفا وغريب الأطوار بالنسبة إلى الفتيات ممن هن في مثل سنه، ولم تظهر جاذبيته وثقته بنفسه قبل أن يبلغ العقد الرابع من العمر، في الوقت الحالي بدأ روجر يتقبل فكرة أن المرأة الجالسة قبالة تغمز له، وليس إلى

شبيه شيا لابوف⁽¹⁾ الذي يقف خلفه. عندها سكب المزيد من الشراب.

جلب العمر لروجر النجاح، والمال، والثقة بالنفس، بشكل أفضل من كل أنواع الكاريزما التي لا تحصل عليها من خلال التسمير، وعضلات المعدة المشدودة، والشعر الكثيف. أخيراً، وجد ما يفضله من النساء اللواتي دائماً ما يحصل عليهن. في النهاية، انضمت ماريا إلى النادي السعيد، وما من شك في أن إليزا مديرة المكتبة ستنضم هي الأخرى إلى هذا النادي.

سألته إليزا ضاحكة: "هل أنا الوحيدة التي لم تقرأ سلسلة *مطاردة الساحرات* بعد؟". عندها ضحك المتملقون الجالسون حول الطاولة ولم يوافقوها الرأي. ارتشفت إليزا من كأس نبيذها، ونظرت إلى روجر نظرة إغراء من خلف كأسها، عندها هزّ كتفيه كما لو أن أحدهم مرر قطعة ثلج خلف رأسه.

وجد روجر طريقتهما الجريئة في مغالته جذابة جداً، شعر بشيء من الانتصاب، رأى أن عليه التوجه إلى دورة المياه، وكان واثقاً من أن إليزا ستلحق به. سيصطحبها في جولة قبل أن ينتهي بهما المطاف في سرير غرفته الصغيرة في الفندق، ولن يكون عندها مضطراً للبحث عن شيء عميق ليتناقشا حوله.

قال بييف كوسكينين: "أنتِ من القلائل يا إليزا". وكانت المثلجات تقطر من ملعقته إلى الطبق، وتابع: "أظن أن الجميع قرؤوا السلسلة، حتى أولئك الذين لا يقرؤون عادة الروايات البوليسية".

أعاد روجر الكأس إلى الطاولة، وابتسم في وجه بييف، وهو واثق بأن ابتسامته الزائفة عاجزة عن إخفاء قرفه، لقد تخلى العجوز اللعين عما بقي له من كرامة عندما كرس نفسه للتملق.

لمست إليزا زاوية فمها بالمنديل وقالت: "إنني ذاهبة لإصلاح تبرجي". قبل أن تقف وكأن العُرف الاجتماعي يلزمها بذلك، لاحقتها عينا روجر وهي تبتعد عن الطاولة بكعبها العالي، وعندما مرت بجانب روجر، مسّت ظهره بخفاء، لم تكن بادرة ضرورية، فاللعبة مكشوفة.

(1) ممثل ومخرج أميركي (المترجم).

نظر روجر لدقيقة إلى الأشخاص الجالسين إلى الطاولة، ولاحظ أن بييف كان يحدق إلى إليزا، فقال في سره: "لا يزال لديك بعض النبض يا بييف"، مروراً بصبعه على حافة كأسه، وفكر في الخطوة التالية. لقد مرت أشهر ستة على آخر مرة أقام فيها علاقة مع امرأة غير ماريّا، وقتها عقد العزم على ألا يخون ماريّا مرة أخرى، خصوصاً إن كانت إمكانية معرفة ماريّا بالأمر كبيرة ولم تكن المغريات كبيرة أيضاً. في حالة إليزا كانت كفتا الميزان متعادلتين، لقد أثارت رغبة إليزا اهتمامه، وخلال العشاء تبين له أن علاقته بها ستكون عابرة، فهو لا يحتاج إلا إلى دقائق قليلة برفقتها.

دفع روجر كرسيه إلى الخلف، تنهد بشكل ملحوظ، ووقف. نظر إلى ساعة هاتفه، ولاحظ أنه تلقى ثلاث مكالمات من رقم غير معروف ورسالة واتساب من ماريّا منذ ساعتين. *إن أضواء الفناء لا تعمل!* وتحتها رمز تعبيرى يبكي، ورمز الوجه البرتقالي الغاضب.

شعر روجر بإحساس أوجعه في الصميم. إنه يشعر بتأنيب الضمير النابع من تصرفاته، وهو ما لا يخفف من وطأة أفعاله المشينة.

فجأة أدرك روجر أنه لم يكن من الصواب الالتزام مع ماريّا، لأنه لم يكن يرغب في الالتزام بأية علاقة مع أية أنثى، بالرغم من معرفته أن أي رجل بعمره، قد يضحي بإحدى كليتيه ويبيعها لقاء البقاء بالقرب من امرأة مثل ماريّا. بالرغم من معرفته هذه، إلا أنه يجد نفسه الآن ساعياً وراء إليزا.

لا تقلقي سوف أهتم بأمرها غداً.

انتظر روجر لحظة ليرى ما إن كانت ماريّا ستقرأ الرسالة، لكنه عندما رأى أنها لم تقرأها، أعاد الهاتف إلى جيبه.

"أستأذنكم". لم يقل أكثر من ذلك، وابتعد.

عندما غادر غرفة العشاء الخاصة، سمعهم يتحدثون عن جمال الأمسية، وتأكدهم من أن روجر يعتبرها ناجحة. مرّ بغرف العشاء الخاصة الأخرى الفارغة، متجهاً إلى دورات المياه، ماراً بجوار مكتب الاستقبال. أوماً برأسه لعاملة الاستقبال التي كانت تتحدث عبر الهاتف عندها.

لمح باب دورات المياه الخاصة بالنساء، وكان نصف مفتوح. بدأ قلبه يدق بسرعة، وتخيّل بسرعة كيف سيرفع الرداء الأسود والأبيض ساحبا السروال إلى الأسفل، دافعا بنفسه داخل المرأة الشابة، واضعا يده على فمها ليمنعها من إثارة فضول من هنّ في دورة المياه.

بينما كان يقترب من مقبض الباب، سمع صوتا من خلفه فتوقف مكانه، مثل مراهق يغادر منزله خفية للذهاب إلى حفلة، وفجأة تضبطه أمه بصوتها الغاضب. لكن نبرة هذا الصوت لم تكن غاضبة، بل كانت أشبه بنبرة شخص متأسف؛ إنه صوت عاملة مكتب الاستقبال.

قالت من مسافة آمنة: "لو سمحت. هل أنت روجر كوبونين؟".

ردّ روجر: "نعم". متسائلا عما إن كان بإمكانه الادعاء أنه أخطأ في دورة المياه التي يجب عليه دخولها.
"هناك اتصال لك".

لاحظ روجر أن عاملة مكتب الاستقبال بدت قلقة. اتصال؟ توقيت رائع. وقبل أن يقول شيئا، تابعت: "إنها الشرطة".
"نعم؟!".

سأل روجر بلوّم فهو يشعر بمزيج من المفاجأة وخيبة الأمل، لا سيما عندما سمع طرقات حذاء إليزا وهي تغادر دورة المياه.
"الشرطة على الهاتف ويقولون إن شخصا من قبلهم قادم إلى هنا".
"ما...".

"إنها زوجتك. الموضوع يخص زوجتك".

5

بدلت جيسिका نيمي زوج القفاز الأسود الجلدي، بزوج مصنوع من المطاط الرقيق. وبينما كانت تسوي التجاعيد على سطح القفاز، تذكرت كلمات رئيسها إرني تنساب في عقلها: القفازات تحمي الدليل من المحقق، لكنها تحمي المحقق من الدليل أيضا، ولاحظت أن هذه الكلمات تناسب الوضع الذي وجدت نفسها فيه، فمن المستحيل تحديد سبب موت هذه المرأة من خلال الفحص النظري فقط، إذ ليس هناك من جروح خارجية، ولا آثار خنق، أو أية دلائل أخرى. الطاولة -أو بالأحرى الغرفة بأكملها- قد تكون ملوثة بنوع من السم الخفي.

قال يوسف ببيل: "الأدلة الجنائية هنا". يوسف هو أحد المحققين ذوي الرتبة في فريق التحقيق.

استدارت جيسिका نحو يوسف، وهزت رأسها عند الباب الأمامي المفتوح، لم تستطع رؤية الطريق، لكنها استطاعت أن تسمع صوت المحرك، والباب الجانبي للفناء الصغير يُغلق.

إنها تعمل قبل يوسف بسنوات، ولهذا كانت أكثر خبرة منه. إنه رجل رياضي كبير العينين، وينحدر من أثيوبيا، هذا لا يعني أنه مهتم بذلك البلد: وُلد في سوديركولا وترعرع فيها، وكان في مكان مثالي في هلسنكي في ضواحي سييو. إن سلوكه ينم بشكل واضح عن سلوك ابن الريف الشهم.

سألته وهي تغمض عينيها: "هل تواصلت مع الزوج؟". جعلت الرياح المنزل الكبير يتأوه، يبدو أن الرياح تسعى لإخبار قصتها عما حدث.

"تواصلت شرطة سافونلينا معه. أحدهم يتجه إلى الفندق حيث هو، في حين أننا..."

رَنّ الهاتف، وقاطع يوسف. فتحت جيسيكا عينيها لتبحث في الغرفة، وتمتت "أين هو؟". رأت يوسف يقترُب من الأريكة في الجهة المقابلة من الغرفة.

"إنه بجانب جهاز التحكم، لقد انزلق بين الوسائد..."
قالت جيسيكا: "انتظر!". وبدأت متجهمة بطريقة عفوية. مشت بخطوات كبيرة. إن جهاز الآيفون على الأريكة يصدر لحنا مألوفاً نوعاً ما، وهو يُظهر صورة رجل على الشاشة كُتب روجر أسفلها وبجانبه قلب.

"روجر؟". قالت جيسيكا، وهي تأخذ الهاتف: "روجر. روجر كوبونين".
"إنه يبدو مألوفاً جداً..."

سألته جيسيكا باقتضاب وهي تنظر إلى الأرض: "هل أنت قليل المطالعة؟".
نظر يوسف بعناية إلى صورة الرجل المبتسم الظاهرة على الشاشة قبل أن يعرف من هو. أزالَت جيسيكا قناعها، وأزالَت قفاز يدها اليمنى، وضغطت بِرُجمة سبابتها. ثم شغلت مكبر الصوت.
"آلو؟".

بعد قليل من الصمت، ردّ صوت واثق، لكنه خائف وقال: "ماريا؟".
سألت جيسيكا: "روجر كوبونين؟". واقتربت من الشاشة.
"من المتكلم؟".

"أنا النقيب جيسيكا نيمي من شرطة هلسنكي". توقفت جيسيكا لبرهة. لم يقل الرجل شيئاً، لكن جيسيكا توقعت من نبرة صوته وتردده أنه أعلم بالأخبار، وأردفت: "أنا آسفة".

لم يكن صوت روجر كوبونين متقطعاً، ولكن لم يكن فيه إيقاع عندما سألها:
"لكن... ماذا حدث؟".

"أنا آسفة، لكن من الأفضل أن تأتي إلى المنزل".

شعرت جيسيكا بتشنج في عنقها من شدة التعاطف، لم تختبر الكثير من هذا النوع من الأحاديث خلال مسيرة عملها، فهي لم تخبر سوى مرات قليلة

الأشخاصَ عما أصاب أحبتهم. ولكن عدد المرات لم يكن ليغير من حقيقة الأمر، فقد سبق لزملائها أن أخبروها أن تكرر مثل هذا العمل لن يجعل منه أمرا سهلا، كيف تقول لشخص ما أكثر الكلمات التي يهابها في العالم؟ لثانية، تذكرت جيسيكا كيف سمعت هذه الأخبار للمرة الأولى وما مصدرها.

ربما كانت من أحد أطباء الطوارئ؟ أو من عمته تينا؟

ازدردت جيسيكا لعابها لتبلل حنجرتها الجافة، وكانت على وشك أن تتكلم مرة أخرى عندما أنهى كوبونين المكالمة.

توقفت الرياح في اللحظة المناسبة، وللحظة كان بإمكانها ويوسف سماع المحققين وهم يتكلمون خارج المنزل بشكل واضح.

سألت جيسيكا من دون أن تُبعد نظرها عن شاشة الهاتف: "هل قلت إن الزوج في سافونلينا؟".

أصبحت شاشة الهاتف سوداء. حاولت جيسيكا إعادة تشغيل الهاتف، لكن محاولاتها باءت بالفشل، لأنه طُلب إليها كلمة سرّ الهاتف.

فجأة أصبح الهاتف قطعة من الحديد الأسود، عديم الفائدة.

"هذا ما قيل لي".

تمتت جيسيكا مرة أخرى: "تبا". هذا جعل زميلها في العمل يركز سمعه. "ما هذه القضية؟".

زوجة الكاتب الأول في فنلندا، كاتب الروايات البوليسية؛ روجر كوبونين، ماتت في ظروف غامضة ومريبة، الزوج في الجهة الأخرى من البلاد وهذا ما يخرجهم من دائرة المشتبه بهم.

في تلك اللحظة. لاحظت أن الهاتف الذي تحمله هو على الأرجح الذي استخدمه قاتل ماريا كوبونين للاتصال برقم الطوارئ، قبل أن يشق طريقه في هذه الليلة شديدة الرياح. من غير الممكن أن يكون الجاني في مكان بعيد، لكن جيسيكا لاحظت أنها تسرع في استنتاجاتها.

سألت: "هل جرى الاتصال بالطوارئ من هذا الرقم؟".

شعرت برغبة ملحة في النظر إلى ماريا كويونين التي تبدو ضاحكة. من سينظر إلى صورها التي ستبدو فيها ضاحكة، فسيظن أن الصورة التقطت لشخص مفعم بالحياة، لكن الحقيقة أنها ميتة بخلاف كل الأشياء التي تضح بالحياة حولها؛ من الأضواء إلى الرياح والأشجار العارية والمحققين المنتشرين حولها. أجابها يوسف: "لا أعرف". وهو يخلع سترته.

كان الهواء البارد المتجمد يتدفق من خلال الباب المفتوح، لكن الغرفة لا تزال دافئة.

"هل يمكنك الاتصال وتقضي حقيقة الأمر؟".

بينما كانت جيسيكا تتحدث، دخل ثلاثة رجال إلى غرفة الجلوس يرتدون بذلات عمل بيضاء مكونة من قطعة واحدة، ومشوا ببطء، وكأنهم يحاولون ألا يوقظوا الأميرة النائمة من سباتها الأبدي.

شاهدت جيسيكا فريق الأدلة الجنائية يقومون بعملهم بطريقة روتينية، كأنهم يُفرغون الصحون من الجلاية الآلية، هؤلاء البشر الملفوفون بأردية واقية ويبدون مثل البوريتو⁽¹⁾ رأوا كثيرا من الحالات، ولا تظن أنهم سيتأثرون ما لم تكن الحالة التي أمامهم فظيعة. لكن بالرغم من ذلك، فإن جيسيكا لا تستطيع أن تمنع نفسها من ملاحظة كيف أن كل واحد منهم توقف ليرى الجثة وملامح وجهها الجميل، الذي كان شديد الشبه بشخصية الجوكر لجاك نيكلسون أكثر من أي شيء آخر.

تمتم أحد التقنيين من خلف قناعه: "انتهت المهمة الأولى".

بناء على وقع الخطوات الصادر من الممر، لاحظت جيسيكا أنه نزل من الطابق الثاني ليقف أمامها متمعنا في الغرفة، وكأنه ليس لديه عمل آخر يقوم به. كان التقنيون الثلاثة الآخرون منشغلين بالجثة، غارقين بالتركيز. نظرت جيسيكا إلى التقني نظرة استفهامية، إنها تثق كل الثقة بكفاءة هؤلاء الأشخاص، ولم يسبق لها أن اضطرت

(1) البوريتو: نوع من المأكولات المكسيكية، الذي يتكون بشكل رئيسي من التورتيللا الملفوفة بشكل أسطواني لتحتوي ما بداخلها، والتي هي على خلاف التاكو الذي يبقى عادة مفتوحا (الترجم).

للتدخل في عملهم في أثناء وجودهم في مسرح الجريمة خلال مسيرتها المهنية.
سألته: "نعم؟".

لكن التقني كان قد استدار، ورأته يختفي ضمن الممر.

تخطت جيسيكا الطاولة، وتوجهت إلى رف مليء بالأسطوانات، مرت بجانب الصف الطويل المليء بها، جعلت جيسيكا أطراف أصابعها المغطاة بالمطاط تراقص على الجوانب الرفيعة لعلب الأسطوانات. إنه بمثابة درابزين من الألبومات، من الواضح أن هذا الثنائي يحب الموسيقى كثيرا بشكلها التناظري، إن الرف الخاص بالكتب مليء بالأسطوانات.

وقفت جيسيكا أمام مشغل الأسطوانات، وبدا لها أنه جهاز جديد، من المرجح أنه متصل بنظام الصوت المنزلي اللاسلكي. كانت الإبرة مرفوعة عن سطح الأسطوانة، إنها أسطوانة فينيل تحتوي أغنية واحدة. إن غلاف الألبوم موجود على الطاولة بجانب المشغل. عليه صورة بالأبيض والأسود لجون لينون، وعيناه مختبئتان خلف النظارة المدورة، وينظر إلى الكاميرا. كُتب على الغلاف /يماجن. عندما صدرت هذه الأغنية للمرة الأولى في بريطانيا كانت منفردة.

حملت جيسيكا الغلاف، وقلبتة على الجهة الأخرى. كان هناك وجهان وأغنيتان، واحدة في كل جانب.

شعرت جيسيكا بموجة باردة، وقد ارتجفت عندما تذكرت ما قاله كويفوا هو لها عند وصولها. تلك الموسيقى اللعينة.

وصلت سيارة دورية الشرطة والموسيقا لا تزال تصدح، من المؤكد أن أحدا ما قد وضع الإبرة على الأسطوانة قبل أن تدخل الشرطة إلى المنزل.

أوقعت جيسيكا الغلاف على الطاولة الجانبية، ووضعت يدها تحت معطفها قبل أن تأخذ وقتها لتعرف معنى ما حدث. لفت يدها حول مقبض مسدسها الغلوك، والتفتت ناظرة إلى الرجال بزيهم الأبيض، الذين شبهتهم بالملائكة وهم يتفحصون الجثة. هناك ثلاثة منهم. لقد كان الثلاثة موجودين طوال الوقت، لم يصعد أحد منهم إلى الأعلى.

6

مشّت جيسيكا بخفة في الرواق باتجاه الباب الأمامي. فتحت زر قراب المسدس، وفكّت قفل الأمان، شعرت بتسارع ضربات قلبها، وهذا ما أشعرها بالحيوية، كان جسدها يعمل من تلقاء نفسه. عندما وصلت إلى الباب، رأت جيسيكا ثلاثة عناصر شرطة بلباسهم الرسمي، وعربتي شرطة، وأخرى للأدلة الجنائية، وسيارة نقل الموتى تركن، وسيارة إسعاف تغادر بعدما تبين أن لا حاجة بهم إليها.

كان وميض سيارات الطوارئ الأحمر والأزرق طاغيا عما عداه من ألوان في هدوء هذه الليلة، ناشرا أشعته على المباني المجاورة، حيث كانت الأضواء تشع من نوافذ الفضوليين. لاحظ أحد العناصر حالة جيسيكا المتنبهة وقبل أن تقول شيئا.

"هل كل شيء...؟"

صرخت جيسيكا: "أين ذهب؟".

"من؟"

"رجل الأدلة الجنائية!"

قال أحد العناصر: "أوه، هو...".

رفع إبهامه ليدل على الطريق المؤدي إلى أسفل التلة.

"لقد اتجه..."

"راكضا؟"

"ماشيا".

قالت جيسيكا امرأة: "فليات أحد منكم معي".

خَطت عدة خطوات باتجاه الطريق المُضاء بمصابيح الشارع.

"هل كان...؟"

قالت جيسيكا بشكل حازم: "أنت اتصل بالمركز، وقل لهم إن القاتل فرّ من مسرح الجريمة على قدميه منذ وقت قليل، وإننا بحاجة إلى تعزيزات بأسرع ما يمكن". سحبت مسدسها، يبدو أن حركتها هذه هي كل ما كان يحتاج إليه العنصر ليتأكد من أنها جادة.

نزلا إلى الشارع التي كانت الثلوج تغطيه، كانت هناك آثار للعجلات، وكانت آثار قدمي الجاني متقاربة، وهذا يعني أن الرجل الذي يرتدي رداء العمل الأبيض المؤلف من قطعة واحدة، كان يمشي ولا يركض لأنه لو كان يركض لكانت آثار قدميه متباعدة، سيتمكنون من اللحاق به إن لم يتوقع قدومهم في وقت قريب.

لكن مع ذلك، فقد سيطر الارتباك على جيسيكا خلال الثواني التي استغرقتها للوصول إلى الزاوية حيث آثار الأقدام، يعرف القاتل إنهم يلاحقونه، وهذا ما سعى إليه، لقد مشى نحو جيسيكا قبل قليل وتحدث إليها، بالرغم من أنه كان يستطيع ببساطة الخروج من المنزل من دون أن يعلم أحد بوجوده.

انتابت القشعريرة جيسيكا فقد رأت الرجل السيئ الذي قتل ماريا كوبونين ونظرت إليه عن قرب، لكنه هرب وانتصر. قال العنصر: "لا يمكن أن يكون قد ابتعد كثيرا". وبالرغم من أنه بدين إلا أنه لم يتعب. أمسكت جيسيكا بمسدسها، واقتربت من التقاطع، ولكنها لم تر كامل التقاطع بسبب شجرة التنوب الطويلة المنتصبة أمامها. سارت ببطء، وألقت نظرة على العنصر الذي يمضي إلى جانبها، متحركا على نحو يماثلها تماما.

تجولت جيسيكا حول السياج، ورأت شارعا فارغا تقف فيه سيارات كثيرة على كلا الجانبين. قالت جيسيكا بصوت منخفض في أثناء بحثها عن آثار أقدام: "يا له من رجل سيئ!".

لكنها لم تجد أية آثار، فقد نظّفت جرافة الثلج الطريق، وبذلك تمكن الجاني من مواصلة طريقه من دون أن يترك أثرا يمكن تمييزه عن طريق السير في المنتصف. سمعت جيسيكا صوت صفارات الإنذار الخاصة بسيارات الشرطة التي تقترب من المكان، وهدير جرافة الثلوج التي تعمل في مكان بعيد.

همس العنصر: "لربما اختبأ خلف السيارات أو تحتها". ثم تقدم بهدوء نحو أقرب سيارة متوقفة.

أجابته جيسيكا بصوت طبيعي: "قد يفعل ذلك إن اضطر للاختباء وهو في عجلة من أمره".

فقال العنصر: "ألم يكن في عجلة من أمره؟".

لم تُجبه جيسيكا فقد كانت تطلق الشتائم لاعنة الثواني الطوال التي استغرقتها لتدرك أن القاتل قد غادر مسرح الجريمة الذي طوّقه الشرطة سيرا على قدميه.

عندها قال العنصر: "ربما كان يمتلك سيارة مركونة هنا". لم تكن فكرته صائبة، ولكن من خلال إلقاء نظرة سريعة يمكن ملاحظة عدم وجود أماكن لركن السيارات يظهر عليها أثر سيارة أو آثار عجلات. سألت جيسيكا في أثناء سيرهما بحذر إلى جانب السيارات: "ما اسمك؟".

فأجابها: "هالفيك. لاس هالفيك".

قالت له: "حسنا يا هالفيك، تحقق من السيارات، وابق على أهبة الاستعداد، التعزيزات قادمة".

هرولت على طول الطريق المضاء فسألها: "أنت لا تطاردينه بمفردك، أليس كذلك؟".

لم يكن يبدو أن جيسيكا ترغب في الإجابة، إذ إنها أمسكت هاتفها ووضعتة على أذنها في حين كانت تمسك المسدس باليد الأخرى، ثم مشت حتى وصلت إلى منتصف الشارع، فقد كانت السيارات تحيط بها، وكانت تثق بأن هالفيك يحميها ضمن هذا الشارع على الأقل.

"مرحبا".

إنه صوت إرني ميكسون الذي عُين محققا رئيسا على التحقيق في القضية قبل نصف ساعة فحسب.

قالت جيسيكا: "لست متأكدة من تليفك للرسالة من المقسم، ولكن علينا إغلاق التقاطع المؤدي إلى جسر كولوزاري بسرعة".

أدرکت جیسیکا أن صوتها أشار إلى توترها.

"ما الأمر؟"

"أنا أتبع القاتل مشيا على قدمي."

"مع من؟"

"لا أحد."

"جیسیکا!!!"

"لقد أتى من هذا الطريق منذ دقيقة، عليّ أن أرى.. يا للهول!.. انتظر.."

وضعت جیسیکا الهاتف في جيب معطفها، وأمسكت بالمسدس بكلتا يديها مرة أخرى.

ظنت أن من تبحث عنه مستلقٍ على الأرض، لكن أملها خاب، عندما أدركت أن من ظنته الجاني، لم يكن سوى رداء العمل الأبيض المؤلف من قطعة واحدة ملقى على الأرض، الذي بدا بسبب الرياح التي تحرك أحدِ رجلي الرداء مثل بيندوم وُخز بخنجر⁽¹⁾. بدت الرجل كما لو أنها تشير إلى الاتجاه الذي واصل صاحبها -على الأرجح- سيره فيه. نظرت جیسیکا إلى الوراء ورأت هالفيك مختبئا بين السيارات على بُعد مئة متر. وضعت أصابعها في فمها، وصفرت لجذب انتباهه وقالت: "احرص على ألا تسمح لأحد بأن يقود سيارته في هذا الشارع يا لاس".

لم تكن جیسیكا واثقة من أنه سمع صراخها، لأنه كان في الاتجاه المعاكس للريح، لكنه وقف وتقدم باتجاهها. واصلت جیسیكا السير على الطريق، وفكرت في خطواتها التالية عندما سمعت صفارات الإنذار تقترب.

دفعتها غريزة لا تقاوم إلى التوقف والاعتراف بالحقيقة المؤسفة، لن يقبضوا عليه الليلة.

تنهدت بعمق، وشعرت بوخز في رثيها، ثم وضعت يدها في جيب معطفها.

(1) الرجل المطاطي الأبيض الذي يرمز إلى شركة ميشلان للإطارات (المترجم).

"إرني؟".

"يا للهول يا جيسيكاء.. كنت أفكر في..".

"لقد أخفقتُ يا إرني".

سمعت صوت مديرها، لكن الأفكار ذاتها بقيت تدور في ذهنها معيقة دخول

أية أفكار جديدة، ربما كان قاتل ماريا كوبونين يراقبهما الآن من عمق الظلام. لا

أثر له، لكن بالرغم من ذلك فهو في كل مكان.

ظل رئيس المفتشين إرني ميكسون يعاني من الأنفلونزا لأكثر من أسبوعين. لكن بالرغم من ذلك، فقد كانت الرائحة المميزة لداخل سيارته تنبعث وتخرق فتحتي الأنف.

سمع إرني صوتا خافتا، فسحب مقياس الحرارة الرقمي من تحت إبطه ليرى درجة حرارته (37.4 درجة مئوية) فقال: "يا إلهي!" هذا أعلى بـ 30. درجة مما كان عليه عندما ركب السيارة في باسيلا.

ألقي إرني نظرة على ساعته، وبحث في جيبه عن دفتر ملاحظاته الصغير، وبدأ يكتب فيه. لقد خدمه هذا الدفتر السميك طيلة سنوات، لقد أصبح الآن في أيامه الأخيرة.

عندما وصل إرني فتح باب الراكب من سيارته القديمة من طراز بي إم دبليو 3. دخلت امرأة تبلغ من العمر ثلاثة وثلاثين عاما، شعرها أسود ولم يظهر جمال وجهها بسبب انعدام التعابير عليه والإضاءة الخافتة. للحظة حدقا إلى الأمام حيث كانت تقف عشر سيارات خارج منزل يقع على بعد مئة متر إضافة إلى سيارة شرطة تقف بشكل عرضي في الشارع، وتم التأكيد على أن المرور ممنوع من خلال وضع شريط أزرق وأبيض تابع لقوات شرطة هلسنكي.

في النهاية قال إرني مازحا وهو يضع دفتر ملاحظاته في جيبه: "يبدو أن السيرك قد وصل إلى كولوزاري".

أخرج رقاقة علكة النيكوتين، ووضعها في فمه، تلاشى الأثر المهدئ للسجائر التي دخنها منذ عشر دقائق عندما كانت النافذة مفتوحة.

إلى جانب ذلك، فقد حان الوقت للتوقف عن التدخين أو التقليل منه على الأقل. سيعلم إن كان هذا مفيدا أم لا عندما يتصل الطبيب ليلغيه عن نتائج الخزعة.

سألته جيسيكا بهدوء: "ألن تدخل؟". ثم أمالت برأسها ووضعتة على مسند الرأس.

"لا، لا أعتقد أنه عليّ ذلك". بدت عينا إرني تتحركان، ففتح النافذة قليلا.

"رجل في الأربعين من عمره، متوسط البنية الجسدية وعريض المنكبين نسبيا، طوله 180 سنتيمترا، أزرق العينين، ويرتدي ملابس خفيفة بالنسبة إلى طقس كهذا. لا أعتقد أنه كان يستطيع ارتداء معطف ثقيل تحت رداء العمل الأبيض".

قال إرني: "لدينا ستة أشخاص يطابقون هذا الوصف، لكنهم يرتدون معاطف ثقيلة. أحدهم في الشارع وثلاثة في الحانة أمام مركز التسوق واثان آخران في محطة للحافلات على الطريق السريع. حددنا قطر الدائرة التي نريد البحث فيها للقبض على المشتبه به على أساس البُعد الذي يمكنه أن يكون قد وصل إليه. لو تأخرنا خمس دقائق لكُنّا سنمدد قطر الدائرة التي نبحث فيها إلى واجهة هيرتونيمي البحرية، مما يعني أن رجالنا لن يكونوا كافين". ثم نظر إلى جيسيكا وتابع قوله: "لقد فعلت ما كان يفترض بك أن تفعله بالضبط يا جيسيكا".

لم تقدم كلمات مدير جيسيكا أي عزاء لها، فقد كان إرني يتحدث إليها، كما يتحدث مدرب كرة قدم إلى طفل انسحب من المباراة بعد الشوط الأول، لم تغير لهجته العطفوة حقيقة أن الأمور لم تسر كما يجب.

بلعت جيسيكا بصوت مسموع وقالت: "أخبرني يا إرني، منذ بدأت العمل في الوحدة، وطيلة هذه الفترة، كم مرة تحدث المحقق مع القاتل في مكان الجريمة ثم تركه يرحل؟".

قال إرني: "يمكنك أن تنظري إلى الأمر بهذه الطريقة إن أردت تعذيب نفسك".

فأجابته جيسيكا: "بحق السماء، هل يمكنني النظر بطريقة أخرى؟".
قال إرني: "حسنا، على سبيل المثال، كان بإمكانه سحب سلاحه، وإطلاق النار عليكم جميعا إن بدأت تشكين في شيء ما. لم يكن ليمتلك الجميع الوقت للرد".

أخفض إرني صوت المذباح، ودله تعبير وجه جيسिका أنه محق في ما قال، فقد كان الجميع يعتقدون أنهم سالمون، في حين أنه كان يستطيع أن يؤدي جميع من في المنزل لا ماريا كوبونين فحسب.

أخيرا، تكلمت جيسिका وهي تخلع معطفها. وقالت: "سته مشتبه بهم؟ ستم مقارنة ألياف رداء العمل الأبيض المؤلف من قطعة واحدة مع الحمض النووي الخاص بهم".

"ماذا عن القناع؟"

"لم نجده. ربما رُمي في سلة مهملات في مكان ما أو لا يزال مع المشتبه به".

"هذا غير منطقي".

"لأنه ترك رداء العمل الأبيض المؤلف من قطعة واحدة في الشارع؟"

"نعم". قال إرني في محاولة لاستبعاد بعض التوقعات التي لا معنى لها:

"اسمعي يا جيسिका". ثم ركّز نظره على الرجل الذي يدخل إلى فناء المنزل في نهاية الشارع، حيث كان يوسف يشير بيديه لبقى أصحاب المنزل بعيدا.

بدأ أحد المحققين باستجواب أحد الجيران الذي يرتدي سترة وسروال منامة ويتعل حذاء منخفض العنق، وسأله: "هل تعتقد أنك تستطيع التعرف إلى صوته؟".

أجابه: "بالطبع، ولكنني متأكد من أن المتهم ليس واحدا منهم".

"لا يخيب ظن المتشائم أبدا".

سحب إرني من المقعد الخلفي حقيبة الجلد الخاصة بحاسوبه اللوحي، وأعطاه إلى جيسिका: "سته مقاطع فيديو. نفس الجملة ست مرات". هذا هو محتوى المقطع الأول. شاهدت جيسिका المقاطع، وسمعت الأصوات، ونظرت إلى عيني كل مشتبه به، فقد ظنت أنها تستطيع التعرف إلى الجاني؛ ذلك الرجل المخيف الذي كان قبل خمس وأربعين دقيقة فقط يقف أمامها في منزل ماريا وروجر أمام رف الأسطوانات. كان اثنان من الرجال الموجودين في الصف ثملين، وهذا ما أكدته نتائج فحص الكحول في الدم المذكورة في التعليقات في الجزء

السفلي من الشاشة. أحدهما مثير للريبة بشكل لا يصدق، وبدت علامات الانزعاج على الثلاثة الآخرين.

لم تلقِ جيسيكا اللوم عليهم: فمن الطبيعي أن يشعر بالانزعاج مَنْ يضطر للوقوف في وهج الأضواء الساطعة ليردد عبارة أخبرته بها الشرطة من دون أدنى فكرة عما يجري. أحدهم يعرف ما يجري. لكن كما خمنت جيسيكا، الجاني ليس أحد الرجال في الفيديو: "لا". ثم أعادت الحاسوب اللوحي إلى إرني.

سألها إرني: "هل أنت واثقة؟". مع أنه يعلم أن سؤاله لا يستدعي الرد عليه. بعد لحظة من الصمت، وضع يده على شعره الرمادي الكثيف، وسعل ليستعيد صوته طبيعته، لكن الصغير المنطلق من عمق حلقه، لم يختفِ مع السعال. قال إرني في أثناء تسليمه نسخة مطبوعة من السيرة الذاتية لحياة المرأة إلى جيسيكا، متضمنة الأمور الأساسية التي حصلت في حياة تلك المرأة التي سُلبت منها: "إليك هذا. لقد جمع راسموس جميع المعلومات المتعلقة بماريا كوبونين".

أخذت جيسيكا الورقة، وبدأت بمراجعتها سطرا بعد سطر.
"العمر: 37."

الشهادة: دكتوراه في الصيدلة.

المهنة: نائب رئيس قسم تطوير المنتجات في شركة نيروفارم."

"لا أعلم إن كنت ستحصلين على شيء مفيد من السيرة".

قالت جيسيكا: "سنعلم هذا لاحقا".

طوت الورقة ووضعتها في جيبها، ظهر أرنب أبيض في الشارع. "ربما يجب أن نوقفه أيضا".

"لا بد لي من التوجه إلى المقر الرئيسي لأعد بيانا صحفيا". واصل إرني كلامه قائلا: "أنت محظوظة".

"الظروف غير عادية إلى حد ما، علينا أن نُحذّر الناس".

"كيف؟ يجب فتح الأبواب أمام محقق جنائي؟". بدأت جيسيكا بالتذمر في أثناء لمس مفاصلها، وأطلق إرني ضحكة مكتومة. إن الفكاهة السوداء جزء من

عملنا، ولطالما كانت جيسيكا محترفة في نقلها إلى أقصى حدّ. جلسا لفترة طويلة
وجمعا أفكارهما ليقول إرني في النهاية وهو يغلق النافذة: "علينا التوسع في التحقيق،
وعلىنا استجواب روجر كوبونين".

"سأتولى الأمر. مهمتك الآن هي معرفة ما حدث في هذا المنزل. يجب أن
نتحدث إلى الجيران، ربما رأى أحدهم شيئاً".

"حسنًا". فتحت جيسيكا باب الراكب.

"حاول ألا تصاب بنوبة قلبية يا سير دافوس⁽¹⁾".

"لن يتسبب أحد بإصابتي بنوبة قلبية سواك يا آريا⁽²⁾".

(1) شخصية من غيم أوف ثرون (المترجم).

(2) شخصية أخرى من غيم أوف ثرون (المترجم).

8 مكتبة

t.me/t_pdf

جلس روجر كوبونين إلى الطاولة، وأمسك بكوب ماء فارغ، وحدق إلى جبين المرأة التي تجلس أمامه. أخبرته الأخصائية الاجتماعية التي خرجت لتوها أنها ستنتظر في الغرفة المجاورة إن أراد التحدث عما حصل. قامت ساننا بوركا من قوة شرطة سافونلينا بسكب المزيد من الماء. بوركا امرأة عازبة تبلغ من العمر 42 عاماً، عاشت طوال حياتها في هذه المدينة الفنلندية الشرقية، وتمحورت حياتها حول عملها في الشرطة، والصيد، والتسلق، والكلاب الثلاثة المسنة.

قال روجر: "عليّ العودة إلى هلسنكي".

قالت ساننا: "لا مشكلة". ثم أمالت برأسها وأسندته إلى الكرسي. "أولاً، يجب أن نختبر نسبة الكحول في دمك، أعتقد أنك احتسيت بعض المشروبات الكحولية مع العشاء.."

تفاجأ كوبونين وقال: "هل تمازحيني؟!".

أجابت ساننا: "في الواقع، نفضّل أن تمضي الليلة في سافونلينا، تماماً كما كنت تخطط".

"لماذا؟".

"إن الأخبار التي سمعتها للتو ستشكل أزمة كبيرة لأي شخص. يجب أن نأخذ بعين الاعتبار أنك ستقود في طريق طويل في ظل طقس رديء، ولا يمكنك القيام بشيء في هلسنكي ليساعدك".

"هذا صحيح، أعتقد أن الوقت قد تأخر".

كان صوت روجر أعلى من الهمس بقليل. ابتسم، ولكن تعابيره كانت تُعبّر عن ألمه. تعلم ساننا أن أفراد أسرة الضحية غالباً ما يتصرفون بطريقة غريبة وغير

عادية، بسبب الصدمة، ونادرا ما يُستنتج أي شيء مفيد من ردود أفعالهم. لكن العيون المزججة التي لا تتحرك، ولون الجلد الشاحب، والتنفس السريع تشير إلى ضيق حقيقي.

سأل روجر بمزيد من الإصرار: "هل أمسكوا به؟".

ارتجفت يده في أثناء رفع كأس المياه. ألقت سانا نظرة سريعة على ملاحظاتها لتتحقق من الأمور التي تم إخبار زوج الضحية بها. يبدو أن روجر كوبونين قد أبلغ أن زوجته توفيت في منزلها في حي كولوزاري في هلسنكي، وأن لدى الشرطة أسبابا تجعلها تظن أن الموت ناجم عن جريمة قتل. ركزت على سؤال كوبونين، سألت وبذلت قصارى جهدها لتجنب لهجة المحقق: "عفوا، هل لديك سبب يدعو إلى افتراض أن الجاني رجل؟".

في هذه المرحلة، ليس لدى الشرطة أي سبب يدعوها للاعتقاد أن لروجر كوبونين دورا في مصرع زوجته، لكن استبعاده بشكل كامل قد يصبح أكثر صعوبة إذا ارتكب أخطاء في أثناء الاستجواب. في الحقيقة ليس لبوركا دور في التحقيق، بل تقتصر مهمتها على مراقبة الكاتب المشهور الذي فقد زوجته للتو، ولكن من المغربي أن تطرح أسئلة أساسية: "لا أعلم. أليس هذا مرجحا؟".

أجاب كوبونين ببطء ووضع الكأس على الطاولة. سطعت عيناه بعض الشيء كما لو أنه فخور بملاحظته. زمت سانا شفيتها، وأومات برأسها. إنه على حق في حال النظر إلى الأمر من منظور إحصائي. ففي كل تسع حالات من أصل عشر حالات قتل في فنلندا، يكون القاتل رجلا والنسبة أعلى إن كان كل من مرتكب الجريمة والضحية يعرف أحدهما الآخر.

"غرضنا الوحيد الآن هو القبض على الجاني، وتعتقد الشرطة في هلسنكي أن المكان الوحيد الذي ستقدم فيه أية فائدة هو عملي على هذا الحاسوب. هنا في سافونلينا في مركز الشرطة هذا، حيث سنبدل قصارى جهدنا لتشعر براحة كبيرة؛ أي لن تكون في سيارتك، فأنت تشعر بالتعب والصدمة ما سيجعل منك خطراً يهدد حياتك وربما حياة الآخرين على الطريق".

زمت سانا شفيتها مجددا، وأملت أن تُظهر قدرا كافيا من التعاطف، ثم كتبت كلمة المرور على الحاسوب المحمول.

عبس كوبونين وسأل: "لماذا سأستخدم هذا الحاسوب؟".

قالت سانا بهدوء وهي تضع يديها على الطاولة: "يود المحقق الرئيسي في هلسنكي، إرني ميكسون، التحدث إليك. سنقوم بإعداد مكالمة فيديو".
رمش روجر كوبونين بعينه عدة مرات، كما لو كان هذا الاقتراح سخيفا تماما. ومع ذلك فإن لغة جسده لم تُعبّر عن معارضة صريحة لما قيل. سأل روجر: "مكالمة فيديو؟". وقد بدأ يمعن التفكير في الأمر.

"كما قلت فإن هدفنا الوحيد هو... لقد قلت غرضنا... عفوا؟ لقد قلت قبل قليل إن غرضكم الوحيد هو القبض على قاتل زوجتي وليس هدفكم".
حكّ كوبونين حاجبيه بأظفاره، فسقطت قطعة من الجلد الميت على الطاولة بجانب الكأس.

"أنت محق، هذا ما قلته".

حاولت سانا أن تبسم لإظهار فهمها لما قاله روجر، وبدأت تفكر في أنه كان عليها أن تمنحه بعض الوقت وحده ليتدبر أمره، لكن لم يكن هناك متسع من الوقت لذلك. فقبل نصف ساعة، تلقت سانا رسالة مفادها أن المشتبه به لا يزال طليقا. استقر عقرب الدقائق في الساعة المربعة على الرقم 12. فقالت سانا: "أيمكنك أن تمنحني بضع دقائق؟".

أوما كوبونين برأسه دليلا على موافقته بعد بضع ثوان. أغلقت سانا الباب خلفها، وأشارت إلى العنصر المناوب طالبة إليه مراقبة الوضع، ثم نظرت إلى الأخصائية الاجتماعية الشابة التي وقفت إلى جانب آلة القهوة التي تصدر صوتا عاليا، واتجهت بعدها إلى مكتبها.

اتصل إرني ميكسون الذي بدا صوته مرهقا ليسأل: "هل هو مستعد؟". وسُمع صوت محرك السيارة في الخلفية.

أجابت سانا: "إنه يعاني من صدمة حقيقية".

قال روجر: "يجب أن أتحدث إليه".

أجابته سانا: "أعلم هذا".

مشت سانا إلى النافذة، فرأت أغصان شجر التامول العارية تتحرك في الظلام الدامس، ربما سعيا وراء الدفء الموجود في الداخل.

قال إرني: "أفضل أن أتحدث إليه وجها لوجه". سمعت سانا صوت احتكاك ورق. توقف إرني للحظة إذ كان يركز على مضغ العلكة في فمه، ولكن في نهاية المطاف، استمر في الكلام وقال: "أشعر أنه من المعيب التحدث عبر الشاشة مع رجل فقد زوجته منذ وقت قصير، ولكن.. علينا أن نحصل على أكبر قدر من المعلومات على الفور".

أجابت سانا: "نعم، لقد فهمت ما تعنيه".

شعرت سانا بسبب طريقة كلامها أنها مراهقة مرتبكة تفهم لغة البالغين، ولكنها لا تجيد التحدث بها.

قال إرني: "سأتصل بالإنترنت بعد خمس عشرة دقيقة. اعتني به جيدا حتى ذلك الحين".

تدخلت سانا قبل أن تنتهي المكالمة مع زميلها في هلسنكي وقالت: "عفوا، أريد قول شيء...".

سألها إرني: "ما هو؟".

أجابته سانا: "يقول كوبونين إنه يرغب في رؤية زوجته أو حتى صورة من موقع الجريمة".

بعد لحظة من الصمت قال إرني: "بالطبع".

توقف صوت محرك السيارة، وسمعت سانا صوت بصاق، ثم صوت إغلاق باب السيارة وإشعال الولاعة واستنشاق عميق، لقد بدأ إرني بالتدخين.

قال إرني: "بالطبع يريد هذا، لكن ثقي بي عندما أخبرك أنه سيجب عليك تأجيل هذا لفترة وجيزة".

أخرجت جيسيكا مجموعة جديدة من واقيات الأحذية، والمعاطف البيضاء والقفازات والأقنعة. فجأة لم يعد الوجود في المنزل يمنح شعورا بالأمان بالرغم من أنه بعد الحادثة الأخيرة، فُتش بدقة. دخلت غرفة الجلوس مرة أخرى لترى أن رجال الأدلة الجنائية وسعوا من دائرة جمع الأدلة الخاصة بهم وانتهوا من الطاولة. لا تزال ماريا كوبونين جالسة في مقعدها، ولا تزال نفس الابتسامة المجنونة مرسومة على وجهها. يبدو أن صاحبة المنزل هي الشخص الوحيد الذي لا يعلم بحصول جريمة.

في الأحوال العادية، توضع الجثة في حقيبة، وتغلق، وتُنقل من موقع الجريمة، لكن يبدو أن هناك أسئلة كثيرة لم تحصل على إجابة بعد، وهذه الأسئلة تنتمي إلى النوع الذي سيؤثر فيه إبعاد الجثة عن الموقع تأثيرا سلبيا كبيرا. سألت جيسيكا: "هل نعلم ما حصل هنا؟".

تقدمت باتجاه أحد رجال الأدلة المسؤولين عن مسرح الجريمة، الذي تعرف أنه جزء من فريق التحقيق.

لقد جعلها القاتل المتنكر تتخذ احتياطات الحذر الشديدة. كان رجلا وسيما يدعى هارجو، نظر إلى جيسيكا باطمئنان بعينه البنيتين. تنهد وخلع القناع وقال: "بالكاد نعلم شيئا".

فأجابت جيسيكا: "هذا يعني أننا لا نعلم شيئا؟".

"إن الشيء الوحيد الذي نعرفه على وجه اليقين هو أن الحادثة لم تكن عملية اقتحام وإنما دخل المشتبه به عبر باب غرفة الجلوس، ثم أغلقه، لكنه لم يكن مقفلا. في الحقيقة، لا يزال غير مقفل".

قالت جيسيكا: "لم يكن مقفلا...".

"أو أن المشتبه به والضحية يعرف كل منهما الآخر لذا سمحت الضحية للمشتبه به بالدخول..."

"من الصعب تصديق هذا. كان المشتبه به يرتدي رداء عمل أبيض من قطعة واحدة."

مشت جيسيكا متخفية هارجو وتابعت كلامها قائلة: "إضافة إلى الأداة التي استخدمها في الجريمة".

"إن وجهها ثابت تماما".

"ماذا؟".

"كما لو أنه ثبت في هذا المكان. من الصعب معرفة..."

"هل حُقن شيء ما في وجهها؟".

عندئذ لاحظت جيسيكا أن رأس الضحية مائل بعض الشيء، لا بد أنه على هذه الحالة منذ البداية. "هذا تقديري، لكننا لن نتأكد من ذلك إلا بعد تشريح الجثة".

"أرجو أن تعلموني على الفور ما إن تجدوا أي شيء خارج عن المؤلف".

"بالتأكيد".

"شكرا".

عادت جيسيكا إلى الصالة، فقد كان الباب الأمامي مفتوحا، ما سمح للضوء والأصوات بالدخول. بدا المنزل شديد البرودة، ولم تعطِ لوحات الرسم البيضاء، واللوحات المعلقة على الجدران البيضاء أي دفء، بل على العكس، زادت من الأجواء الباردة. مشت جيسيكا بجانب رف الأسطوانات، ودخلت للمرة الأولى إلى المطبخ الفسيح، كان سطح المنضدة الرخامية من نوع بوجينو هل طويلا، ويمتد بين الخزانات والأدراج السوداء. كانت جيسيكا تضع قفازين، فلمست الحجر البارد. كل شيء بدا نظيفا ولا معا.

الرخام والخشب باهظا الثمن، والأدوات التي تُشكّل أساس المنزل تكلف ضعف الراتب السنوي لعنصر الشرطة العادي. تعلم جيسيكا هذا لأن المطبخ في

شقتها يشبهه تماما، وهي تحبه جدا جدا، وهو واحد من بين عشرات الأسباب التي لا تمكّنها دعوة زملائها إلى منزلها؛ إلى المكان الذي تعيش فيه.

أُلفت جيسिका نظرة باتجاه رف الكتب الذي يحتوي مجموعة كبيرة من الكتب التي تضم بين دفتيها كثيرا من القصص. تكوّن لديها انطباع أولي أن العرض الأدبي في هذا المنزل يبدو أحادي الجانب، فالاسم مكرر على كل مجلد. اختلفت الكتب عن بعضها من ناحية الحجم واللون، لكن مؤلفها كان نفسه: روجر كوبونين. بعد إلقاء نظرة دقيقة، أدركت جيسिका أن وفرة الكتب لا ترجع إلى خيال المؤلف الخصب لأن معظم الكتب كانت ترجمات؛ (مطاردة الساحرات) مترجم إلى اللغات تحت عناوين: هاكسجاكت وهيكسينجاد وكاسيا آل ستريفي.

تعلم جيسिका أن روايات كوبونين وصلت إلى جمهور عالمي، وهذا ما سمح لآل كوبونين بامتلاك هذا المنزل الفخم المطل على الواجهة البحرية، ووسائل الراحة العصرية بما في ذلك المطبخ الذي تبلغ كلفته ثمن سيارة سيدان ألمانية كبيرة. شعرت جيسिका بألم حاد في داخلها، بدا هذا الألم كما لو أنه أتى ليذكرها بأن عملها لا ينطوي على التفكير في ما أسس حياة الزوج والزوجة بل في ما مزقها منذ فترة وجيزة. أصدرت الثلجة صوتا، وعم المطبخ صوت أزيز.

اختارت جيسिका مجلدا باللغة الإنكليزية، وأُلفت نظرة على الغلاف، لترى صورة امرأة ترتدي السواد إلى جانب كلمتي "مطاردة الساحرات"، كانت الصورة تشبه ملصقا لموسيقا الميتال الصاخبة. قلبت جيسिका الكتاب، بيعت مليوناً نسخة منه حول العالم. تذكرت النسخة الفنلندية الموجودة في خزانتها التي أهداها إياها صديقها منذ سنوات، لكنها لم تقرأها بسبب ضيق الوقت والكسل، فضلا عن معارضة جيسिका لكتب الخيال، إذ إنها تستند إلى فكرة مفادها أنه عليك أن تتعلم شيئا جديدا ومفيدا في أثناء القراءة، وأن القصص التي تنبثق من خيال شخص ما هي مضيعة للوقت في هذا العالم المحموم. بدأت أطراف أصابع جيسिका بالتحرق داخل القفازين المطاطيين. قاتل متسلسل.. يلاحق الساحرات. لم تفهم جيسिका سبب تركيزها على الغلاف الخلفي ونبذة الرواية. بعد فترة قصيرة، قلبت الكتاب مرة

أخرى وحدقت إلى الغلاف الأمامي. سقط الكتاب على الأرض، ولكنها لم تسقطه عن قصد بل انزلت من يدها.

عندما سقط الكتاب، بدأت بتفحص النسخ الأخرى من الكتاب: اليابانية، والبولندية. يبدو أن الناشر في كل بلد اختار صورة غلاف مختلفة لإصداره، ولكن جميع الأغلفة تُصور ساحرة تعاني، أما الاستثناءات القليلة فهي عبارة عن مناظر طبيعية بحرية شتوية بيضاء متجمدة، تشبه خليج فنلندا. سلسلة كتب (نوردريك نوار). لكن معظمها عبارة عن صور لساحرة تُعدم حرقاً. امرأة شابة ترتدي ملابس سوداء وتتلوى من العذاب. أظهر غلاف النسخة الألمانية هيكسينجاد منصة تعذيب رُبطت عليها الضحية من المعصمين والكاحلين وهي في أبهى حلة.

عندما أُلقت جيسيكا نظرة على المرأة في هيكسينجاد للمرة الأولى، لاحظت أن ما فسرتة منذ وقت قريب على أنه عذاب، هو أكثر الابتسامات بشاعة على الإطلاق، فقد كانت الابتسامة مجنونة ومليئة بالغطرسة. اندفع الدم إلى أذني جيسيكا فبدأت تشعر بنبض فيهما.

ردّ إرني على هاتفه، واستغرقت جيسيكا لحظة لتدرك أنها اتصلت بمديرها في العمل من دون قصد. "جيسيكا؟ هل قام الأخصائي التقني ب...؟". سمعته جيسيكا وهي تشعر بضيق في التنفس، وقاطعته لتقول: "اسمعي، هل قرأت كتب كوبونين؟".

أجابها إرني: "لا أستطيع أن...".

فقالت جيسيكا: "يا للهول يا إرني. يبدو أن القاتل قد قرأ كتبه".

وقف روجر كوبونين أمام النافذة ناظرا إلى الظلام. كانت الستائر مغلقة إلى حدّ ما، لكن روجر لم يكلف نفسه عناء فتحها. قالت المحققة سانا بوركا عندما صب روجر كوبا من الماء الفوار: "حسنا، لقد حان الوقت".

لم تكن المشروبات باردة بل بدرجة حرارة الغرفة، فقد ترك أحدهم علبة زجاجات المياه على أرضية الغرفة بدل أن يضعها في الثلاجة كي تبرد. بقي روجر يحدق إلى النافذة

قالت سانا: "اعذرنى لكننا اتصلنا بالمحقق الرئيسي في القضية". عندها نظر روجر نظرة واهنة وقال: "إذن أعتقد أنه من الأفضل أن نبدأ". وعاود النظر إلى قمم الأشجار المغطاة بالثلوج، وقف هناك ووضع يديه خلف ظهره، وبدأ يحدق إلى الفراغ، فلا يزال تفكيره يرزح تحت أثر الصدمة محاولا أن يرى المعنى المختبئ وراء الألم الذي يشعر به.

شبّهت سانا طريقة وقوف روجر بديكتاتور محصن في مخبئه السري يفكر في خطواته التالية. بعد فترة وجيزة، التفت روجر، ومشى ببطء نحو الطاولة، وهو يشعر بالقلق والغثيان، بدا كما لو أنه قرر التقاط سماعات الرأس الحمراء وإطلاق سلاح نووي. ثم قال: "المحقق الرئيسي؟".

للمرة الأولى بدا في صوته شيء من الغضب. إن مهمة إبقاء هذا الرجل هناك تزداد صعوبة كل ساعة.

أجابته سانا: "نعم، يُدعى إرني ميكسون". ثم بدأت مكالمة الفيديو ببضع نقرات من فأرة حاسوبها.

بدا لبوركا أن الاسم أساء إلى مشاعر روجر، فقد تجهم وجهه على الفور.

سمع روجر عندها لهجة ميكسون الأستونية التي تجعل المرء يفكر في الرحلات البحرية إلى تالين وإعلانات القوارب المعفاة من الضرائب. حرّكت بوركا الحاسوب المحمول، ليصبح أقرب إلى روجر، ووقفت لكي تضمن أن يرى طرفا المكالمة بعضهما بشكل جيّد.

تكلم إرني وقال: "روجر كوبونين".

ظهر وجهه على الشاشة، وبعد فترة وجيزة أصبحت دقة الصورة أكثر جودة، ولكن الصوت كان متأخرا عن الصورة ببضعة أجزاء من الثانية. أكمل إرني قائلا: "أولا وقبل كل شيء، أود أن أقدم خالص التعازي بزوجتك المتوفاة". شكره روجر، لكن استخدام تعبير "متوفاة" لوصف وفاة ماريا سببت له صدمة.

"أنا المحقق الرئيسي إرني ميكسون، المكلف بمهمة إدارة التحقيق".

شرب روجر من مياهه المعدنية المنكهة بنكهة التوت وقال: "نعم، لقد أعلموني بذلك".

بدا أن درجة حرارة المشروب لم تُحدث فرقا بالنسبة إلى روجر، فشعرت سانا بارتياح شديد.

قال إرني: "لسوء الحظ، لا يمكننا أن نجعل الأمور أكثر سهولة في الوقت الحالي لذلك، علينا أن نقبض على الجاني".
سأل روجر: "ماذا؟".

كأن لسانه علق للحظة في حنجرتة، ثم أصدر صوت بلع مسموعا، وأكمل كلامه قائلا: "ماذا حدث لماريا؟".

أجابه إرني: "يمكنك أن تلقي نظرة على تقرير الدورية. سيتم اكتشاف سبب الوفاة بعد تشريح الجثة، وستتم هذه العملية بأقصى سرعة".

بدأ روجر بالتحدث بصوت قريب من الهمس: "يا إلهي!".

تحول روجر في غضون ثوان من غزال كشفت عنه مصابيح السيارة الأمامية إلى حيوان مفترس ذي أنياب حادة. "لقد رأيت جثة ماريا، أليس كذلك؟".

"نعم، لكن...".

"إذن أخبرني ما حدث لها".

"لا نعلم".

"اللعنة! قل لي شيئاً! هل تم إطلاق النار عليها؟ هل خُنقت؟ هل كانت...".

أخفض روجر صوته المرتعش وشدّ على أصابعه المرتعشة ليشكل قبضة بيده. "هل اغتُصبت؟".

"كما قلت، لا يزال سبب الوفاة غير معلوم. ليست هناك أية علامات تدل على عنف جسدي. لكن المحققة الموجودة في مسرح الجريمة وجدت أوجه تشابه بين...".

"أوجه تشابه مع ماذا؟".

"أحد أجزاء سلسلة مطاردة الساحرات".

توقف إرني قليلاً، ومنح روجر بعض الوقت ليستوعب المعلومات. "أو أكثر من جزء. لسوء الحظ، لا أعلم على وجه التحديد".

صرخ روجر: "ما هي أوجه التشابه؟".

كان من السهل على سانا الجالسة إلى الطاولة فهم سبب غضب روجر، فقد كان كلام زميلها الموجود في هلسنكي عبارة عن ألغاز بالرغم من أن كوبونين يستحق سماع الحقيقة.

"هل تسمح لي بمناداتك روجر؟ سأرسل لك الآن صورة. أعلم أنها... أعلم

أن ما ستراه مروع، لكننا نعتقد أن الجاني استلهم طريقته من كتابك".

رأى روجر كيف بدأ إرني بالكتابة على لوحة المفاتيح، فتوقف للحظة، وازدادت سرعة أنفاسه في أثناء انتظار الصورة.

بعد لحظات، صدر صوت من الحاسوب، فنهضت سانا من كرسيها لتساعد روجر على فتح الصورة، ولكن سرعان ما رآته يضع يده على فمه بطريقة جعلتها تعلم أنه لا يحتاج إلى مساعدة.

اتسعت عينا كوبونين وقال: "ما هذا بحق الجحيم؟".

انتقلت يده من فمه إلى أنفه وأمسك بحاجبه.

لم تلقِ سانا نظرة على الصورة، بالرغم من فضولها الشديد، إلا أنها ظنت أنه من الأفضل ألا تراها. فهي ستعلم كيف ماتت المرأة قريبا.

قال إرني: "أنا آسف لأنني اضطررت لإرسالها لك، لكن هل بإمكانك أن تؤكد لنا أن هذا يطابق وصفك لضحية في الجزء الأول من ثلاثية مطاردة الساحرات؟".

سأل روجر: "هل ترتدي ماريا ثوبا أسود؟". خلال لحظات قليلة انتقل إلى الرجل الحذر الذي كان ينظر منذ لحظات قليلة من النافذة إلى ظلام شهر شباط.

أجاب إرني: "نعم".

سأله روجر: "هل طليت أظفارها باللون الأسود؟".

بدا صوت روجر كما لو أنه عزم على التحلي بالشجاعة، لكن عينيه كانتا مشببتين على صورة زوجته الميتة التي التقت في مكان الجريمة.

"نعم".

همس روجر: "يا إلهي!" وأمسك بشعره ودفع رأسه إلى الخلف، كما لو أن يدا أخرى سحبت شعره. ثم جلس باستقامة، وأمسك شاشة الحاسوب بيديه. ارتفعت حنجرته حتى كادت تصل إلى ذقنه.

سأل: "هل.. هل ذهبت إلى الشاطئ؟". وقد زاد شحوبه.

"الشاطئ؟".

"نعم، الشاطئ! هل...".

"لقد اكتشفت المحققة آثارا ولدينا سبب للاعتقاد أن الجاني دخل إلى المنزل من ال...".

"ألم تقرأ الكتاب الملعون؟".

مرت لحظات قبل أن يتكلم أحدهما.

"ماذا عن الشاطئ يا روجر؟".

"إن أراد ذلك المجنون اللعين إعادة بناء المشهد بالطريقة التي وُصفت في الكتاب، فماريا ليست الوحيدة..."

"ماذا تقصد؟ ماذا تقصد بقولك إنها ليس الوحيدة؟"

"يتحدث الكتاب عن ساحرتين معا، وتُدفن إحداهما تحت الجليد."

متأسف لخسارتك.

تكررت الكلمات بوضوح في ذهن جيسيكا، فهي تشعر أنها رددتها بصوت عال. مرت بجانب المعبد امرأة لون بشرتها زيتوني، تنظر بحزن إلى اسم محفور على الحجر الأبيض. أخفض الرجل رأسه، بكى بهدوء، وفرك عينيه المبللتين بالدموع بإبهاميه. عنقه مليء بالوشوم، أما كتفاه فكانتا ملفوحتين بالشمس. أشاح بنظره عن ركبته إلى القبر، ولمس بأنامله الباب المزخرف بالزهور الذي يوجد خلفه المتوفي الذي أصبح الآن رمادا.

لاحظت جيسيكا الرجل من مسافة بعيدة عندما مرت بجانب الطريق المعبد، عند الأقيية التي توضع فيها قوارير حفظ رماد الموتى، ولكنها لم تلاحظ مدى وسامته حتى اقتربت منه. لم تستطع الكلام، وتخطت الرجل من دون أن يلاحظها، ولم ينظر إليها. نظرت إلى الجانب الآخر، وشعرت بالارتياح لأنها تجاهلت فضولها الشديد حتى لا تتدخل في ما لا يعينها، يمكن لتدخلها ألا يكون ملائما. ومع ذلك فقد وجدت نفسها تتوق لشيء ما. بالرغم من أن مظهره الجانبي كان جميلا ورائعا إلا أنها لم تلاحظ عينيه، لا بد أن عينيه كانتا حزينتين وبنيتين.

كان الهواء حارا، شعرت جيسيكا بالكهرباء الموجودة، وشعرت برطوبة تلمس وجهها. لاحت الغيوم السوداء في الأفق بعد العاصفة الرعدية. قبل عشرين دقيقة، كانت جيسيكا متكئة على القضبان الحديدية للقارب، تحديق إلى الأفق الغامض الذي دلّ على أن المطر قد جعل مدينة المئة جزيرة، أكثر دفئا وراحة. اجتاز خطُّ رحلة جيسيكا مورانو إلى المركز التاريخي لمدينة البندقية ليتوقف القارب في سان ميشيل. نزلت جيسيكا سريعا من القارب، ووقفت على رصيف جزيرة المقبرة المحاطة بجدار من السرو والطوب. مشت بين المقابر الضخمة

متعجبة من كل ما تراه. في سان ميشيل، يرقد الموتى فوق بعضهم في أقبية تعلق أرضية، ليصل ارتفاعها حتى تسعة طوابق، تماما كالمباني السكنية.

كان المنظر الكلي مذهلا: كل قبو مزين بباقات من الزهور وصور الموتى. كانت الوجوه صارمة في عدة صور، ودلت الصور التي بالأبيض والأسود على حزم أكثر من غيرها، ولكن كان هناك الكثير من الوجوه المبتسمة. من حين إلى آخر، يُفترض أن يقوم محبو المتوفى باختيار صورة تمثل الطريقة التي يرغبون في أن يتذكره أقاربهم بها. وقد لا يمتلك بعض الأشخاص قدرا كافيا من الصور. بدأ الرعد فشعت جيسيكا بنسيم دافئ على وجهها.

تسلقت السلالم لتصل إلى طريق رملي يمتد إلى جانب صف نصف دائري من المقابر، ونظرت باتجاه الأشجار التي تراقص أوراقها في مهب الريح. في الواقع، تحب جيسيكا أشجار السرو والنخيل وخاصة أشجار النخيل العالية، فهي تذكرها بأبيها وأمها وأخيها. انهار الرمل أسفل حذائها الرياضي، ولكن حالما توقفت، حل صمت مطبق على الساحة الصغيرة. حتى الحمامة التي كانت تهدل من لحظة، توقفت تماما.

تذكر جيسيكا اللافتات الموجودة عند مدخل المقبرة: فيتاتو فوتوغرافير، بيرري ي مانغيار. بدأت تلتفت حولها، ولكنها لم ترَ أحدا على الإطلاق. كان يفترض بها أن تأكل الطعام الذي وضعت في حقيبة كتفها، ولكنها أرادت توثيق اللحظات التي تمضيها في هذه الجزيرة التي تعدُّ فريدة من نوعها. رفعت الكاميرا التي تدلت من عنقها، والتقطت بعض الصور لتلك الأقبية الساحرة المحيطة بها، ثم تركت الكاميرا تتدلى إلى حزامها، ودارت ببطء حول البناء المنحني لتلقي نظرة على الأضرحة المفتوحة. كل شيء لطيف وجميل ويعبق برائحة الزمن الجميل.

دخلت جيسيكا إلى بهو فوقع نظرها على تمثال أنثى، بالحجم الحقيقي، وقد وُضع على رأسها تاج من الأشواك، وكانت يداها مثبتتين على صدرها. نظرت عينا التمثال الحزيتان نحو الأسفل وإلى الجانب كما لو كانت تفكر في الإجابة عن سؤال صعب. في الواقع، كان لعينيها سحر خاص. شعرت جيسيكا برغبة عارمة في الدخول إلى الغرفة، ولمس خد مريم العذراء لشعر بالتناقض بين الفكرة الدافئة والواقع البارد.

دخلت بحذر، ولاحظت أن الهواء خلف الجدران الحجرية السميقة أكثر برودة من الخارج. شدت جيسيكا سترتها حولها، واقتربت من الجدار الرخامي الأبيض حيث نُحتت أسماء الموتى بحروف مذهبة. كانت بعض تواريخ الوفاة حديثة في حين كان بعضها الآخر غير محدد. حجز بعض الأشخاص مكانا ليُدفنوا فيه إلى جانب أحبائهم. إن الفكرة جميلة ومروعة في آن معا.

مدت جيسيكا يدها، ولمست بعناية شديدة مفاصل يد التمثال بأناملها كي لا يُلطخ طلاء أظفارها الجلد الأبيض لمريم العذراء. للحظة، شعرت بالانتماء، كما لو أن عالمين وزمانين مختلفين قد اجتمعا معا. في الواقع، إن الحزن المشترك هو الشيء الوحيد الذي يمكنه أن يبعث على هذه الراحة. لفت جيسيكا أصابعها حول أصابع التمثال، ولم تكن الأصابع الرخامية باردة بل كانت ما تتوق إليه تماما. كان الدعم الذي تقدمه تلك الأصابع واضحا وبسيطا.

كان تأثير اللحظة الحميمية التي أمضتها مع التمثال شبيها بتأثير المخدر: لقد زودتها بنفحة من الوعي، اندفع في كيانها مثل هدير رعد العاصفة الذي يدوي من بعيد، لن يتمكن أحد من فهم ماهيته، ولن يتمكن أحد من بث الطمأنينة في نفسها، فكل شيء ينتمي إلى الحاضر. تنهدت جيسيكا بعمق، وأفلتت أصابع مريم العذراء، ولمست خدها الناعم، وشكرتها طالبة إليها أن تغفر لها تطفلها.

في تلك اللحظة، سمعت جيسيكا صوتا يُنذر بالسوء من الخارج. خرجت مسرعة، ولكنها لم تر أحدا، ثم سمعت صوتا غاضبا مرتجفا، كان يتحدث الإيطالية. حاولت أن تعرف مصدر الصوت: مكبرات الصوت في المقبرة. إن الرسالة التي تبعث من مكبرات الصوت تولد شعورا تقشعر له الأبدان، مذكرا إياها بأفلام الحرب العالمية الثانية، عندما كان الجنود يسرون في صف، ويرفعون أيديهم بالتحية النازية.

نظرت جيسيكا حولها بشيء من الذعر، فربما انتهكت القواعد عند دخولها المقبرة. لكن بعد أن استمعت، علمت أن الرسالة التي تريد مكبرات الصوت إيصالها هي أن المقبرة ستُغلق قريبا. لا بد أن يكون القارب التالي هو آخر قارب ينطلق اليوم.

خطت جيسيكا نحو البوابة باتجاه الرصيف، ولاحظت الغيوم الداكنة القادمة من الجنوب، وضعت كاميرتها في حقيبة كتفها. رأت القارب بين الأمواج من بعيد؛ الأمواج التي شكّلت قمما بيضاء قبالة مورانو، فأبطأت من سرعة سيرها. جعل النسيم الدافئ شعرها يتطاير ويدخل عينيها، فأبعدته، ولكنها شعرت بخوف غريب، إذ رأت رجلا وحيدا يقف تحت المظلة عند محطة القوارب. كان المنظر الجانبي الجميل الذي حاولت إبعاده عن ذهنها واقفا أمامها مرة أخرى، فشعرت بإثارة وحماس.

لم يكن من السهل إثارة إعجاب جيسيكا، ولكن هذا الرجل مميز، ربما بسبب الحزن. التفت الرجل وللمرة الأولى، ظهر فكه المربع وعيناه البنيتان والدموع الناتجة عن شدة بكائه. لقد كانت عيناه كئيبتين وعطوفتين كما تخيلت جيسيكا تماما.

قال: "بونا سيرا" ثم نظر إلى جيسيكا للحظة، ومسح عينيه كما لو أنه أراد أن يتأكد من أنه لم يترك أية دموع على وجهه. لم يكن صوته عاليا، ولكنه كان شابا. أجابت جيسيكا على تحيته بابتسامة حذرة، ومشت نحو المظلة. عاد الرجل لينظر إلى البحر، ووضع يديه على خصره. وقفا معا للحظات من دون أن يتكلما. شعرت بالعار لأنها أتت إلى المقبرة بدافع الفضول التام لتجد صورة تضيفها إلى ألبوم الصور الخاص بها في حين أن هذا الرجل أتى ليزور شخصا أحبه وخسره في يوم من الأيام. لحسن الحظ أنها لم تكن تصور بالكاميرا، نظرت بطرف عينيها إلى الخاتم في يد الرجل اليسرى.

اقترب القارب من سان ميشيل. استدار الرجل نحو جيسيكا. قال بابتسامة لطيفة باللغة الإيطالية: "ستمطر الآن"

يبدو أن المطر سيهطل قريبا. كانت نظرتة إلى جيسيكَا تحمل تعاطفا كبيرا، كما لو أنهما يواجهان الموقف نفسه. عدّلت جيسيكَا وضع حقيبة كتفها. أجابت باللغة الإيطالية: "نعم، للأسف".

علمت أن لهجتها دلّت على جنسيتها. إن أسلوب جيسيكَا الأوروبي الجنوبي، وبشرتها الداكنة، وشعرها الأسود، وعينيها الخضراوين الزاهيتين، صفات قد تجتمع في سكان إيطاليا المحليين. وبالرغم من أن حب اللغة الذي طورته في المدرسة الثانوية جعلها تتحدث الإيطالية بطلاقة، إلا أنه ما من شك في كونها تخطئ.

بدا الرجل متفاجئا قبل أن يومئ برأسه موافقا. لكن نظرتة لم تتجه نحو البحر هذه المرة. نظر إلى جيسيكَا من رأسها حتى أخمص قدميها، وكأنه يبحث عن إجابات للأسئلة التي لم يطرحها بعد. التقييم الحذر الذي أجرته عينا الرجل الحزيتان لم يبدُ لجيسيكَا تدخلا. بدلا من ذلك، شعرت أنه قد لاحظ جمالها. واصلت جيسيكَا باللغة الإيطالية لكي تكسر حاجز الصمت: "هذا مكان جميل".

أوما الرجل مرة أخرى، وعبث بشعره بكلتا يديه. تضخمت الأوردة والشرابين الثخينة على يد الرجل أسمر البشرة. بدت عضلة يده تحت قميصه الأبيض متشنجة، وبما أنه رفع كمّي قميصه فقد ظهرت كتابة موشومة على جلده. أجاب: "نعم". وأشاح بنظره إلى حدائه.

كانت الكرة في ملعبه؛ إنها الطريقة الوحيدة التي سيستمر فيها اللقاء بشكل طبيعي، لكن الرجل لم يقل شيئا. لاتزال ملامح الحزن تملو وجهه، ويبدو أنّ عليه أن يتصارع مع هذا الحزن مرارا وتكرارا. خلال فترة الصمت، راقبت جيسيكَا دخول القارب، كان وصول القارب مزعجا ومريحا في آن معا. وضعه القبطان في الاتجاه المعاكس لبيطئه. أصدر المحرك صوت قعقعة فغطى على صوت الرعد. اصطدمت جوانب القارب بالرصيف في أثناء رسوه. أحكمت قبطان القارب - وهي امرأة شابة ترتدي قميص بولو فيروزيا - ربطاً الحبل، ودفعته نحو الرصيف. "أهلا!"

بدأت محركات القارب الخاملة أشبه بوعاء العصيدة. ملاً الجو الثقيل للديزل الهواء، وتسلت أطراف أصابع الرجل إلى كتف جيسিকা، ودفعتها بلطف نحو القارب. قال بالإنكليزية: "من بعدك".

دخلت جيسিকা إلى القارب، وشعرت بسعادة كبيرة عندما أحست بأصابع مريم العذراء البيضاء على جسدها، وكان الجو متوتراً من حولهما.

سأل الرجل بالإنكليزية: "من أين أنتِ؟".
"فنلندا".

قال مهازحاريشما استقرا في مقعديهما في القارب: "آه، فنلندا، ميكا سالو، ميكا هاكينن".

كان القارب فارغا تقريبا وعندما جلس الرجل، ترك مسافة بينه وبين جيسিকা. كان الجلوس بجانبها سيُشعره بالإحراج. "كولومبانو". مسح قطرة العرق عن رأسه. "عفوا؟".

"هذا اسمي". مد يده نحو جيسিকা. ألقت جيسিকা نظرة على الجلد المتشقق على يده وعلى الوشم أيضا. صافحته، ولفظت اسمها بالطريقة الإنكليزية، بالطريقة التي تعلمتها عندما كانت صغيرة.
"زيسিকা، هذا اسم جميل".
"شكرا لك".

"هل هذه المرة الأولى التي تزورين فيها البندقية؟".

أومات، وأشاحت بنظرها نحو البحر. ابتعد القارب عن الرصيف، وضغطت جيسিকা على أذنها. لسبب ما، أشعرها حضور كولومبانو بالخجل. إن سلوكه يختلف تماما عن المراهقين الذي تجتمع بهم عادة في ليالي الصيف على التراس في كايفوهورن. جلسا هناك، مثل شخصين بالغين، لايزالان غريبين ويبدو أحدهما أكثر نضجا من الآخر. لا بد أن كولومبانو أكبر منها بعشر سنوات، وربما أكثر. كسر الصمت بسؤاله إياها: "هل تسافرين وحدك؟".

مرت لحظات طويلة مؤلمة قبل أن تستطيع الرد فقد علقت الكلمات في حلقها. هل من الحكمة أن تكشف الحقيقة أمام شخص قابلته للتو؟ هل سفر المرء

وحيدا في جميع أنحاء أوروبا علامة على الطبيعة الانطوائية؟ أم علامة على الجرأة والطبيعة المرححة؟ ولماذا يهمها هذا الأمر؟
أجابته: "لا". واقشعر بدنها إثر تلك الكذبة. "لقد عاد أصدقائي إلى مورانو. كانوا متعبين.."

"لم يستطيعوا الذهاب معك إلى المقبرة؟ إن جيل الشباب غريب هذه الأيام." ارتسمت ابتسامة رائعة على وجهه، ندمت لأنها كذبت. ثم رأت الفراغ يتسلل إلى وجهه، ليس بسبب إجابتها بل لأن مشاعره المتقلبة أدخلته مرة أخرى في نفق مظلم. تساءلت عن الشخص الذي يحزن عليه كولومبانو.

تناثر رذاذ مياه من النافذة المفتوحة وغطى وجهها. فتحت حقيبتها، وسحبت الدليل السياحي الصغير للمدينة، وبدأت تُقلب الصفحات لتمنح كولومبانو بعض الوقت كي يجمع أفكاره. عندما خرجت من فندقها في مورانو قبل ساعة، كانت تخطط لزيارة كل المعالم السياحية: قصر دوجي، وكنيسة سان ماركو، وقناة غراندي، وجسر ريالتو، والاستمتاع بتناول وجبة الغداء في فناء كافيه تشيوجيا، والذهاب إلى البوتيكات. لكن الزيارة العفوية لسان ميشيل، أدخلت خططها في حالة من الفوضى.

سار القارب في طريق يتميز بعلامات خشبية. علمت من طريقة اهتزاز المقعد أن القبطان على وشك التوقف. أغلقت دليلها، وأعادته إلى حقيبتها. سألتها: "هل هذه محطتك؟".

أجابته: "نعم، أظن ذلك". ثم عصّت على شفتها.

"تظنين ذلك؟".

"أعني، أنا لا أعرف المدينة جيدا وما زلت غير واثقة".

"واثقة من ماذا؟".

"من كون هذه المحطة محطتي".

ضحك قبل أن يتنهد بعمق.

قالت جيسيكا: "حسنا". وشعرت بوخز أسفل قدميها. وضعت حقيبتها على

كفها ووقفت: "هل هذه محطتك؟".

من الصعب تقدير ما الذي كان يحصل لحظتها، فقد بدأ السؤال محاولة للغزل مع أنها لم تقصد ذلك، أم تراها قصدته؟ أمّلت ألا تكون الحرارة التي انتشرت في وجهها فجأة قد حوّلت خديها إلى اللون الأحمر. أخيرا، أجاب بيروود: "لا، سأتابع".

شعرت جيسिका بضيق في حلقها، يبدو الأمر كما لو أن شخصا ما قد سحب البساط من تحت قدميها. نظرت إليه، لكنها لم تكن واثقة من الطريقة التي ستنتهي بها المحادثة. ظهر الرصيف خارج النوافذ، وصدرت قعقعة المحرك مرة أخرى، وترنح القارب مصدرا صوتا قويا.

قالت بالإيطالية: "حسنا، وداعا". وعلت الابتسامة وجهها، ثم اتجهت نحو الدرج المؤدي إلى السطح. فيم كانت تفكر؟ إن كان الرجل متزوجا أو أرملًا. ماذا...

"زيسيكًا؟". سمعت صوتا خلفها وتوقفت. لقد تبعها وعندما استدارت، شمّت رائحة عطر ما بعد الحلاقة.

"لا أعلم إن كنتِ وأصدقاءك تحبون الموسيقى الكلاسيكية".

أعطاه منشورا ورقيا: "سأعزف الليلة مقطوعة الفصول الأربعة ليفالدي". نظرت جيسيكًا إلى المنشور بشيء من الدهشة. رأت صورة لخماسية وترية، يتوسطها رجل وسيم يحمل بين يديه القويتين آلة الكمان. "سأسألهم".

"يمكنني أن أوفر لك تذكرتين مجانيّتين، وسيتوجب على البقية دفع ثمن تذاكرهم".

"شكرا".

ابتسمت جيسيكًا، وطوت المنشور طيتين، ثم استدارت، ومشت نحو الشاطئ. كان الهواء رطبا مما أدى إلى التصاق قميصها بظهرها. ومع ذلك، أحست أنها أخف من أي وقت مضى.

أنارت أضواء المصابيح الكاشفة الفناء حين ذهب عناصر الشرطة إلى الشاطئ، وحامت مروحيتان فوق البحر بحثا عن آثار على الجليد. صاحت جيسيكا: "امشوا بصف منتظم واحذروا". نظرت إلى الأمام بتركيز. سارت المجموعة على الجانب الأيسر للمنزل وهو نفس المسار الذي اتبعه المحققون والدورية ليذهبوا إلى الشاطئ. تم تصوير آثار الأحذية ونمذجتها من أجل التحقيقات القادمة، وقد امتدت من أسفل الطريق إلى منتصف الفناء الكبير. أوقفت جيسيكا الآخرين عن طريق إشارة من قبضتها وإبطاء خطواتها عندما وصلوا إلى الماء المتجمد.

كان الشاطئ مليئا بآثار أقدام خفف الثلج من علامتها، كانت الآثار تعود في الغالب إلى المشتبه به، بحسب تقرير سي أس أي فإن آثار الأقدام تمتد من الخط المائي لمنزل عائلة كوبونين إلى مضمار التزحلق الذي تم حرثه على بعد مئة ياردة. قالت جيسيكا في أثناء توقفها عند حافة الجليد: "لا بد من وجود أداة غريبة في مكان ما هنا. أبقاها هنا".

وقف لاس هالفيك إلى جانبها، وبدا وجهه هادئا كما لو أنه تأكد الآن من أن عمله وصل إلى المرحلة القصوى من الغرابة.

سألها هالفيك: "أداة غريبة؟". ثم وضع المصباح الطويل على كتفه.

أكملت قائلة: "هذا ما قاله كوبونين وإلا فلن يجدها أحد".

"ماذا سيجدون؟".

"الجثة الثانية".

تنفست جيسيكا هواء جليديا لاذعا، ونظرت إلى الشاطئ. رأت مقعدا خشبيا في منتصفه وعلى بُعد أمتار قليلة، بُتت عوامتان حمراوان في الجليد. كانت آثار

أقدام المشتبه به تسير في خط مستقيم من الجنوب، وتعبر المقعد، وتطوقه، وتصلع إلى الشاطئ عند حافة المياه.

قالت جيسিকা حالما دخلت في البحر المتجمد: "انتظروا هنا".

على بعد ثلاثة أمتار من الشاطئ، رأت بقعة جليدية مشوهة بمساحة متر مربع. همست: "اللعة". ثم اقتربت بحذر مما بدا فحاً؛ إنها حفرة في الجليد بذل شخص ما قصارى جهده ليغطيها. في كتاب كوبونين، يتم ربط الساحرة بالجليد. ترددت كلمات إرني الأخيرة في أذنيها.

نادت جيسিকা: "هالفيك".

ثم انحنت فوق الجليد الذي أصبح رطبا الآن. لم تكن الحفرة التي أحدثت في الجليد أكبر بكثير من كرة الشاطئ فقد كانت بعرض نصف قطر الكرة. أحست جيسিকা بهالفيك يقترب، لكنها لم تستطع تمالك نفسها، فبادرت بالتصرف. حاولت أن تدخل أصابعها بين كتلة الجليد التي تغطي الحفرة والجليد الذي يحيط بها، ولكن المياه كانت متجمدة. قال هالفيك: "جربي هذه".

أخرج هالفيك أداة متعددة الاستخدامات من حزامه، وحوّلها بيديه الماهرتين إلى سكين، ثم ركع بجانب جيسিকা، وضرب الجليد بضع ضربات حادة، فارتفعت الكتلة المجمدة كما يرتفع غطاء البثر.

قال هالفيك: "اللعة!!!". ثم ارتسمت على وجهه ملامح تدل على الترويع وعدم التصديق. هبت جيسিকা وشعرت برعشات في عمودها الفقري.

نظر هالفيك إلى المرساة الموجودة في قطعة الجليد التي يحملها: قطعة من البلاستيك تحوي سلكا سميكا مربوطا حولها. شعرت جيسিকা بالغثيان وقالت بهدوء: "اتصل بالدورية".

"سنحتاج إلى مساعدة من أجل نقلها إلى السطح".

طوى هالفيك الأداة متعددة الاستخدامات، وأعادها بقبضته القوية إلى علبة الموجودة على حزامه، ثم وقف وسلم السلك إلى جيسিকা. سمعته يقول: "ليأت أحد إلى هنا ويساعدنا".

كان السلك رطبا وباردا. لفته حول قبضتها حيث كان ترتدي قفازا، ثم نظرت إلى الحفرة في الجليد: كان لون المياه أسود، إنها تُمثل الظلام في شكل سائل. على الأرجح، هناك جثة امرأة في مكان ما في أعماق المياه الباردة ولا تمتلك جيسिका إلا سلكا، وهذا السلك يمثل جسرا بين الحياة والموت. بالرغم أنها كانت ترتدي سترة باركا⁽¹⁾ إلا أنها لاحظت ارتعاشها. تحدث هالفيك موقظا جيسिका من حلم يقظتها. استدارت وأعطته نهاية السلك لتراه مشدودا. هناك جثة بالفعل. وقفت لتدرك أن ركبتيها تخدرتا من ركوعها على السطح الجليدي، وأخذتا تنزفان عبر سروالها الرقيق.

سحب هالفيك وعنصر آخر يرتدي الزي العسكري السلك من المياه. أُضيئت المصابيح من جميع الجوانب. ذكّرت الإجراءات جيسिका بسحب فخ سرطان البحر من المياه. كان السلك طويلا: التف متر منه على الجليد، ثم متر آخر، وفي النهاية ارتفعت إلى السطح كتلة صلبة تشبه الطحالب. كان شعر المرأة أسود اللون، تماما مثل شعر ماريا كوبونين.

(1) سترة باركا: سترة فرائية مقلنة تلبس في مناطق القطب الشمالي (المترجم).

أرسلت الريح الحادة انجرافات ثلجية مسحوقة، فشكلت دوامة حول الجليد في حين راقبت جيسिका الحقيقية التي وُضعت فيها الجثة خلال نقلها إلى سيارة الإسعاف عبر نقالة. أغمضت جيسिका عينيها المرهقتين للحظة، لكن صورة العينين البنيتين والبشرة الفاتحة لم تفارقها.

قال يوسف الواقف خلفها: "يا لها من ليلة!". ثم أشعل سيجارة.

يلعب يوسف كرة القدم في دوري الدرجة الثانية في وقت فراغه، ونادراً ما كان يدخن، ما لم يكن شديد التوتر.

قالت جيسिका: "أعطني واحدة".

وضع سيجارة بين شفتيه، وهزّ رأسه، وأوماً إلى العناصر الذين يرتدون الزي الرسمي، ويدخنون في سيارة الشرطة. دَخَنَ ثم قدم السجائر إلى جيسिका. تنهدت ووضعت يديها في جيبي سترتها العميقين وقالت: "انس الأمر".

سأل يوسف: "هل هناك أخبار من إرني؟". ثم نفخ الدخان بشكل سريع.

"إنه يتحدث مع كوبونين، فهما يتحدثان عن جرائم القتل الموصوفة في كتبه".
"اللعنة! كم عددها؟ أعني الجرائم".

أجابته: "لا أعلم، هناك اثنتان في بداية الجزء الأول".

قال يوسف وهو يُعلّق سحاب سترته: "يا إلهي! ما هي الخطوة التالية؟".

"أنتظر اتصالاً من إرني في أية لحظة".

أشارت جيسिका إلى يوسف ليتنحى جانبا بعيداً عن النظرات الفضولية. بالرغم من أن الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة ليلاً، إلا أن المراسلين تجمعوا حول طوق الشرطة، وانضم إليهم المارة. تولى ستة عناصر مهمة مراقبة الشارع والمنازل والمتاجر ليتأكدوا من ألا يقوم أحد بالعبث بمسرح الجريمة. ملأ التوتر الجو. لقد

تسببت الأحداث غير المتوقعة التي حصلت مساء اليوم في بث التوتير في نفوس جميع الحاضرين. قالت جيسيكا بصوت منخفض: "لا يمكننا أن نفعل شيئاً في الوقت الحالي". وتوقفت عند سياج منزل آل كوبونين.

"لذلك لا نستطيع معرفة الاتجاه الذي جاء منه".

"إن لم يكن هذا الأمر مستحيلاً، فإنه في غاية الصعوبة. لقد تساقط الثلج طوال المساء، ويتفحص رجال الأدلة الجنائية مسار التزلج".
"هل أكد المسعفون ما إن كانت قد غرقت أم...".

أردفت جيسيكا في أثناء مشاهدتها الدخان يخرج من فتحتي أنف يوسف:
"سنعلم ذلك قريباً".

ألقى يوسف نظرة خاطفة على هاتفه "لم يُبلغ عن مفقودين".

"ليس بعد. لكن تم انتقاء الضحية بعناية، بناء على مظهرها فهي تشبه ماريا لدرجة يُخيل إليك أنها شقيقتها التوأم".

ألقى يوسف بسيجارته أرضاً وقال فجأة: "هل تمتلك واحدة؟".

"ماذا؟".

"شقيقة؟".

"لا".

مكتبة

t.me/t_pdf

اقترب صوت الشفرات الدوارة للمروحية، ونظرت جيسيكا إلى واجهة المنزل الفخم ثم تنهدت. إنها تعلم شعور الحياة في منزل يحوي غرفاً كثيرة لدرجة أنه يمكن أن يتحول إلى فندق صغير. تذكرت فجأة رائحة الجلد التي انبعثت من المقعد الخلفي للسيارة السوداء، ومن السياج المعدني الطويل، ومن الرجل اللطيف الذي كان يرتدي زي ضابط شرطة رغم أنه كان يعمل لصالح شركة أمنية. لا توجد أية وسائل حماية أو أسوار أو حراس كهؤلاء في فنلندا، ولا يوجد أي مشروع سكني مسوّر في البلاد كلها. يمكن لأي شخص رنّ جرس باب منزل أحدهم دون أن يقع في ورطة.

يُعد حي الواجهة البحرية كولوزاري أحد أفخم أحياء فنلندا. ومع ذلك فقد دخل شخص ما المنزل دون أن يلاحظه أحد وقتل ماريا كوبونين.

قال يوسف: "جيسيكا؟".

فاستفاقت من حلم يقظتها. أوماً إلى عنصر الشرطة الواقف أسفل الطريق الذي كان يلوح لهما ليأتيا إليه.. كان يتكلم مع امرأة عجوز ترتدي سترة باركا. قالت جيسيكا وهي تمد يدها إلى المرأة العجوز: "أنا النقيب جيسيكا نيمي".

تصافحتا وشعرت جيسيكا عندها بضعف عظام أصابعها. كان وجه المرأة المجدد مليئا بالبقع. لاحظت جيسيكا أن المرأة بدأت تحديق إلى يوسف مما أثار شكوكها. قالت المرأة بصوت ضعيف: "أنا آسفة لأنني لم أخرج قبل هذا الوقت". ثم نظرت إلى منزل آل كويونين بشيء من القلق، وأكملت قائلة: "لكنني كنت نائمة بعمق شديد لدرجة أنني..".

قالت جيسيكا: "لا داعي للاعتذار يا سيدي". ثم نظرت إلى البوابة المعدنية الخضراء والممر المنحدر الذي يرتفع خلفها وتساءلت عن قدرة المرأة العجوز على النزول إلى الشارع دون الانزلاق والسقوط. منحت جيسيكا المرأة فترة من الوقت لتجمع أفكارها، ونظرت إلى يوسف الذي بدا محبطا قليلا، ولكن من المستبعد جدا أن تكون امرأة عجوز نائمة بعمق قبل دقائق قليلة، لربما قد سمعت شيئا عن حادثة القتل. أخيرا قالت المرأة العجوز وهي تهز كتفها داخل معطفها: "يا له من أمر غريب!".

بدت المرأة لجيسيكا أشبه بسلحفاة ترتجف، وبدت عيناها خائفتين. مشت جيسيكا إلى الأمام. "ما الأمر سيدي؟".

"عليكما أن ترافقاني. لا أستطيع أن أتذكر". أشارت المرأة العجوز إليهما ليرافقاها. تبادل كل من يوسف وجيسيكا نظرات الحيرة، ثم تابعا سيرهما مع المرأة عبر الفناء. أشار يوسف لعنصر الدورية كي يبقى. همس يوسف: "ربما الحوض في منزلها مسدود أو...".

فأشارت إليه جيسيكا ليتوقف عن الكلام. صعدوا الممر المنحدر ببطء. في الجزء العلوي من الفناء الكبير يقع منزل خشبي، حيث بدت المصابيح مضاءة من إحدى نوافذ الطابق العلوي. بالرغم من الطقس البارد، والأحداث المتوترة ذلك

المساء، فقد تركت المرأة العجوز بابها الأمامي مفتوحا. أكملت العجوز كلامها حالما دخلت إلى المنزل: "يجب عليكم الصعود إلى الطابق العلوي".

علّقت البوركا على خطاف، ولكنها رفضت أن يخلع يوسف وجيسيكا حذاءيهما. أصدرت الأرضية المصقولة صوت صرير تحت أقدامهم، وانبعثت من المدخل روائح خشب قديم ورطب. تساءلت جيسيكا بعد أن بدا أن صبرها ينفد: "ماذا هناك في الطابق العلوي؟". مشت العجوز. فكّرت جيسيكا كثيرا لكنها لم تتمكن من التوصل إلى أي شيء قد يجدونه في الطابق العلوي من منزل المرأة يساعدهم في التحقيق.

قالت المرأة العجوز: "عليكما أن تريا بنفسيكما". ثم صعدت الدرج ببطء وإصرار. ألفت جيسيكا نظرة على يوسف الذي كان يهز كتفيه. أعلى الدرج هناك قاعة تمتلئ جدرانها بعشرات من الصور بالأبيض والأسود. كانت معظم هذه الصور لامرأة شابة مع عشرات الأطفال والمراهقين، ينظرون جميعهم إلى الكاميرا. ربما كانت المرأة معلمة.

انبعث الضوء من الباب المفتوح في نهاية القاعة التي كانوا يشقون طريقهم إليها بقيادة العجوز. قالت وهي تتخطى العتبة: "إنها غرفة نومي، أنا آسفة فلم يكن لدي وقت لترتيب السرير".

ابتسمت لها جيسيكا بفهم. كان كل شيء مرتبا بشكل مثالي: سرير، ومرآة، ومكتب، وكروسي بذراعين، وسجادة فارسية، وثرثيا صغيرة. مشت العجوز باتجاه النافذة، ووقفت هناك وعادت إليهما. نظرت جيسيكا بحذر إلى ساعة يدها. ربما كان يوسف محقا؛ ربما شوهدت الشيخوخة شعور العجوز بالواقع. مسحت جيسيكا شعرها المبلل بفعل الثلج. دارت المرأة ببطء حولها.

"أردت أن نرى شيئا سديتي". أصبح صوت جيسيكا الآن ميكانيكيا تقشعرّ له الأبدان.

"ماليوس ماليفركاروم"⁽¹⁾.

"عفوا؟" تجهم وجه جيسيكا وخطت بعيدا عن الغرفة.

كررت العجوز كلامها، بدت الكلمات باللغة اللاتينية.. هذا غريب. عم شعور المفاجأة الغرفة. خرجت الكلمات من فم العجوز كما لو أن الشفتين اللتين نطقتا بها كانتا ممسوستين. بدا وجهها مرتبكا وخائفا في آن واحد. مدت جيسيكا يدها بشكل غريزي إلى قراب المسدس فقد أصبح جسدها في حالة تأهب قصوى على الفور.

قالت العجوز بهدوء: "في عمري، تبدأ الذاكرة بالاضمحلال ولكن بصري جيد جدا". أشارت إلى النافذة. نظر كل من يوسف وجيسيكا بحذر. كانوا يقفون في الطابق العلوي من منزل مبني على قمة تلة، ومكون من ثلاثة طوابق، وأعلى بكثير من المنازل الأخرى الموجودة على الماء، ثم أدركت جيسيكا أن المرأة تشير إلى شيء موجود في الشارع لم يكن بوسعها رؤيته.

"ما هذا بحق الجحيم؟..."

بأحرف كبيرة، كُتب على سطح منزل آل كوبونين المغطى بالثلوج ماليوس ماليفركاروم، رفعت جيسيكا هاتفها إلى أذنها ونظرت إلى يوسف. اختفت نظرة السخرية التي كانت ترسم على وجه زميلها منذ لحظة. بدت نظرة يوسف أشبه بنظرة شخص رأى شبحا.

(1) مطرقة الساحرات (المترجم).

اتكأ المحقق الرئيسي إرني ميكسون على كرسيه، وبدأ بفرك معصميه، كان مكتبه مغطى بمنشورات عشوائية طُبعت من الإنترنت ومقتطفات من النصوص والصور التي عثر عليها إرني ببحث سريع. *مالْيوس ماليفركاروم* لا يشير المصطلح إلى فرقة موسيقية فرنسية تعزف الميتال فحسب، بل يشير أيضا إلى كتاب عن عمليات مطاردة الساحرات في القرن الخامس عشر، فهو يعني "مطرقة الساحرة" وفقا لويكيبيديا، يقدم الدليل ذو السمعة المشكوك فيها، الذي جمعه المحقق هاينريش كرامر تعليمات مفصلة حول كيفية استجواب الساحرات المشتبه بهن، وتعذيبهن، ومعاقبتهن.

من خلال قليل من البحث يتبين أن هناك ترجمة فنلندية للكتاب، وتجري حاليا طباعة نسخة منها لوحدة الشرطة. أنهى إرني للتو مكالمته مع رئيسه، الذي وعده في نهاية المكالمة بمدّه صباح اليوم التالي بمزيد من الموارد لاستخدامها في التحقيق. زادت الكلمتان المكتوبتان على السطح من الغموض المحيط بجريمتي القتل، لا سيما أنه لا يوجد ذكرٌ لشيء شبيه بهذا في روايات روجر كوبونين، وهذا يعني أن حادثتي القتل قد نُفذتا وفقا لخيال كوبونين، لكن النص المكتوب على سطح المنزل الذي كان بمثابة مسرح الجريمة يبدو وكأنه مزحة أُطلقت بفعل نزوة. سمع إرني إشارة خافتة ثم نظر ليقراً ما ظهر على ميزان الحرارة 37.7.

اللعة، لا يمكن لهذا أن يحدث فهو عادة ما يعاني من ارتفاع في درجة حرارته على شكل موجات حارة وضعيفة. لم يلحظ هذا الآن. شعر بإحباط ولمس جبهته ووضع ميزان الحرارة مرة أخرى تحت إبطه ليحصل على قراءة أخرى، ثم أخرج علكة نيكوتين من العلبة ووضعها في فمه. تلاشى طعم الفواكه بسرعة، وانتشر شعور بالحرقة في الجزء الخلفي من حلقة. لقد توقفت الرياح تاركة مكتب

التخطيط المفتوح صامتا إلى حد الإزعاج. قال إرني وهو يحاول دفن شعور الخنز الذي يشعر به: "جيسिका".

بدا الصوت الخارج من مكبر صوت الهاتف متعبا، ولكنه مليء بالإصرار: "هل من جديد؟".

"سأتحدث إلى كوبونين مرة أخرى في غضون دقيقة. فقد توصلنا إلى استنتاج مفاده أنه سيكون من الأفضل أن يتوجه إلى هلسنكي على الفور. سيقود السيارة شخص من سافونلينا".

"أتفهم ذلك".

"سنحصل على تعزيزات في الصباح".

استطاع إرني الشعور بنفاد صبره، فقد خالف مبادئه، واتصل بمرؤوسه بالرغم من أنه لا جديد في القضية.
"جيد".

"أنتم يا رفاق ستعودون إلى المنزل، سأحتاج إليكم في وقت مبكر من الغد. سنركّز الليلة على تعقب المشتبه به من خلال الدوريات والكلاب البوليسية. سنمسك بهذا الأحمق".
"هل تعتقد ذلك؟".

قال إرني بثقة كبيرة بالنفس: "بالطبع". وأمسك بإحدى الرسومات التي طبعها. بدا من نمطها أنها تعود إلى القرون الوسطى، فهي تصور الأشخاص العاديين الذين يتحدثون مع الكائنات ذات القرون. الشياطين، ربما كانوا شياطين. كانت الصورة المجاورة لها أكثر واقعية من ناحية التقنية. تمثل الصورة امرأة قيّد كاحلاها، وعُلّقت من ذراعها، إضافة إلى رجال ذوي عيون صارمة، يلبسون ثيابا داكنة، ويتحدثون إلى السجينة. لا شك في أن هذا تصوير لنوع من المحاكمة التعسفية أو التعذيب. أيا يكن الأمر، فقد بدت المرأة مرعوبة. وصل صوت جيسिका إليه وسط المشاهد الشيطانية. "إن أردت ذلك".
"ماذا؟".

"سنحصل على قسط من النوم".

قال إرني بشكل مشتت: "أراك في الصباح". وسمع جيسيكا تنهي المكالمة. نقر على صور امرأة لُقبِت بالاسم المريب (أميرة الجليد)، كان وجهها الباهت الجميل هادئا، كما لو أنها خلدت إلى النوم لمئة عام وستستيقظ يوما ما. التقط إرني بعضا من الرسومات التي تعود إلى القرون الوسطى؛ صور لنيران ولنساء محروقات وحشود تهتف. اللهب. التعذيب. يبدو كل هذا مألوفا فقد استُخدمت صور مشابهة على أغلفة كتب روجر كوبونين. تم ارتكاب كل هذه الجرائم من قبل محاكم التفتيش وهي جسد الكنيسة الكاثوليكية التي أنشأت الهرطقة.

ارتجف إرني، لم تكن هناك ساحرات بالطبع، ولكن مع ذلك فقد حدث كل هذا، قُتلت نساء بريئات بأمر من محاكم التفتيش. والآن بدأ شخص ما بنسخ كل الجرائم البشعة. هل هو رجل سادي قرر أن تكون سمة جرائمه هي أعمال القرون الوسطى وكتب روجر كوبونين؟ هل يمكن أن يكون الجاني مضطربا لدرجة أن يتخيل أنه يقوم بعمل جيد، ويخلص العالم من الساحرات؟ تنهد إرني بعمق وأغمض عينيه. رن مقياس الحرارة 37.7.

جعلت المعلومات رأسه يتعرق. اعتاد على قياس درجة حرارة جسده منذ سنوات، بشكل إلزامي. في أسوأ الأحوال كان إرني يدفع مقياس الحرارة تحت إبطه مرتين إلى أربع مرات في الساعة، ويضع يوميا علامة على أكثر من خمسين قياسا في دفتر ملاحظاته. بالنظر إلى الماضي، علم أن هذا عديم الجدوى. يعلم الآن أن ذلك غير مفيد، وعده الطبيب بأن يتصل ويخبره عن نتائج التحاليل غدا.

لم يكن هناك وقت محدد للاتصال، بل أي وقت ضمن ساعات العمل، يا لهم من دجالين لعينين! هل من المستحيل تعيين وقت أكثر دقة بشأن مكالمة تحمل أخبارا قد تكون خطيرة.

توقف يوسف عند تقاطع موسيوكاتو وتولتينكاتو. بدا برج المتحف الوطني سريليا تحت السماء السوداء إذ كان مضاء بأضواء المدينة والقمر، كناطقات السحاب خارج مدينة غوثام. كانت رقاقت الثلج التي تنجرف في الهواء صغيرة جدا وتحجب الألوان في الصورة.

قالت جيسيكيا: "ذُكرني لاحقا بأن على أحدهم التحدث إلى زملاء ماريا كوبونين ورئيسها في الصباح الباكر."

أوما يوسف موافقا: "هل تريدني أن أقلق في الصباح؟". نفخ نظام التهوية والتكييف في السيارة الهواء الساخن. ألقت جيسيكيا نظرة على الوقت الظاهر على وحدة التحكم المركزية في السيارة وقالت: "لا، شكرا. سأذهب بمفردي. احصل أنت على أكبر قدر ممكن من النوم. سيكون الغد يوما طويلا".

إنها الساعة 1:47 بعد منتصف الليل. فتحت جيسيكيا باب السيارة، وهبت عاصفة شديدة على السيارة الدافئة. "أراك في المقر، عند الساعة الثامنة. شكرا على قيادة السيارة إلى منزلي".

أغلقت جيسيكيا سترتها وخرجت. توقفت سيارة أجرة عن العمل في موقف سيارات الأجرة لأنه من غير المرجح أن يحتاج أحد إليها في مثل هذه الساعة. شاهدت جيسيكيا سيارة يوسف من طراز فولكسفاغن غولف تتوجه إلى مانيرهيمايتي، وتختفي عن الأنظار.

أخرجت هاتفها المحمول. هل فوبو مستيقظ؟ جيسيكيا مرهقة، لكنها تعلم أنها لن تستطيع الخلود إلى النوم على الفور، فهي لم تتمكن من التوقف عن التفكير في ماريا كوبونين والمرأة التي كانت تحت الجليد. جريمتا القتل اللتان نُفذتا بطريقتين مختلفتين، امرأتان جميلتان تمتلكان شعرا داكنا. شعرت

جيسيكا بدفء يتسلل إلى أصابعها، وتدفق الدم عبر عروقها، وأمكنها سماع اندفاعه في أذنيها، أثرت فيها أنوثة الضحيتين المتميزة، وجعلتها تفكر في الجميلتين اللتين سلبتا الحياة، نظرت إلى نفسها بوصفها كائنا جنسيا. إنها هنا، وهي على قيد الحياة.

"جيسي؟". بدا الصوت الذكوري متفاجئا.

"هل أنت... نائم؟".

"نائم؟ اللعنة. أنا مستعد من أجلك".

"أنا...". تنهدت جيسيكا، وعبرت الممر ممسكة بها تفهما.

هبث الريح على مصابيح الشوارع. سأل فوبو بجديّة أكبر: "هل كل شيء على

ما يرام؟". فقد جعله صوت جيسيكا يشعر أنها مكالمة غير عادية.

"لقد كانت ليلة مجنونة".

"هل تريد أن نتحدث عن الأمر؟".

"لا أستطيع، حتى لو كنت أرغب في ذلك". أخرجت جيسيكا مفاتيح

المنزل من جيبتها. سمعت صوتا يصدر من مقعد المرحاض في الطرف الآخر

من المكالمة. كان يمكن لجيسيكا أن تتخيل منزل فوبو القذر حيث يعيش

بمفرده، ويمكنها أن تستذكر الملاءات التي تنبعث منها رائحة الجنس والعطر،

ليس عطرها وحدها بل عطر امرأة أخرى أيضا. تريد أن تشعر بجسد يلتصق

بجسدها، تريد أن تشعر به داخلها حتى تفقد القدرة على الاحتمال، حتى تشعر

بالتعب، حتى تنام. تريد أن تستيقظ في الصباح، وتغادر وهي تعلم أنها لن تعود

بالضرورة.

سأل فوبو بعد صمت قصير: "هل ترغيبين في القدوم؟".

"ربما، لكن عليّ أن أستيقظ بعد خمس ساعات".

"لسنا مضطرين للنوم".

سمعت جيسيكا صوت المرحاض. تخيلته في سريره يرتدي ملبسه الداخلية

الفضفاضة. كانت صورة دافئة وآمنة تماما كما كانت تحتاج، ولكن بدأت أفكارها

تتجه مرة أخرى إلى وجه ماريّا كوبونين، وإلى مساحيق التجميل التي كانت تغطي وجهها، وإلى أظفارها المزينة. تسلل البرد إلى جسدها.
قالت جيسيكا: "ربما غدا. شكرا على الدعوة". وفتحت باب المبنى. "أنا جاهز دائما لأية خدمة أيتها المحققة".

خرجت جيسيكاً إلى الطابق الخامس، وأغلقت بوابة المصعد القديم. وضعت المفتاح في قفل الباب الذي علقت عليه لوحة نحاسية تحمل الاسم نيمي. دخلت وأنارت الأضواء في شقتها الصغيرة، وفتحت النوافذ التي تطل على الفناء الداخلي. خلعت حذاءها، وعلقت معطفها، وأمسكت بالبريد غير المرغوب الذي أدخلته شركة البريد عبر الفتحة المخصصة للبريد. وقفت في وسط الغرفة، ونظرت حولها، وأمسكت بمجموعة الأوراق في يدها.

في بعض الليالي، تمضي جيسيكاً ليلتها في الاستديو وتنام فيه، خاصة عندما تكون متعبة. يمثل الأمر بالنسبة إليها نوعاً من لعبة تبادل الأدوار، حيث يمثل الاستديو خيمة في الفناء الخلفي للمنزل، يمكنك أن ترتاح فيها من غير أن تتعرض لخطر حقيقي. لكن لم تمض جيسيكاً ليلة فيه منذ أسبوعين، كانت آخر ليلة هي الليلة التي اتصل بها فوبو في آخر الليل، كان ثملاً ولكنه كان وسيماً كعادته وعرض عليها "أفضل متعة على الإطلاق" بحسب تعبيره. بالرغم من أنه يتحدث بثقة مطلقة إلا أن أداءه كان منخفض المستوى وانتهى المطاف بجيسيكاً برمي بطانية على ضيفها، وتنظيف الفوضى التي أحدثها انزلاق كأس النبيذ من قبضته.

وضعت جيسيكاً البريد على الطاولة، واختارت مفتاحاً ثانياً من مجموعة مفاتيحها. يوجد باب أمامي آخر على الجدار الأيمن عند المدخل، بجانب الكوة. كان دائماً ما يبعث وجود بابين أماميين الفرحة في نفوس زائريها النادرين. فتحت جيسيكاً الباب وصعدت الدرج الثاني، لا يوجد مصعد هنا بل فقط سلالم تؤدي إلى الطابق السفلي والشرفة والعلية. هناك باب آخر للنزول وهو غير محدد. لم تحتج جيسيكاً إلى تشغيل أضواء الدرج فقد سمعت صوت إغلاق باب الاستديو. وضعت المفتاح المميز بحلقة المطاط الخضراء في القفل. دخل الضوء إلى الدرج

المظلم مرة أخرى، ولكن في هذه المرة، أدخلت جيسिका رمز حماية نظام الأمن قبل أن تسير في الممر الطويل.

دخلت غرفة كبيرة تطل فيها النوافذ على منظر بانورامي للخليج: عبر الحديقة إلى الخليج وجنوبا باتجاه مبنى البرلمان وإضاءة مانيرهيماتتي البراقة. كان تصميم الغرفة عبارة عن مزيج من الأثاث القديم والتصاميم الحديثة إضافة إلى الفن المحافظ والحديث. وخلف الأسرة، هناك خمس لوحات مزخرفة بأطر مزينة معلقة على الحائط الطويل. بالرغم من تباين أسلوبَي عمل شيرفيك وايديفيلت إلا أن اللوحات منسجمة مع بعضها تماما. مشت جيسिका في غرفة الجلوس، ومرت بالدرج الحلزوني المؤدي إلى الطابق الثاني، ثم دخلت إلى المطبخ الواسع، نقرت على الغلاية الكهربائية، وجلبت كوبا أبيض من الخزانة ووضعت على الطاولة، ثم وضعت يديها على طاولة من طراز بوجينوهل.

بغض النظر عن الخزائن فإن المطبخ يطابق مطبخ منزل عائلة كوبونين. بلغت تكلفته قبل ثلاث سنوات ثلاثة وستين ألف يورو بما في ذلك الأجهزة والتركيب. بدأت المياه تدريجيا بالغليان داخل الغلاية. فتحت جيسिका حاسوبها المحمول الموجود على الطاولة، وأدخلت كلمة المرور، ودخلت إلى محرك بحث غوغل لتكتب "مالوس مالفيركاروم".

لم تكن مطرقة الساحرات تعني لها شيئا منذ ساعة، إلا أنه بعد رؤيتها للنص مكتوبا على سطح منزل آل كوبونين، لم تقاوم البحث عنه في محرك غوغل. في الواقع، لا تقع مسؤولية البحث في الكتاب وتاريخه على كاهل جيسिका، فقد كلف إرني أمهر من في الوحدة: نينا ومايكل اللذين بدأ منذ منتصف الليل بقراءة أعمال روجر كوبونين، إضافة إلى جميع ما استطاعا معرفته عن مطرقة الساحرات. نينا ومايكل هما مصدر القوة في الوحدة المتخصصة بجرائم القتل فهما يستطيعان كشف التفاصيل المهمة للتحقيقات. المصادفة وحدها جعلتها تعرف أنهما يتواعدان خارج المقر رغم أنهما لا يعترفان بذلك أمام الجميع. شعرت جيسिका بإحباط، فنيينا تستحق رجلا وصديقا أفضل.

فتحت جيسيكامقال ويكيبيديا باللغة الإنكليزية فهي أشمل من نظيرتها باللغة الفنلندية، ووجدت فيها رسومات من القرون الوسطى توضح أساليب القتل المختلفة. استعرضت النص بدقة، بثت بعض الجمل الرعب في قلبها؛ يجوز تعذيب ساحرة مشتبه بها إلى أن تعترف أنها ساحرة. تعلم جيسيكامأن استخدام العنف النفسي أو الجسدي لانتزاع اعتراف ليس ظاهرة غير عادية حيث يحدث ذلك في الكثير من الدول الاستبدادية حتى يومنا هذا، لكن فكرة السحر بوصفها جريمة جنائية هي أمر سخيف.

كم بلغ عدد الأبرياء الذين عانوا من هذه الأساليب المروعة لمجرد أنهم كانوا زنادقة بنظر الكنيسة الكاثوليكية؟ كيف يمكن أن تتسبب جملة واحدة خاطئة أو شائعة مغلوطة أو تنبؤ غير دقيق بالطقس برمي أحدهم في النيران في حين أن الحشود المتعطشة إلى الدماء تهتف بجانبه؟ فتحت جيسيكامالنسخة المطبوعة التي قدمها لها إرني، وأدخلت اسم صاحب عمل ماريا كوبونين في محرك البحث وتصفحت الموقع الإلكتروني الأنيق لشركة نيروفارم؛ الشركة المصنعة للعقاقير المضادة للذهان.

مهما يكن ذلك، يمكنها أن تكلف رئيس وحدة الدفع راسموس بالمزيد من التحقيقات. بدأ الماء يغلي في الغلاية، رفعت جيسيكامعينها عن الشاشة، ووضعت كيس الشاي والماء المغلي في الكوب. أصبح الكوب حارا وشعرت جيسيكامبخدر في أصابعها. لقد مر وقت طويل منذ أن أرادت جيسيكامأن تخدر خلايا جسمها لا أصابعها فقط. أغلقت جيسيكامحاسوبها المحمول، ودلكت عينها. في الواقع، إنها تشعر برغبة عميقة في التعمق في البحث بالقضية، لكن دماغها يحتاج إلى قسط من الراحة. أمسكت بكوب الشاي وذهبت إلى غرفة الجلوس. كانت تشبه المتحف الذي يحدث كل عام، فقد حدثت البيانو القديم ومجموعة الطاولات التي تتوارثها الأسرة منذ قرن. أفسحت الخلفية ذات اللون الزنبرقي مجالا للطلاء الشاحب الرمادي بالظهور. ومع ذلك، تبدو الشقة مصابة بانفصام كما لو أن الشخص الذي يعيش هنا ليس بإمكانه أن يقرر ما إن كان يبلغ من العمر ثلاثين أم ثمانين عاما.

لسبب ما، أصبح هذا يزعجها في الآونة الأخيرة، فالبرودة تملؤها كما لو كانت الريح الموجودة في الخارج قد استقرت في داخلها. وجدت نفسها نادمة لأنها لم تلتق بفوبو. المنزل الذي وُلدت فيه منذ زمن بعيد يشعرها بالأمان، ولم تشعر يوماً أنه كبير بشكل مبالغ به أو خالٍ، ولم يشعرها بالوحدة. لكن جيسيكا واثقة من أنها لن تتمكن من النوم اليوم.

همسة، لم تأتِ من مكان قريب بل من مكان بعيد جداً، هذا هو السبب الذي لم يجعل ذلك غير معتاد. فتحت جيسيكا عينيها، كانت غرفة الجلوس مظلمة فقد أطفأ المؤقت التلفاز عندما أشارت الساعة إلى الثالثة والنصف بعد منتصف الليل، عوت الرياح في الخارج، وصرت النوافذ. مع ذلك، فالجو حار في الداخل.

همسة. جلست جيسيكا. من هناك؟ فكرت جيسيكا، رغم أنها تعلم أن والدتها هي صاحبة الصوت. كان في يوم من الأيام أجمل صوت في العالم. تذكرت أنها شعرت به كهمسمة في أذنها عندما اخترقت أشعة الشمس جفنيها المغلقين، وتذكرت اليدين الحساستين اللتين حملتاها وأمسكتا بها.

همسة. لا بد أن أم جيسيكا تعلم أنها مستيقظة. فلماذا لا تزال تهمس؟ ما الأمر يا أمي؟ لكن والدتها لم تُجب. بل جلست إلى طاولة الطعام الطويلة، وأولت ظهرها لجيسيكا. هل تأخرت عن الفطور؟ هل جنتت يا أمي؟ لا تغضبي يا أمي.

همسة، وقفت جيسيكا ببطء، وشعرت أن قدميها خفيفتان للغاية، أما ركبتيها فهما أكثر صلابة مما هما عليه في العادة خلال الصباح. ما من شيء يؤلمها. اتجهت بسهولة نحو طاولة المطبخ وقالت: "أمي؟". وعلمت الآن أنها لم تستطع تمييز صوتها، فهو ليس صوت طفل بل صوت بالغ. لكن أمها لم تستدر. استراح الشعر الأسود على كتفيها العاريتين، فقد بدت والدتها كما لو أنها في طريقها إلى حفلة وقد وضعت حذاء ذا كعب لولبي رائع أسفل الكرسي بجانب قدميها العاريتين، وكانت ترتدي ثوبها الأسود الذي ارتدته لأول حفل توزيع جوائز كبير.

همسة، ابتسمت جيسيكا عندما علمت أن أمها تتحدث بلغة أجنبية. كانت جيسيكا تتحدث الإنكليزية مع صديقاتها في المدرسة، والسويدية في المنزل مع والدتها، والفنلندية مع والدها. لكن اللغة التي تهمس بها والدتها هذا الصباح هي لغة

غير مألوفة بالنسبة إلى جيسيكا، لم تفهم ما تعنيه الكلمات وهي تتحدث بطريقة آلية مشؤومة كما لو كانت تقرأ شيئاً من ورقة، شيئاً لا تفهمه هي نفسها. فجأة، طرأت فكرة مخيفة على عقل جيسيكا: ماذا لو كان الشخص الذي يجلس هنا ليس أمها، بالرغم من أنها تبدو مثلها؟ لا تزال جيسيكا غير قادرة على رؤية وجهها، ولكن كتبها كانتا مثل الرخام، وقد شكّل ضوء القمر الذي يسطع من النافذة جسرا نحو الكرسي حيث كانت تجلس والدتها.

قالت جيسيكا بهدوء وهي تسير نحو طاولة الطعام: "أمي؟".

تريدها أن تستدير لتظهر لها ابتسامتها الجميلة ولتضممها، فهي تريد أن تشعر أنها طفل. تريد أن يبدو العالم كما بدا عندما كانت طفلة في السادسة من عمرها. صدحت أغنية (إيماجين) لجون لينون من مكبرات الصوت. انبعثت رائحة غريبة من الغرفة، تماما كالأشياء التي يضعها والد جيسيكا في الحوش أحيانا، ولكنه لم يظهر هذا الصباح.

همسة، خرجت الكلمات وكأنها همسات تخرج من بين أسنان فهي تحتوي على قدر كبير من الغضب والعدوانية. أصبحت جيسيكا وراء أمها، ولا مست كتبها العارية.

بدأت الأم تستدير ببطء. إنها أمها حقاً! لكن الابتسامة التي ترسم على وجهها ليست ذاتها التي كانت تأمل رؤيتها، وليست ذاتها التي كانت ترسم على شفيتها عادة عندما كانت توظف ابنتها، لم تكن ابتسامة سعيدة على الإطلاق! شعرت جيسيكا بالرعب يتسلل إلى جسدها، ولم تتمكن من التحرك. حاولت أن تصرخ، لكن جل ما استطاعت فعله هو إطلاق شهقة. نهضت أمها بثبات، ولكن حركاتها كانت صلبة وغير طبيعية كما لو أن أحدهم سحق كل عظام جسدها وأعاد لصقها بشكل عشوائي. حاولت جيسيكا أن تخطو إلى الورا، لكن باطني قدميها كانا راسخين في الأرض، لقد ثبتت في مكانها. همست الأم وخطت خطوة باتجاهها: "انظري إلى المرأة". ثم مدت يديها، ورفعت أصابعها كمخالب النسر، تلك الأصابع التي كانت مستعدة للانقضاض على شعرها.

شعرت جيسيكا أنها تسقط، فأمسكت البطانية بأصابعها، وتبللت الأرائك بالعرق. كانت غرفة الجلوس مظلمة، وقد أطفأ المؤقت التلفاز. دقت الساعة مشيرة إلى الثالثة والنصف صباحاً. عوت الرياح في الخارج وصرت النوافذ، أما درجة الحرارة فقد بلغت الثلاثين.

نظرت المرأة التي يبدو أنها في منتصف العمر، بعظامها الحادة إلى جيسिका وتفحصتها بسرعة. قبل فترة قصيرة، أخبرتها جيسिका أنها ستكون ضيفة على كولومبانو.

قالت المرأة باللغة الإيطالية: "لقد خصصت تذكرتين لك".
"أنا وحدي".

قالت المرأة: "نعم، بالطبع" ما أجبر جيسिका على الابتسام.
"أهلا بك".

وضعت جيسिका البرنامج في حقيبتها، ثم تجاوزت البائعة، وشعرت بالنظرة النقدية التي ترمقها بها المرأة من الخلف. الجو في الداخل بارد بشكل لطيف، أما الجدران فمزخرفة بشكل مشابه للكنيسة، لكن ما ينقصها هو الأعمال الفنية والدينية. بدأ الأشخاص بالتدفق تدريجيا إلى قاعة الحفلات الموسيقية الصغيرة، ارتدى بعضهم قمصان بولو وسراويل قصيرة، أما بعضهم الآخر فارتدوا ملابس فاخرة كما لو كانوا يخططون لحضور حفل أوبرا. ترددت أصوات لغات كثيرة في الصالة العليا، فقد كانت غالبية رواد الحفل من السياح. بحسب اللافتة الموجودة في الخارج، فإن التذاكر لا تكلف أكثر من بضع عشرات من اليورو، لكن من غير المحتمل أن تكون جيسिका في مكان ما في الصالة العليا. ارتدت جيسिका ثوبا أزرق داكنا، وانتعلت حذاء عالي الكعب.

تعلم أنها تبدو جميلة، لكنها لا تعلم ما إن كانت ترتدي هذه الملابس الجميلة من أجل الحفلة أم من أجل كولومبانو. عندما كانت تتبرج في غرفة الفندق، شعرت بموجة مفاجئة من عدم اليقين، ثم عادت إليها صورة كولومبانو باكيا والشريط المعدني الملتف حول إصبعه الأيسر.

بالرغم من أنه أحضر تذكرتين لجيسيكا فهذا لا يعني أنه يبحث عن شريك. هل سيبدو مجيئها وحيدة غريبا؟ الأهم من هذا، هل سيكتشف أنها كذبت بشأن أصدقائها؟ هل سيتعرف إليها في الحشد؟ هل سيلقي عليها التحية؟ هل ستتاح لهما الفرصة ليتبادلا أطراف الحديث بعد الحفل؟

سحبت جيسيكا التذكرة مرة أخرى، وألقت نظرة عليها. لم تكن المقاعد مرقمة، ولكن الصفوف القليلة الأولى كانت ممتلئة بالكامل. يبدو أن غالبية الجمهور من كبار السن، لكن ظهرت بين الحشود بعض الوجوه الشابة. جلست في مقعد في الوسط، ووضعت حقيبتها في حضنها.

احتلت أربع آلات وترية مكانها على المسرح، فقد كان كل من الباس والتشيلو متكئين على قاعدتهما. أما آلتا الكمان الباقيتان فكانتا على كرسيين.

شعرت جيسيكا بالمرارة في فمها، فقد سبق لها أن طلبت قبل أن تأتي زجاجة بروسيكو من أحد المقاهي، لتشرب كأسين قبل أن ترمي ما تبقى من الزجاجة. شعرت بدفء الكحول في معدتها، فدبت السكينة في نفسها، تماما مثل يد صديق تثق به على كتفها. مرت خمس عشرة دقيقة أخرى قبل أن يجد الضيوف مقاعدهم. من الواضح أن تذاكر الحفل لم تنفذ إذ لا يزال هناك العديد من المقاعد الشاغرة. أخيرا، صدر صوت من مكبرات الصوت، خفت الإضاءة قليلا، واختفت الثرثرة كما لو أن أحدهم قد أطفأها بواسطة أحد الأزرار. بدأت أصوات وقع أقدام تقترب في الجزء الخلفي من القاعة، وبدأ الجمهور بالتصفيق. سار الموسيقيون من جانبها رجالا ونساء، من كل الأعمار، مرتدين ملابس رسمية، ومتجهين إلى المسرح، ليتخذ كل منهم مباشرة مقعده، متناولا آلة خشبية ماهو غانية.

بدأت الأصوات تتردد في القاعة الصامتة. لم يكن كولومبانو على المسرح. نظرت جيسيكا إلى الأبواب في الجزء الخلفي من القاعة، فرأتها مغلقة. ماذا يحدث هنا؟ يجب أن تكون في المكان الصحيح فقد كان اسمها على قائمة المدعوين، وقال كولومبانو إنه سيؤدي مقطوعة. سحبت جيسيكا البرنامج من حقيبتها، قاعة الحفلات هي نفسها الموجودة في الصورة ويبدو أنه، على الأقل، بعض أعضاء

الأوركسترا هم أنفسهم الموسيقيون في الصورة. لكن لماذا لم تره؟ هل حدث له مكروه؟ استقرت الآلات في أيدي الموسيقيين، وانحنت أقواس آلات الكمان في الهواء، وأوماً الموسيقيون إلى بعضهم، ثم بدأت أقواس العزف بضرب أوتار الآلات المشدودة. كانت حركة الأقواس مضبوطة بشكل دقيق مما خلق نغمة جميلة اقشعرت لها الأبدان.

نظرت إلى البرنامج: المؤلف: باخ، المقطوعة: لحن على الصول. كان اللحن جميلاً لدرجة أنه حبس الأنفاس. أغمضت عينيها، ورأت تلاً مزروعاً بالأزهار، وكانت تقف عند حافة القبر وهي تشعر بالأشخاص الواقفين حولها، أما عمته تينا، فكانت تضع يدها على كتف جيسिका، انهمرت الدموع من خديها، كانت الأزهار بيضاء اللون، إنه لون أمها المفضل. لم تدم المعزوفة الموسيقية لأكثر من بضع دقائق، ولكنها مثلت بالنسبة إليها رحلة في الماضي وخلوداً مَرَّ بسرعة كبيرة، ثم انتهى الأمر.

صَفَّق الجمهور مرة أخرى، ومَرَّت دقيقة قبل أن تستطيع جيسिका جمع أفكارها والانضمام إلى الجمهور الذي يُصَفَّق. تلاشى الصوت للحظة، ثم بدأ من جديد. مشى رجل مبتسم بالقرب منها يحمل آلة كمان واتجه نحو المسرح، إنه كولومبانو. سيقدم عزفاً منفرداً! إنه نجم العرض. وضعت جيسिका ساقاً فوق الأخرى وعدلت جلستها. أشرقت روحها، وأنزلت يديها إلى حضنها وشاهدت الرجل الوسيم يصعد إلى المسرح ويسند آلة الكمان تحت ذقنه ويتسمم للجمهور. لكنه قبل كل شيء ابتسم لها.

أمسكت سانا بوركا كبيرة المحققين بالمقود وحدثت أمامها. كان المسحوق الموجود على الطريق السريع يعطي توهجاً عالياً. لم يُنر الضوء الثلج على جانبي الطريق فحسب، بل أنار أيضاً جذوع الأشجار العارية التي أخفت ظلاماً دامساً خلفها. لقد بدأت قيادة السيارة في الثلوج الكثيفة منذ ساعة، ولكن لا يزال أمامهما أكثر من ثلاث ساعات قبل أن يصلا إلى هلسنكي (دون توقف).

أخبرها زميلها المفتش ميكسون أنه ما من داع للعجلة. المهم أن يصل كوبونين إلى هلسنكي بأمان حتى يتمكنوا من مراجعة الأمور في الصباح. أَلقت سانا

نظرة خاطفة على الخريطة الموجودة في السيارة. بمجرد عبورها جوفاً، يُفترض أن تتجه نحو الطريق السريع رقم 5 ثم إلى ميكيلي ثم إلى لاهتي ثم هلسنكي. لن يصبح الطريق طريقاً سريعاً حتى يصل إلى هينولا. بالرغم من عدم وجود زحمة سير تُذكر إلا أن القيادة على الطريق السريع الضيق هو أمر مرهق عندما تكون سائناً متعبة. لكن كل المركبات التي مروا بجانبها كانت ذاهبة في الاتجاه الآخر؛ أي لم تضطر سائناً لتجاوز أية مركبة.

قالت سائناً وهي تنظر إلى مرآة الرؤية الخلفية: "أخبرني إن وجدت حاجة إلى التوقف". لم تتحدث مع كوبونين على الإطلاق طوال الرحلة. كان المؤلف يجلس بهدوء شديد في المقعد الخلفي لسيارته الأودي لدرجة أن سائناً ظنت لبضع مرات أنه غارق في النوم. لكن كوبونين لم يغمض عينيه، بل كانت نظراته الفارغة طوال الوقت متجهة إلى الماضي الذي يمر أمامه كشريط سينمائي رتيب.

جلب معه بضع زجاجات كحول صغيرة جداً من الحانة الصغيرة في الفندق. سألهما كوبونين: "توقف؟!". ثم نظر إلى المقعد الأمامي، وتمكنت سائناً من شم أنفاسه التي تعبق برائحة الويسكي: "نعم، إذا...".

"إنها الواحدة والنصف بعد منتصف الليل، لأي سبب قد نتوقف؟".

كان صوت كوبونين منخفضاً. فرك تجاعيد جبهته. فكّرت سائناً في الردّ عليه، لكنها قررت ألا تفعل ذلك. حاولت أن تكون ودودة، وهذا يكفي، فمن غير الطبيعي أن تتوقع تصرفات عادية من أي شخص في مثل هذا الموقف. لا بد أنه تحت تأثير الصدمة، ربما يريد العودة إلى المنزل، والجلوس إلى جانب زوجته على الأريكة، وإخبارها بأن الجميع قد جُن.

لكن ماريا كوبونين ماتت، والآن أدركت سائناً ما الذي يتحدث عنه روجر كوبونين وزملائها، فقد ألقت نظرة خاطفة على الصورة التي أرسلها إرني ميكسون، لذا حُفرت النشوة المجمدة على وجه المرأة في رأس سائناً، وبدأت تتصورها وسط رقاقات الثلج المتلاثة في المصابيح الأمامية للسيارة.

قال كوبونين بحسرة: "أنا آسف".

صدر صوت فتح زجاجة في يده، فعادت سانا من خيالاتها. أظهر عداد السرعة أن السيارة قد تجاوزت سرعة المئة بقليل أي تجاوزت الحد الأقصى للسرعة وهي سرعة مبالغ بها بالنظر إلى الأحوال الجوية، بالرغم من أنها تستخدم العجلات المخصصة لهذا الطقس. أكمل كوبونين كلامه بصوت متعب: "لم أقصد أن أبدو وقحا". ثم رفع الزجاجة إلى شفثيه.

لم تكن سانا متأكدة مما إن كان الكحول مناسباً لكوبونين في الوقت الحالي، ولكن من ناحية أخرى، ربما سيساعد في تهدئته، وربما سيساعده على النوم. لم يعطها ميكسون أية تعليمات محددة إذ طلب إليها أن تضع كوبونين في سيارته وتقوده إلى هلسنكي. قالت سانا: "لا تقلق". ثم نظرت إلى الوراء. منعته سرعة القيادة من رؤية وجه كوبونين في الظلام، لكنها افترضت أن وجهه يُعبّر عن تصالح مع نفسه.

رفعت سانا قدمها عن دواسة الوقود. وسمعت صوت محرك (في 6) تحت غطاء محرك السيارة. أمسكت بأصابعها جلد المقود. يا لها من آلة رائعة! ربما ستمكّن يوماً ما من اقتناء السيارة التي تريدها لا السيارة التي تحتاج إليها فقط، قالت سانا: "سنكون في هلسنكي عند الساعة الرابعة والنصف على أبعد تقدير".

لم يستجب روجر، لكن سانا رأته يميل برأسه إلى الخلف. لم تذهب سانا إلى هلسنكي منذ فترة طويلة، ولم تنوِ البقاء هناك لفترة أطول من الفترة التي تحتمها عليها الضرورة القصوى. عليها أن تؤدي مهمتها اليوم على أية حال، ولم يختلف هذا اليوم عن أيام عملها الأخرى التي تقضيها في مركز الشرطة في سافونلينا سوى أنها على الطريق تقود سيارة رجل ماتت زوجته منذ فترة قصيرة، إلى جانب ذلك فهي لا تحصل في كثير من الأحيان على فرصة للجلوس خلف مقود سيارة فاخرة جديدة. سأل روجر: "هل قرأتِ كتيبي؟".

أجابت سانا: "لا". وصممت لأن مزيداً من الشرح سيبدو أمراً غريباً. تنهد كوبونين تنهيدة عميقة: "هناك أشياء غريبة فيها.. إن حصل كل شيء...". قالت سانا بهدوء: "ستسنى لك فرصة للحديث عن كل هذه الأمور عندما نصل إلى هلسنكي".

مرت لحظات قبل أن يتحدث أحدهما. ثم بدأت تسمع صوت بكاء من المقعد الخلفي، لم تكن متأكدة مما إن كان البكاء المفاجئ نتيجة إدراكه الآن أن زوجته قد توفيت أم لأنه بدأ يفكر في الأمور المروعة التي كتبها؛ تلك التخيلات المروعة التي ألهمت أحد المرضى لقتل زوجته. شعرت بالرغبة في قول شيء مريح، ولكن ما من شيء يبدو على ما يرام. لقد قالت كل ما يمكن أن يقال، يبدو أن المسافة بين المقعد الأمامي والخلفي قد بلغت أكثر من سنة ضوئية. بدأت الريح تضرب، وهز التيار الهوائي سيارة الأودي الضخمة. تساقط الثلوج على الإسفلت، وبدأت الرقاقت تدور في دوامات، ثم رأت سانا عبر مرآة الرؤية الخلفية ضوءاً ساطعاً يتقدم نحوهما.

حرق الويسكي حلقه، لكنه لم يخدره، فلم تكن الكمية كافية. قادت سانا السيارة مثبّته عينيها على الطريق. شعر روجر بدمه يغلي في عروقه، ثم تراجع شعوره بالدفع تاركا أصابعه باردة. تسارعت المناظر الطبيعة والأشجار الرتيبة خلف النافذة، وجعله السأم الكبير الذي خلفته الصنوبريات التي يغطيها الثلج يشعر بالغثيان. شعر برغبة كبيرة في قبول عرض سانا، والطلب إليها أن تتوقف. فهو يريد أن يندفع إلى الغابة ليغرق بين الأشجار كطائر مائي يغوص في بركة مليئة بالأعشاب، يريد أن يختفي في الوحل، ويضغط نفسه على الأرض، ويدفن نفسه في الثلج. يريد أن يدخل في سبات كالديبة من دون أن يفكر في الربيع القادم. إن ما حصل هو خطؤه فقد قتل ماريا، بدأ التفكير يُطلق شيئا ما في داخله، شعر بالدموع تنهمر على خديه، فتلوى فمه نتيجة بكاء شديد.

لقد حقق كل ما أراد: نجاحا أديبا وزوجة جميلة تنتظره في منزل كبير. لكن كل شيء انتهى الآن. شعر أنه كان يعيش ويكتب لماريا وحدها، وأن ردود أفعالها هي الأمر الذي كان يعيش من أجله، وأنه يرى نفسه من وجهة نظرها، فهو لم يكن معجبا بنفسه إلا بسببها. لكن ماريا رحلت ولن تعود، هل كان يحبها؟ ربما. كان يحبها بطريقة الخاصة على الأقل، لكنه سعى لكيلا يدعها تحتاج إلى شيء. هل كان هذا حبا؟ أم أن روجر كان يقوم بواجبه فحسب؟ لم يعلم الإجابة وهذا ما جعله يشعر بالذنب الحائق. لكن الأوان فات الآن.

ستضفي السعادة المفقودة البهجة على تلك الذكريات إلى الأبد. مرت شاحنة كبيرة بجانبهما. السيارة جميلة جدا: تحركت ماسحات الزجاج الأوتوماتيكية للحظة كالأيدي التي تلوح في حفل روك موسيقي، لم يمض على شراء السيارة ستة أسابيع وربما أقل. تم اختيار كل التفاصيل والملحقات والمفروشات الجلدية

بعناية العام الماضي. لم يبد أنها بداية جديدة بل بدت كالموت، كنعش يقوده 340 حصانا.

"اللعة! أطفئهما".

سأل روجر: "ماذا؟". ورفع الزجاجة إلى شفتيه. ألقت سانا نظرة خاطفة على المرأة. وأضاء ضوء ساطع من النافذة الخلفية للسيارة وقالت: "تضيء السيارة التي خلفنا مصابيحها العالية". ثم أدارت المرأة إلى الأسفل. مسح روجر زاوية عينه بكمه، ونظر إلى الورا وقال: "اللعة". استدار بسرعة، ولكنه علم أن السيارة على بعد عشرات الأمتار فقط. بعد لحظة خفتت أضواء السيارة، فقالت سانا لنفسها: "ستتجاوزنا الآن". وأمسكت المقود بكلتا يديها. نظر روجر ورأى السيارة تسير بجانبها.

خفت سانا من سرعة السيارة، فأصبحت بحدود الثمانين، لكن السيارة الأخرى لم تتجاوزها. رأى روجر غطاء محرك السيارة ذات الدفع الرباعي ينزلق بثبات حتى أصبحت تسير بتوازٍ مع سيارة الأودي. "ماذا يفعل بحق الجحيم؟". ألقت سانا نظرة خاطفة إلى جانبها. هناك ضوء أزرق محمول في مقعد الراكب، تم توصيله وأصبح جاهزا للاستخدام. أحضرته من باب الاحتياط. ستوقف الأمور الغربية التي تحصل في السيارة التي تسير بجانبها على الفور إن شغلت هذا الضوء. ألقى روجر نظرة خاطفة على وحدة التحكم في السيارة، انخفضت السرعة حتى وصلت إلى السبعين. كانت سيارة الدفع الرباعي ظلا ملازما إلى جانبها كسيارة جانبية. وكان الطريق أمامهما مهجورا، تلمست أصابع المحققة ضوء الشرطة المحمول، ورفعته ثم شغلته.

أضاء الضوء الأزرق نوافذ السيارة التي تلاحقهما، فتحت النافذة الخلفية لسيارة الدفع الرباعي. انزلت زجاجة الكونياك الصغيرة من أصابع روجر وتعرف إلى الوجه الذي يحرق من النافذة المفتوحة. وتشكل في الفراغ الأسود سؤال: "هل كتبتَ مخاوفك في كتبك؟".

اختلط الرنين بحلم إرني، ومرت لحظات قليلة قبل أن يستيقظ ويجلس إلى الأريكة الجلدية المهترئة. تسبب التكيف في نفخ الهواء البارد على وجهه، ما جعله يعاني من ألم في الرقبة. من المحتمل أن تكون الحمى التي يعاني منها قد ساءت. كان الرقم الذي يظهر على الشاشة يعود إلى سانا بوركا التي اتفق معها على جلب كوبونين من سافونلينا.

أشارت الساعة إلى الثالثة والرابع فجرا. كان المكتب المفتوح مهجورا. "مرحبا؟". وجد إرني صعوبة في الكلام واضطر للسعال. قال صوت أنثوي: "ريسبايس إن سيكولا ريسبلينديننت".

يشبه هذا الصوت صوت سانا بوركا لكن الصوت بطيء وكسول. "ماذا؟". صوت بكاء امرأة في الخلفية. حاول إرني أن يفهم ما يسمعه، لكن أفكاره لا تزال مرتبكة من النوم: "بوركا؟".

"ريسبايس إن سيكولا ريسبلينديننت".
"لم أفهم".

تمتم إرني، وجلس في مقعده إذ لم يكن تركيزه عاليا ليستطيع فهم ما يحصل: "ما الأمر؟". أحكم قبضته على الهاتف: "أين كوبونين؟". ثم سمع صوت صراخ وانقطع الاتصال. نظر إرني إلى شاشة هاتفه للحظة ثم استخرج رقم سانا بوركا من المكالمات الأخيرة.

الرقم الذي تحاول الوصول إليه غير متاح.
"اللعنة".

قبل ساعتين سجل إرني رقم روجر كوبونين، لكنه لم يتمكن من الوصول إليه أيضا. هناك شيء غريب. فرك إرني وجهه بقوة، ثم مشى في المكتب، واختار الرقم

التالي من قائمة الهاتف، وضغط على أيقونة الاتصال. أجاب صوت ذكوري: "شرطة سافونلينا". وكان في حالة تأهب بالنظر إلى هذا الوقت من اليوم.

"معك ميكسون. من مركز جرائم القتل في هلسنكي. متى غادر كل من بوركا وكوبونين منطقة سافونلينا؟".

"انتظر لحظة من فضلك..".

"متى انطلقا متوجهين إلى هلسنكي؟".

استقر إرني وسمع نقرات لوحة المفاتيح في الجانب الآخر. مرت عشر ثوان مؤلمة.

"وفقا للسجل، غادرا المركز عند الساعة 1:03 بعد منتصف الليل. ولكن، أليس من المفترض أن يكونا قد استقلا سيارته؟".

"نعم، لماذا؟".

"كان عليهما أن يأخذاها من مرأب السيارات في الفندق، أي لا بد أن الانطلاق قد استغرق منهما بعض الوقت الإضافي".

سكت العنصر المناوب، وجلس إرني ليعمل على حاسوبه، وأحس بالنبض في حلقه. سأل الضابط المناوب: "ألم تُجب بوركا؟".

"لا".

"لكن، لو حدث مكروه لهما على الطريق لكننا سنبُلع".

"إن حصل حادث ما..".

"ماذا أيضا؟..".

قال إرني: "اتصل بي على الفور إن وردتك أخبار جديدة". أنهى المكالمة. سمع الدم يندفع في أذنيه. خدشت الفروع العارية النافذة. فتح إرني خريطة على حاسوبه. هل غادر كوبونين وبوركا سافونلينا؟

1:03 بعد منتصف الليل إضافة إلى عشرين دقيقة. بدأ القيادة منذ ساعتين في الحد الأقصى. سحب إرني مؤشر فأرة الحاسوب على طول الطريق من فندق سوكوس في سافونلينا، وأوقفه بين ميكيلي وهينولا. همس إرني لنفسه: "تبا، تبا، تبا".

وبحث عن الرقم المخصص للسلطات.

رفع الهاتف إلى أذنه مرة أخرى، وحاول أن يتذكر ما قالته بوركا قبل ثانية فقط على الهاتف. ريسيس.. اللعنة.. ليس لهذه الكلمات معنى أصلا. أجاب عامل المناوبة الليلية على خط الطوارئ، لكن إرني تلغثم ووجد صعوبة في شرح ما يريد قوله. غمرته موجة من البرد.. كانت بوركا تتحدث اللاتينية.

جلست جيسيكا عند حافة الأريكة، وهدقت إلى طاولة الطعام، ثم شغلت المصباح الأرضي الذي يقع بجانب الأريكة. أصبح الظلام دامسا، لا تعتقد جيسيكا أنها مرت بموقف مشابه من قبل، ولم تشعر بمثل ذلك في أحلامها أيضا. هناك أمر غير عادي يحصل في القضية التي تعمل عليها، ربما الأمر غير العادي هو طريقة عمل الجاني، ربما شعرت جيسيكا بصدمة كبيرة جراء رؤيتها لمسرح الجريمة منذ بضع ساعات، وربما بسبب الأمرين معا. وفتت جيسيكا، وشعرت بألم في مفاصلها، وبطعنات حادة أسفل بطنها.

كانت جيسيكا تتساءل في بعض الأحيان عما إن كانت تستطيع القيام بشيء ما حيال الألم الذي تشعر به، ولكنه نادرا ما يكون بشدة سيئة تحملها على التفكير في زيارة الطبيب.

لاحق الألم جيسيكا لفترة طويلة من حياتها، لدرجة أنه أصبح جزءا من جسدها، وجزءا من ذاكرة جسدها، وهو جزء لا تريد أن تتخلى عنه، فقد تعامل رأسها منذ وقت طويل مع ما حدث، لكنها تنوي أن تمنح جسدها الوقت الذي يحتاج إليه لأنها تدين له بذلك.

مرت جيسيكا بجانب الكرسي الذي كانت والدتها تجلس عليه في الحلم، ونظرت إليه من زاوية عينها، ثم عادت إلى الكابوس المقلق للحظة. المرأة التي كانت تذكرها بأמהا لم تكن أمها. نظرت إلى المرأة. أصدرت الأرضية الخشبية صريرا تحت قدميها. توقفت للحظة ثم شعرت برعب كبير... تصاعد الأدرينالين في جسدها.

كان رداؤها معلقا على مسند ظهر الكرسي، في المكان الذي تركته فيه بعد الاستحمام. لا يوجد أحد في المطبخ. فقط رداء الحمام الذي شكّل خداعا بصريا مدهشا في الظلام. أمسكته ووضعتة على المنضدة، وهي تسمع صوت تنفسها

السريع، ثم نقرت على زر الغلاية الكهربائية، ومضت ساعة الراديو، ودقت الساعة معلنة أنها 3:46 فجرا.

تحتاج جيسيكا إلى النوم، وإلا سيكون يومها طويلا جدا. نظرت جيسيكا إلى النافذة، ورأت انعكاسا للحمام في الضوء، ورأت نفسها في الوسط، ترتدي قميصا وقد ربطت شعرها إلى الخلف. صعب عليها تحديد ملامح وجهها. نظرت إلى المرأة. ظهرت ماريا كوبونين في أحلام جيسيكا، في الوضع نفسه والملابس نفسها التي رأتها في مسرح الجريمة. لكن الوجه كان وجه والدتها. لم تكن تهتم أبدا بتفسير أحلامها، بالرغم من أنها كان تضطر أحيانا لذكرها في جلسات العلاج النفسي.

مع ذلك، لم تستطع الامتناع عن التفكير في أن الكلمات التي نطقها أمها في الحلم تعني شيئا، أصدرت معدتها صوتا، فهي لم تأكل شيئا منذ الغداء المتأخر التي تناولته بالأمس. تناولت قطعة خبز من السلة، ووضعت شريحتين في محمصة الخبز، ورفعت حرارتها، لأنها لم ترغب في الانتظار أكثر من اللازم. سمعت جيسيكا صوت الماء في الغلاية. لا يزال حاسوبها المحمول على الطاولة. أخذت جيسيكا كوبا أبيض جديدا من الخزانة، وصبت الماء من أجل إعداد الشاي، فشعرت بهاتفها يهتز في جيبتها، ثم شعرت بنبضها يرتفع. لم يكن إرني يتصل بها في منتصف الليل إلا في الحالات الخطيرة.

"إرني؟"

"هل أنت مستيقظة؟"

"نعم."

"آسف. لقد قصدت ما قلته في وقت سابق، يجب أن تحصلوا على قسط من

الراحة."

"ما الأمر؟"

"عثرنا على جثتين إضافيتين."

"حسنا". أدركت جيسيكا أن أخبار إرني لم تفاجئها بالرغم من فظاعتها، فقد

توقعت أن يحصل هذا. أجبرت جيسيكا نفسها على الانتظار، وتركت إرني ليختار

كلماته بعناية. كل ما سمعته لفترة طويلة هو تنفس ثقيل. في النهاية قال إرني: "اتصلي بيوسف وتعالا معا".

مشت جيسيكا متجهة إلى نافذة المطبخ. أصبح انعكاسها أكثر تميزاً، وأصبح مألوفاً أكثر من ذي قبل. شعرت بارتياح غريب كما لو أنها كانت خائفة من أن تكشف النافذة عن شيء لا تريد رؤيته.

أخيراً، سألت: "إرني؟ ماذا حدث؟".

"عُثر على جثتين في الغابة في جوفاً بالقرب من بحيرة سالاجارفي. على بعد ستين كيلومتراً غرب سافونلينا".

قالت جيسيكا بهدوء: "سافونلينا". ثم وضعت أصابعها على النافذة، وشعرت بالبرد كما لو أن الرياح الجليدية سارت في جسدها. أصغت بصمت إلى كلام إرني بالرغم من أنها تعلم ما سيقوله. سيارة كوبونين الأودي مهجورة. الهاتف المحمول لسانا بوركا. المكالمات غريبة. تنهد إرني: "نفترض أن الجثتين تعودان إلى...".

"ماذا تقصد بـ(نفترض)؟ إلى من تعودان؟...".

"جيسيكا، ليس من السهل التعرف إلى الجثتين فقد أُحرقتا".

"يا إلهي.."

في تلك اللحظة، صدر صوت قوي في المطبخ، وشعرت جيسيكا بخوف كبير. سقط الهاتف وملأت المطبخ رائحةً احتراقاً. حدثت إلى محمصة الخبز التي أخرجت للتو قطعتين من الخبز محترقتين.

مكتبة

t.me/t_pdf

فاحت رائحة السجائر في غرفة الاجتماعات، بالرغم من أنه لم يُسمح بالتدخين هناك منذ بداية الألفية. هدأت الرياح في الصباح الباكر، لكن الظلام لا يزال يُخيم على المكان. تطل النافذة على موقع البناء الضخم الذي يلف ساحة باسيلا للسكك الحديدية. كانت مهجورة بالرغم من وهج الأضواء الساطعة، أما ناطحات السحاب الشاهقة، فكانت مرتفعة كما لو أنها تلامس السماء، تماما مثل ديناصورات تنام واقفة.

أمسكت جيسيكا كوب الشاي ورفعته إلى شفيتها. كان الفريق كله هناك باستثناء إرني: يوسف، ونينا، ومايكل، ورasmus الذي كالعادة تفوح منه رائحة العرق. وفقا للنكتة التي يتناقلها الجميع في المقر فإن مزيل عرق رasmus هو أسوأ صديق في تاريخ العالم لأنه يخون صديقه كل يوم. إنه لأمر مدهش أن رasmus لم يسمع بالمزاح هذا لأنه إن سمع به، فلا بد أنه سيفعل أي شيء حيال ذلك.

راسموس سوسيكوسي محام متدرب، لكنه لم يُمض يوما واحدا في ميدان العمل، ومن الجدير بالذكر أن عمره يطابق عمر جيسيكا تقريبا. وبالرغم من ذلك - وبفضل ملاحظاته الحادة ومعرفته الكبيرة - فقد أثبت أنه مفيد جدا في التحقيقات.

بدأت نينا روسكا بالنقر على هاتفها بهدوء، نينا في الأربعينات من عمرها، وجهها حاد القسمات ويملؤه النمش. تبدو جميلة دائما بالرغم من أنها ترتدي سروال جينز وسترة مع قلنسوة.

جلس مايكل كارينيمي إلى جانبها يلوك علكته بغضب. مايكل بعمر نينا، وقد استسلم أخيرا في معركته ضد تساقط الشعر. دائما ما يرتدي قمصانا أنيقة. نظر إلى جيسيكا ورفع حاجبه واستدار بسرعة.

قال إرني: "صباح الخير". ثم أغلق الباب خلفه. بدأ الحاضرون الخمسة بالرد بصوت منخفض. "يبدأ المؤتمر الصحفي عند الساعة الثامنة. وبحلول ذلك الوقت، علينا أن نرسم خطأ أوليا للتحقيق على الأقل".

استخدم إرني جهاز التحكم عن بعد لتشغيل جهاز عرض الفيديو. عمت الغرفة الهمهمة الخافتة الصادرة عن الجهاز المتدلي من السقف. قال إرني: "هيا يا راسي". ومال على الطاولة.

بدأ الرجل كرية الرائحة بالكلام، وضغط نظارته بسبابته، وألقى نظرة سريعة على الآخرين قائلاً: "لقد قرأنا ثلاثية كوبونين مرة واحدة، وبدأنا بالقراءة للمرة ثانية لترى ما إذا كنا نستطيع أن نلاحظ تفاصيل لم نلاحظها في المرة الأولى. وجدنا ما مجموعه ثماني جرائم قتل، يمكن اعتبار سبع منها جرائم تحصل حسب طقوس وشعائر معينة، ولكل جريمة قتل يتم التحقيق فيها حالياً مقابل لها في رواية كوبونين".

كسرت كلمات راسموس التوتور الذي يسود الغرفة، فهي أكدت ما يعرفه الجميع. سأل إرني بهدوء وهو يطوي ذراعيه على صدره: "هل تحدثت الجرائم في الرواية بالترتيب نفسه؟".

نظرت جيسيكا إلى رئيسها ثم إلى راسموس الذي يجلس إلى جانبها. أجاب راسموس بعصبية، وهو يعبث بعلبة نظارته: "لا، لم تُرتكب عمليات القتل بالترتيب المذكور في الرواية، أو أول عمليتين على الأقل. ولكن إن أردنا أن ننظر إلى عمليتي القتل اللتين حصلتا في منتصف الليل على أنهما حرق... لديّ نسخ تكفي للجميع". دفع راسموس مجموعة صغيرة من الأوراق إلى وسط الطاولة، وأخذ كل واحد من الحاضرين نسخته الخاصة. نظرت جيسيكا إلى القائمة وتجهمت. جرائم القتل التي حدثت في سلسلة روجر كوبونين (مطاردة الساحرات):

الجزء الأول

غرق امرأة (تحت الجليد) امرأة مسمومة (تم وضع الجثة بطريقة مطابقة لجسد ماريا كوبونين)، رُجم رجل حتى الموت.

الجزء الثاني

رجل طعن بخنجر، رجل أُحرق.

الجزء الثالث

امرأة سحقت بالحجارة الثقيلة.

امرأة أُحرق.

قال إرني بعد أن رفع نظره عن الأوراق: "انتظروا لحظة. هل تم التأكد من أن السم هو سبب وفاة ماريا كوبونين؟".

ردّ راسموس من دون تردد: "لا أعتقد". لم تكن لهجته مؤكدة. "لكن تطابقت الجريمة مع الوصف الموجود في الرواية، وتطابق الضحايا مع أوصاف الرواية: الضحيتان جميلتان وشعرهما أسود".

قال إرني وهو يمسك بالأوراق ويقربها من عينيه: "حسنا".

بدأ يوسف بالكلام: "وتم حرق جثتين". أجاب إرني بإيماءة. خيم صمت ثقيل على الغرفة. بدا أن الجميع منهمكون بقراءة الأوراق. أما جيسيكا فكانت تحتسي شاي الورد. كان طعمه مثل الحديد.

"إذا افترضنا أن الجاني أو الجناة ينوون مراجعة القائمة بأكملها، فيمكننا توقع ثلاث جرائم قتل أخرى".

سألت نينا: "الجناة؟". ثم دونت شيئاً على الحافة العلوية من أوراقها. نظر إليها مايكل ثم إلى النص الذي كتبه هناك.

نظرت جيسيكا إلى الثنائي، وتساءلت هل كتبت نينا لنفسها ملاحظة أم أنها كانت تكتب رسالة لـ مايكل؟ لكن قسمات وجهيهما بدت جدية.

قال إرني وهو يحاول تجنب المستطيل الأزرق الذي أنشأه جهاز عرض 'نفيديو': "من المحتمل أن يكون القاتل في جوفا مختلفاً عن القاتل الذي هرب من منزل آل كوبونين، ولكن هذا ليس مؤكداً على الإطلاق. تراجع الجاني في كولوزاري عند الساعة الحادية عشرة وأربع دقائق مساءً. لقد تلقيت مكالمة من سانا بوركا من جوفا في تمام الثالثة والربع فجراً. إن استقل الجاني سيارة على الفور

من كولوزاري وتوجه إلى سافونلينا، كان سيصل إلى محيط منطقة جوفاً وينصب كمينا لسيارة كوبونين بالرغم من الظروف الجوية الصعبة".

قال يوسف بصوت أجش: "ربما يكون الهرب من المدينة خياراً ذكياً على أي حال، ولكن لا أظن أن الجاني نفسه".

"لم لا؟" سأل إرني ونظر إلى يوسف الذي هز رأسه بعناية "هناك خلل جوهرى في هذه النظرية: كيف عرف القاتل أن كوبونين سيذهب إلى هلسنكي؟ وفي أي وقت؟".

"من الصعب تصديق أن الرجل استقل سيارته، وانطلق من دون خطة دقيقة ليرى سيارة الأودي القادمة في جوفاً، ومن ثم غير مساره ليتبعها، إضافة إلى ذلك فقد كانت الثلوج تتساقط بكثافة الليلة الماضية. أي إن الرؤية كانت صعبة للغاية".
جلس إرني.

قالت جيسيكا بهدوء وثبتت نظرها على الأوراق أمامها: "ومع ذلك، بغض النظر عن اشتعلت به النيران في الغابة". لم يضحك أحد، وهي لم تكن تسعى إلى إضحاكهم. صدر صوت صفارة إنذار في الشارع. تحول تفكير جيسيكا إلى فوبو الذي يصاب بتقلبات في كل مرة يسمع فيها صوت سيارة الطوارئ. يمكنك إخراج الرجل من شرق هلسنكي، ولكن لا يمكنك إخراج شرق هلسنكي من الرجل. "السيناريو الأكثر احتمالاً هو أن شخصاً ما تبعهما من سافونلينا. لا أبدأ أن أحداً ما كان على دراية بكل خطوة قاما بها. لم يتم اتخاذ القرار بشأن مجيء كوبونين إلى هلسنكي قبل منتصف الليل تقريباً".

ارتعشت حنجرة إرني بالطريقة التي اعتادت جيسيكا عليها: لقد اتخذ إرني ذلك القرار. بالنظر إلى الماضي، يمكننا بسهولة القول إنه من الواضح أن كوبونين كان بحاجة إلى حماية جيدة في أثناء رحلة العودة. من المفترض أن يلوم إرني نفسه على ما حدث، على الأقل في اللاوعي.

قال إرني بحذر: "يمكننا ملاحظة بعض الأشياء هنا: أولاً، كانت سانا بوركا تحمل مسدسها، ومع ذلك، لم تكن قادرة على الدفاع عن نفسها ضد المهاجمين.

لماذا؟ هل كان المهاجمون مسلحين أيضا؟ ربما امتلكوا قوة غاشمة؟".

خيم الصمت على الغرفة باستثناء صوت همهمة جهاز عرض الفيديو. وقف مايكل للحظة، وواصل إرني كلامه، وقد تجهم وجهه كما لو أن نطق هذه الكلمات أمر مؤلم: "ثانيا، تم العثور على سيارة كوبونين من طراز أودي في مكان الجريمة، وكانت سليمة تماما. لذلك، لم يكن هناك تصادم ولم تكن هناك آثار على خروجها عن الطريق بالقوة. إما أن بوركا قادت السيارة وتجاوزت المنعطف على الطريق الترابي وإما أن شخصا آخر قادها. لكن من؟ أخيرا، عُثر على نوع واحد من آثار الأقدام في مسرح الجريمة. وبعبارة أخرى؛ إن كان هناك العديد من الجناة، فقد كانوا يرتدون جميعا نفس حجم الحذاء الجديد بقياس 45. يشير عدد آثار الأقدام في مسرح الجريمة إلى احتمال وجود عدد كبير من الأشخاص".

"ولكن آثار الأقدام في كولوزاري...".

"هي نفسها تماما. لكن مثلما قلت، أعتقد أن الجاني هنا هو شخص آخر".
قاطعته مايكل وهو يحك رأسه الأصلع: "عدة جناة في جوفاء إضافة إلى الرجل في كولوزاري. هل نفترض الآن أنه...".

قال إرني: "نعم". وتنهَّد بعمق: "تشير كل الدلائل إلى وجود ثلاثة جناة أو أكثر". حوّلت جيسيكا نظرها من الأوراق المطبوعة إلى كوبها الدافئ. صبغ كيس الشاي الماء باللون الأحمر.

تذوقت طعم الحديد على لسانها. ولسبب ما، اعتقدت أنها أعدت لنفسها كوبا من الدم. للحظة، كان كل شيء باللون الأحمر: الجدران، والشاشة في بداية الغرفة، والطاولة، ووجوه الأشخاص الذين يجلسون حولها. شعرت أنها على وشك التقيؤ. شربت مياها من الصنبور، ورفعت رأسها.

أمسكت أصابع بحافة الحوض. أخذت جيسيكا نفسا عميقا. إنها تعلم أن الغثيان الذي تشعر به هو نتيجة الإرهاق والتوتر ولن يحسن التقيؤ من حالتها. بدت عيناها متعبتين، وبالرغم من أنها بدأت تضع مساحيق التجميل، إلا أن القلق كان واضحا على وجهها، تأملت انعكاسها بشكل عميق؛ ذلك الانعكاس الذي شعرت في ذلك اليوم أنه غريب عنها، ولا يشبهها على الإطلاق. مالت جيسيكا نحو المرأة، وازدادت ملامحها حدة، وتوسعت حدقتا عينيها.

حدقت أمها من المرأة، وابتسمت ابتسامة شريرة وقالت: "جيسي؟".

مرّ إرني القلق عبر الباب، أعقبته موجة سعال جاف وعميق أصبح خلال الأشهر القليلة الماضية حالة مزمنة. قالت جيسيكا: "أنا بخير". ثم سحبت مناديل ورقية، ومسحت عينيها. ألقت نظرة أخيرة على المرأة. اختفت الابتسامة المريضة على الفور، لكن ذلك أجبرها على إغماض عينيها. كان القلق محفورا على شبكيتي عينيها. أخذت بعض الأنفاس العميقة، ثم فتحت الباب: "هل أنت بخير؟". مال إرني باتجاه الجدار.

عندما رأى إرني أن جيسيكا لم تتوقف، تبعها في الممر وسعل: "أنا لست...".

"أنت لست ماذا؟". توقفت جيسيكا، واستدارت بسرعة كبيرة لدرجة أنها كادت أن تصطدم بإرني.

قال بتلعثم: "أنا لست معتادا على رؤيتك...".

"كيف تراني؟ ضعيفة؟".

"لست ضعيفة، فقط...".

قالت جيسيكا بعصبية ووضعت يديها على رذفيها: "ماذا؟ هل يخالف المرض في الصباح القوانين الإدارية؟".

رأت تحولا في عيني إرني عندما نظقت تلك الكلمات: "اللعنة. لا. لست حاملا. وحتى إن كنت كذلك، فلن يكون طفلك". واتجهت نحو غرفة الاجتماعات.

قال إرني بصوت أجش: "جيسيكا!".

أصبحت لهجته أقرب إلى الاستياء. توقفت. مشى وأمسكها من ذراعها: "يمكنك أن شعري بالغثيان كما تريدين، ويمكنك أن تكوني حاملا. لا أهتم لذلك. كل ما أريده هو أن تحافظي على تركيزك".

"حسنا".

"قولي ذلك".

"تركيزي في أفضل أحواله".

"كرريها مرة أخرى".

"ماذا يحصل؟ هل نحن في حفل لموسيقا الروك؟ هل تريد مني أن أصرخ حتى يظن الجميع هنا أنني مجنونة؟".

"حسنا".

تنحى إرني جانبا، وظهرت الابتسامة القلقة المعتادة على وجهه. وبمجرد أن رأت تلك الابتسامة، أسفت لثورة غضبها. لسبب أو لآخر كان إرني في الفترة الأخيرة يجعلها تغضب كل يوم، لكنها لا تستطيع أن تغضب منه لأكثر من دقيقة. يعوض قلب إرني الكبير عن حاجته الغريبة إلى تدليل مرؤوسيه، وإلى تدليل جيسيكا التي تعتقد أنها الابنة التي لطالما تمنى أن يحظى بها.

قال إرني: "إن القضية التي نعمل عليها حاليا هي من أكثر القضايا غرابة على الإطلاق، أنت تدركين أنني تحت ضغط شديد لحل هذه القضية".

"بالطبع، بكل تأكيد".

"أحتاج إلى نتائج سريعة. لذا أحتاج إلى أن آخذ كل شيء في الاعتبار، بما في ذلك السلامة البدنية والعقلية لفريقي".

"أتفهم ذلك".

"لم يتسن لي كثير من الوقت لفهم تفاصيل تلك القضية. عندما تحدثنا الليلة الماضية حينما كنا في السيارة، لم تكن هناك سوى جثة واحدة".
"أصبحت الآن أربعا".

"وإن كانت التحليلات دقيقة، فستكون هناك ثلاث جثث جديدة قريبا.."
توقف إرني عن الكلام عندما فُتح باب في نهاية الممر، وملاً المكانَ الهادئ صوتُ خطوات أقدام. رأى إرني وجيسيكا امرأة ترتدي بذلة تدخل إلى قاعة الاجتماعات إضافة إلى رجل طويل يرتدي الزي المخصص للحرس.

قال إرني بصوت منخفض: "لونكفيست من مجلس الشرطة الوطنية. وغد حقيقي".

"سيحضر المؤتمر الصحفي، إلى جانب أحد المكلفين من الوزارة".
قالت جيسيكا بهدوء: "ماذا لو كانت هناك سبع جرائم قتل؟". ثبتت عينيها على زر غير مغلق على قميص إرني.
"ماذا تعنين؟"

"ماذا لو كان الجاني قد نفذ جرائمه بالترتيب الصحيح، ولكننا لم نعثر بعد على الجثث الأخرى؟".

علمت جيسيكا بالنظر إلى تعابير رئيسها أن الفكرة التي طرحتها جديدة بشكل مؤلم وليست مستبعدة على الإطلاق.

قال إرني: "في كلتا الحالتين، أنا متأكد من أننا سنكتشف ذلك قريبا".
"فكرت في الذهاب مع يوسف إلى منشأة تصنيع الأدوية حيث كانت تعمل ماريا كوبونين".

"يجب أن تصل خبيرة الفحص الطبي خلال وقت قصير. انتظري حتى ذلك الوقت".

"من كان يعمل الليلة الماضية؟"

"من تظنين؟".

اتكأ يوسف على كرسيه، وراقب عودة جيسيكا وإرني إلى الغرفة حيث كانت تُعرض على الشاشة صور للجبته التي أُخرجت من المياه. استُبدلت بالظلام الدامس الذي شكل خلفيات الصور السابقة طاولة ألومنيوم باردة وأغطية بيضاء. كان وجه المرأة شاحبا وهادئا. فتح يوسف سترته الصوفية، أصبح الهواء في الغرفة مزعجا. فقد اجتمع مزيد من الأشخاص هناك: محققين من الأدلة الجنائية، ورجل من مجلس الشرطة الوطني، وأيضا خبيرة الفحص الطبي التي ستقوم بتشريح الجثة؛ سيسبي سارفيلينا.

قالت سارفيلينا: "أكدت نتائجننا الأولية أن الغرق هو سبب الوفاة..". ثم انتقلت إلى الشريحة التالية بنقرة من جهاز التحكم عن بعد. بدأ مؤشر الليزر بالانتقال في الشاشة بلا انقطاع. لم يسبق ليوسف أن التقى سارفيلينا، لكنه سمع بأنها منعزلة ومباشرة وجدية بالرغم من امتلاكها لنوع فريد من الفكاهة السوداء. صرخ يوسف وتساءل عن كيفية أن يبدو شخص ميت مسالما، إذ إنه من المنطقي أن يترك الاختناق على وجهها آثار الخوف والذعر.

"... لكن تحليل الطحالب يشير إلى أنها غرقت في مكان آخر". تفحصت سارفيلينا الوجوه المصدومة في الغرفة، كما لو أن زيادة غموض اللغز أمتعتها. بدت على الجميع الصدمة من هذه المعلومات باستثناء مايكل ونيلا.

همس إرني: "ثم دُفنت تحت الجليد، علمت أن كوبونين أشار إلى هذه الأمور الغريبة من خلال مكالمة الفيديو".

أكملت سارفيلينا كما لو أن إرني لم يقاطعها: "الرئتان مليئتان بالماء العذب، ماء صنوبر تحديداً".

"متى ماتت؟"

"بين السادسة والتاسعة مساء تقريبا حسب تقديري، علاوة على ذلك، يمكنني القول بثقة نسبية إنها بقيت في المياه المتجمدة لساعتين على الأكثر".

قالت جيسيكا وهي تكتب ملاحظاتها على عجل: "إذن غرقت في مكان ما مساء أمس، وبعدها جُلبت إلى شاطئ آل كوبونين".

قال يوسف، وهو ينظر إلى خبيرة الفحص الطبي بطريقة يعترها الشك كتلميذ مدرسة غير متأكد من إجابته: "وبعد أن حفر الجاني حفرة في الجليد، أسقط الجثة في الماء، ثم غطى الفتحة بقطعة الجليد، ومشى باتجاه المنزل عبر الفناء، وقتل ماريا كوبونين".

لم تعطِ سارفيлина أدنى مؤشر على نيتها الرد، بل نظرت إلى ساعتها بملل واضح. إذ إن تأكيد تخمينات المحققين ليست وظيفتها. هي هنا لتقديم الحقائق، الحقائق الباردة القاسية.

سألت جيسيكا: "كيف حدثت في الرواية؟". عندها نظر الجميع بفضول نحو مايكل، الذي كان يخشخش بكيس بلاستيكي أزرق صغير، ويضع قطعة علكة في فمه، ثم ألقى نظرة على نينا وقال: "في الرواية، الساحرة المشتبه بها تُقيد من المعصمين والكاحلين، وتُرمى في بركة. لقد شاعت طريقة هذا الاختبار في القرون الوسطى للتأكد مما إن كانت إحداهن ساحرة، إما هذا وإما محاكمة بربرية، يمكن الاختيار بين الطريقتين. فإذا طفت بعد أن قُيدت، فهذا دليل مؤكد على أنها ساحرة، وعندها يُحكّم عليها بالموت الفوري".

هزت جيسيكا رأسها مبدية شكوكها: "ما هو الأساس اللعين الذي كانوا يستندون إليه؟".

"هناك إجابتان عن هذا السؤال. يعتقد كثيرون أن الماء يطرد الساحرات خارجه، لأنهن رفضن معموديتهن عندما انضممن إلى صفوف الشيطان، وهناك اعتقاد آخر مفاده أن الماء يطرد الساحرة لأنه يجسد النقاء. الشيء الأكثر جنونا أنه إذا غرقت الضحية - وهو ما يحصل في معظم الحالات - تتحرر الشكوك، لكن لا بد من تنفيذ الاختبار للحصول على الدليل اللازم. صفقة سيئة، لكن على الأقل كانت هنالك صفقة".

مسح يوسف كفيه المتعرقتين على سرواله: "يا إلهي! هذا لا يمتّ إلى المنطق بصلة".

سأل إرني: "إذن، الضحية ماتت نتيجة أحد هذه الاختبارات؟".
"إن كان الجاني ينسخ أحداث رواية كوبونين فهذا محتمل، هكذا تحدث الجريمة في الرواية".

قالت سارفيلينا وهي تنقر على قفا صورة قريبة لوجه الضحية: "العلامات على الجثة تدعم هذه النظرية. هناك علامات ربط في معصمَي الضحية وكاحليها".
سألت جيسيكا: "أين حدثت هذه المحاكمة؟ في الرواية، أعني...؟".

أجابت نينا: "في منزل رئيس المحققين". وتبادلت النظرات مع مايكل، تنهدا معا، وربما كان كل واحد منهما يعرف أنه على وشك أن يتعرض لوابل من الأسئلة.
"كل شخص مشترك في التحقيق يجب أن يقرأ الرواية. هناك بعض التشابهات، لكن... أغمضت نينا عينيها، وأكمل مايكل من حيث توقفت: "هذا كل شيء، التشابهات، لكن إلى حد ما".

جلست نينا باستقامة وقالت: "انظروا... إلى هذه النقطة المفصلية. من المهم أن نوضح شيئا واحدا للجميع: روايات كوبونين فيها جزء من الخيال العلمي: أشياء خارقة تحدث، هناك نساء يُشتبه بكونهن ساحرات، وهناك ساحرات حقيقيات على سبيل المثال: في رواية كوبونين، المرأة التي تجلس إلى الطاولة قُتلت، ولكنها بعد ذلك أُجلست على رأس الطاولة بكامل أناقتها وابتسامة متكلفة تقشعر لها الأبدان".

سأل إرني: "حسنا، لم ينسخ الجناة جرائم الرواية بالضبط؟ بل استلهموا من الأحداث بشكل عام؟".

اتكأ الرجل من مجلس الشرطة الوطنية على جدار الغرفة، وذلك حاجبيه، وأسدلت نينا شعرها الأشقر لتربطه مجددا. "هذا ما يبدو عليه الأمر".

سجل إرني ملاحظة في دفتره الصغير: "ماذا عن الضحيتين في جوفاء؟".
قال مايكل وهو يلوك العلكة بلسانه: "هما حدثان مختلفان تماما في السلسلة، والتشابه الوحيد مع جرائم الليلة الماضية هو أن الضحيتين رجل وامرأة".

سألت نينا: "هل نحن متأكدون من أن جثتي جوفاً هما لبوركا وكوبونين؟".
رفعت جيسيكاً يدها: "سأجيب عن هذا السؤال. لقد أُزيلت أسنان جثة الذكر،
يبدو بهدف تصعيب تحديد هويته لسبب أو لآخر، لكن فحوصات الحمض النووي
أكدت هوية الضحيتين إذ إن الحمض النووي الذي أخذ من منتجات النظافة
الشخصية في منزل كوبونين يطابق عينات الحمض النووي المأخوذة من جثة
الضحية الذكر".

مرت ثوان، قبل أن يقول أحدهم: "إذن روجر ميت رسمياً".
قالت جيسيكاً: "بالعودة إلى أميرة الجليد". وأبدت أسفها لاستخدامها هذا
التشبيه البشع في غرفة الاجتماعات المزدهمة. "هل صحيح أنه ليست لدينا أية
فكرة عن هوية الضحية؟".

"لم يُبلغ عن فقدان أحد تنطبق عليه مواصفاتها".
"ماذا عمن لا يطابقون مواصفاتها".
"يمكن للجنة القيام بأي شيء يريدونه، مثل إلباس الضحية الملابس التي
يريدونها".

"حسناً. ماذا عن ماريا كوبونين؟ كيف قُتلت؟".
قالت سارفيلينا وهي تشبك ذراعيها: "ليست هناك جروح خارجية، الاحتمال
الأرجح أنها سُممت، ولكن الأمر يحتاج إلى بعض الوقت للتأكد".
سأل إرنى: "لكن ماذا بشأن تلك الابتسامة؟".

عرضت سارفيلينا شريحة فيها صورة لماريا كوبونين، ثم عرضت ثانية،
وثالثة. كانت تنتقل بالصور حتى تظهر صورة لشيء غريب مصنوع من أجزاء
صغيرة.

أوضحت سارفيلينا وهي تحك شحمة أذنها: "هذه سدادات وجدناها في
الخددين، جمعت في خيط رفيع أو سلك رُبط حول رأسها. كان من الصعب رؤية
الخيط بسبب التبرج الكثيف فوقه، إضافة إلى مانع تسرب ليعطي تأثير الجمود على
الوجه".

قال إرني: "هذا جنون". ثم هزّ الجميع رؤوسهم لعشر ثوان. في النهاية رأت جيسيكا الرجل الطويل المتألق بزي ضابط رفيع المستوى يلقي نظرة على ساعته ويومئ لإرني حتى يأتي إليه، نهض إرني ببطء من كرسيه، وخرجا إلى الممر.

أحست جيسيكا بمحنة رئيسها وتوتره إذ إن منصبه بوصفه محققا رئيسا ليس سهلا. أربع جثث خلال عدة ساعات هو أمر نادر بكل المقاييس بالنسبة إلى قاتل متسلسل، وكل من حقق في جرائم خطيرة يعلم أن هذه الحالات نادرة جدا في فنلندا. لم يعرف تاريخ البلاد الجنائي سوى عدد قليل من الحالات التي لم يتم تفسيرها بشكل حاسم، ولم تُستوفَ فيها المعايير، جريمتان أو أكثر من جرائم القتل التي حدثت تعتبر أحداثا منفصلة. لكن في هذه الحالة، حتى استخدام هذا المصطلح مشكوك به: يبدو أن الحقائق تشير إلى أنه بالرغم من بعض أوجه التشابه، فإن جرائم القتل في كولوزاري وجوفا ارتكبتها أشخاص مختلفون.

سحبت سارفيلينا مجلدا سميكا من حقيبتها الجلدية: "ستلقى النتائج المخبرية الأولية خلال الساعات القليلة القادمة، كل ما نعرفه موجود هنا، تعرفون أين تجدونني".

ملأ صوت الهمهمة الغرفة في الوقت الذي دخل فيه إرني، كان التويخ اللفظي الذي تلقاه من رئيسه وجيزا لكنه شديد. بدا التوتر واضحا على وجه إرني.

فتح يوسف تطبيق صحيفة شعبية على هاتفه بالرغم من أنه يعلم أن ذلك سيزيد من معاناته.

العناوين الرئيسة مرتبكة، الصحفيون لا يعرفون من أين يبدوون، الشرطة، أم زوجة كاتب الرواية الأكثر مبيعا.

بعد لحظة، ومضت أضواء الفلوروسنت في سقف الغرفة عندما أغلقت سارفيلينا الباب خلفها.

في صباح هذا اليوم، بدت قاعة الاجتماعات في مقر الشرطة كما لو أنها من عالم آخر، إنها مليئة بالحيوية كخلية ساطعة بالنور في جسد مبنى حكومي رمادي رتيب. جلس إرني على الكرسي الفارغ، في نهاية الطاولة الطويلة.

حدّق جوكا روسكانيين، مرتديا زيه الأزرق الرسمي، إلى الأمام مباشرة دون أن يُبدي نية لتحية إرني الذي يجلس في كرسيه. إنه موقف مرهق للجميع، كان روسكانيين متحفظا ومغرورا لسنوات، ويبدو أن دهرا مر منذ أيام الثمالة ومغامرات الصداقة التي جمعت الرجلين أيام الدراسة في الأكاديمية.

تناثرت على الطاولة ميكروفونات ومسجلات من جميع الأحجام والألوان، وخلفها صفوف من المقاعد التي امتلأت بجمهور مترنح، لكن متتبه. بدأت الكاميرات بالوميض، وبثت أكبر الكاميرات اللقطات مباشرة إلى المواقع والتلفاز. لم يستطع إرني تذكر مرة كانت فيها القاعة ممتلئة بهذا الشكل، لهذه القضية قدر هائل من عناصر الاضطرارية. سعل إرني، بدا فمه جافا، ولم يوضع أي ماء على الطاولة. مسح أنفه، وشم رائحة السيجارة التي دخنها قبل خمس دقائق على أصابعه.

قال روسكانيين: "حسنا أيها الرفاق، إنها الساعة الثامنة، لنبدأ". فانتهت المهمة. في هذه الأثناء، اشتد وميض الكاميرات، جعلت بداية الحدث رجال الشرطة الجالسين هناك يبدوون كما لو أنهم نجوم سينما بشكل أو بآخر.

"أنا جوكا روسكانيين؛ رئيس شرطة هلسنكي. إلى يساري نائب رئيس الشرطة جينز أورانين وجوناس لونكفيسست من المقر الرئيسي لمجلس الشرطة الوطنية". توقف ونظر إلى الكاميرات التي تلتقط الصور أمامه. ظن إرني لبرهة أن روسكانيين نسي وجوده، ولكنه أخيرا نقل نظره باتجاه إرني: "وعلى يميني المحقق إرني

ميكسون من وحدة التحقيقات الجنائية في هلسنكي وهو المحقق الرئيسي في هذه القضية".

شعر إرني أن الكاميرات تتجه نحوه وتسارع بالتوثيق، الآن أصبحت الأمور رسمية، ومرة أخرى فكر إرني في التحقيق والأخطاء التي سترتكب وفي النقص المحتمل في النتائج. كشفت ومضات الكاميرات أهوال وجهه والأخايد التي تركتها السنوات على بشرته. لم يعلم أنه يبدو ضعيفا، لقد ترك الزمن بصمته على وجهه، لكن الفضل يعود أيضا إلى رومبا؛ السم الأستوني الملفوف في ورق الذي استنشقه على مر السنوات، ربما بكميات أكبر من الأوكسجين النقي.

بدأ روسكانيين ملخصه لأحداث الليلة الماضية. سال العرق على ظهر إرني، وكذلك تعرق إبطه. نظر نحو روسكانيين فقط ليتجنب النظر إلى العدسات التي تحديق إليه مثل عيون سوداء كبيرة.

روجر كوبونين... زوجة... الشرطة... روسكانيين تحدث باقتضاب. إرني لا يستمع، يمكنه فهرسة هذه التفاصيل عن ظهر قلب، بدلا من الاستماع، تفحص الرجال الجالسين على الجانب الآخر لروسكانيين، أولئك الذين ارتدوا الزي الأزرق الداكن للضباط القيايين، الذي يبدو مناسبا جدا لهذه القاعة الرسمية. إرني هو الوحيد الذي شعر بحرية كافية ليرتدي الجينز الأسود مع قميص وسترة صوفية شهدت أياما أفضل في الماضي. هذا هو زيه الرسمي، ملابس العمل لفتى المهمات الأستوني.

إرني هو الوحيد من المجموعة الذي سيضطر إلى الإجابة عن أسئلة الصحفيين عند انتهاء المؤتمر، أما الأعضاء الثلاثة الآخرون فسيعودون إلى سياساتهم ونشاطاتهم التي لا تمت إلى عمل الشرطة الحقيقي بصلة. من الواضح أن جينز أورانيين أصغر سنا لكن الآخرين بعمر إرني. قد يفترض المرء أن إرني خرج عن مساره في مرحلة ما، وعلق في مكانه دون تطور، لكن إرني يشعر دائما أنه تقدم تماما بالطريقة التي أرادها. هو الآن في الخمسين من العمر، وهو بالضبط حيث يريد أن يكون، يؤدي الوظيفة التي حلم بها عندما كان طفلا صغيرا. بالرغم من أنه خلال

لحظات كهذه، بعض التأخر والانحراف قد يبدو ان واضحين في مسيرة عمله.
"... والأسئلة المتعلقة بالتحقيق نفسه سيجيب عنها المحقق الرئيسي". ختم
روسكانيين حديثه، فارتفعت أيدٍ في الهواء قبل أن يصل حتى إلى نهاية جملته.
سألت امرأة تجلس في الصف الأمامي: "هل لدى الشرطة أي مشتبه بهم في هذا
الوقت؟". يعرف إرني أنها تعمل في الإذاعة العامة، وكالمعتاد تبدأ الأسئلة عن أكثر
الأمر وضوحاً، ولكن إرني يعرف من تجربته أنها ستزداد صعوبة وسوء شيئاً فشيئاً.
أجاب إرني: "لدينا وصف لمشتبه به في جريمة القتل في كولوزاري. في هذه
المرحلة، يمكنني القول إن المشتبه به ذكر أبيض فنلندي من السكان المحليين".
نظر باتجاه الميكروفون. لدى إرني أوامر كي لا يفصح إلا عن قدر قليل من
المعلومات، فقد أوضح وزير الداخلية أنه يريد القضاء بشكل جذري على أية
تكهنات تتعلق بإرهابيين عرقيين.

"هذا يعني أنه لا يوجد مشتبه بهم؟".

"كما قلت لدينا وصف، لم يتم اعتقال أحد بعد، لكننا سنواصل البحث عن
هذا الشخص بناء على المعلومات التي حصلنا عليها خلال التحقيق".
أطبق إرني قبضته، بدت أضواء الهالوجين في السقف وكأنها تشع أكثر من قبل.
"ماذا عن مقتل سانا بوركا في جوفافا؟ هل أنت متأكد من أن المجرم شخص
مختلف؟".

"هذا مرجح، نظراً للمسافة".

"هل من المحتمل وجود أكثر من مجرم يعملون معاً؟".

"في هذه المرحلة، ما من شيء مستبعد".

"هل سبق لروجر كوبونين أو زوجته أن تلقيا تهديدات؟".

"لسنا على علم بأية تهديدات".

"كيف قُتلت الضحيتان في كولوزاري؟".

رمش إرني عدة مرات، عليه الآن ألا يبدي أية تعابير على وجهه. "لأسباب

تتعلق بالتحقيق، لا يمكننا...".

"هل تظن أن أسلوب الجريمة مشابه لحوادث القتل في الغابة خارج جوفافا؟".
"كما أشرت، لا أستطيع...".

"هل تشك في أن طرق القتل مأخوذة من أعمال روجر كوبونين؟".
بالرغم من الجهود المبذولة لإبقاء تفاصيل الجريمة مخفية، حدث ما لا يمكن تفاديه.

"في هذه المرحلة لا أستطيع التحدث بخصوص الأساليب المستخدمة في هذه الجرائم ولا أريد ذلك".

أدرك إرني أنه لم يجب عن السؤال، ولم يرضِ الجمهور الذي يكسب لقمة عيشه من خلال طرح الأسئلة المباغثة.
"هل كانت الجثتان محروقتين في الغابة؟".

تعرفت يده، لقد شاع الخبر. ضغط روسكانين ببراجمه على أضلاع إرني وانحنى نحو أورانين، وتمتم في أذنه، قبل أن يوميء برأسه لإرني.

قال إرني: "نعم. كانت الجثتان محترقتين". ثم مد يده باحثاً عن كأس ماء ليكتشف أن أحدهم لم يجلب الماء أصلاً، آلمته حنجرته مع كل كلمة قالها، وفي غضبون ثوان قليلة تحولت أوركسترا الكاميرات، ولوحات مفاتيح الحواسيب المحمولة والهمسات إلى ضجيج.

"لقد ذُكر في رواية كوبونين عن حرق أشخاص، ألا تعتبر هذا تشابهاً جلياً؟".
"في الوقت الحالي، يطلع محققونا على أعمال روجر كوبونين، وإن كانت هناك صلة بين جرائم القتل ومحتويات تلك الأعمال، فسنسعى جاهدين لإيجادها والاستفادة منها خلال تحقيقنا".

"هل هناك من رابط أدبي لجريمتي القتل في كولوزاري؟".

"الإجابة عن هذا السؤال تنتظر ما ذكرت للتو".

"هل نتحدث عن قاتل متسلسل هنا؟".

"في هذه المرحلة، لا يمكن الجزم بذلك".

"هل لدى الشرطة أية أسباب تجعلها تعتقد أن الجاني سيتابع جرائمه؟".

مجددا، تهامس روسكانيين وأورانين ورُفعت المزيد من الأيدي بالرغم من أن أحدا لم يدعُ الجمهور ل طرح مزيد من الأسئلة. لا تلوح في الأفق أي استراحة لحظية لإرني.

"لماذا الشرطة...".

ينتهي السؤال قبل أوانه عندما تنطبق شفتا الرجل الذي يوجه السؤال، وللمرة الأولى خلال المؤتمر الصحفي، تهدأ القاعة. نظرات المراسل - كما نظرات الآخرين - ملتصقة بشاشة حاسوبه المحمول. ثم تبدأ موجة من الهمهمة وتعلو بشكل كبير. أمسك الصحفيون هواتفهم وبدؤوا النقر على شاشاتهم. واتكأ من لم يعرف منهم ما حصل بعد على ظهور المقاعد لاستراق النظر إلى شاشات الجالسين في مكان أقرب. بدت على وجوه الحاضرين الصدمة والاستغراب وحتى الحماسة، وفجأة اختفى الخمول السابق.

عض روسكانيين شفته السفلى، وجال بنظره في الأرجاء كما لو أنه يطالب بتفسير لتغير الجو المفاجئ، نظر إرني إلى هاتفه، لم يتلقَ أية رسائل جديدة من فريقه.

قال روسكانيين بصوت أجش: "ماذا الذي يجري هناك؟". وعبر صوته عن غضبه لأنه الوحيد الذي لا يعرف.

"رُفع فيديو إلى حساب روجر كوبونين على اليوتيوب للتو". قالت مراسلة الإذاعة العامة بصوت عال. "فيديو لزوجته".

أطبق إرني أصابعه حول الميكروفون الثخين، وأغمض عينيه، وارتسم وجهه مشوه مبتسم بطريقة غير طبيعية على شبكيته.

"ماليوس ماليفركاروم، ماليوس ماليفركاروم، ماليوس ماليفركاروم".
جلست جيسيكا إلى مكتبها، وجلس يوسف إلى جانبها، انحنى كي ترى
شاشة الحاسوب التي تعرض قناة روجر كوبونين على يوتيوب، حيث حُمل فيديو
مفاجئ قبل لحظات.

من الواضح أن اللقطات العمودية غير الثابتة قد صُورت بهاتف. تظهر ماريا
كوبونين في مكانها المؤلف على رأس الطاولة الطويلة، مع ابتسامة على وجهها،
وتُسمع أغنية إيمانجن في الخلفية، إضافة إلى صوت خافت لرجل يُعلق ويقول:
ماليوس ماليفركاروم، تمتزج رتابة الصوت بضجيج الفيديو، يعيد هاتين الكلمتين
مرارا وتكرارا دون أي تغيير في نغمة الصوت. مدة الفيديو ستون ثانية، وكل ما
يمكنك رؤيته هو وجه المرأة الميتة. من المحتمل أنها قُتلت قبل أن يتصل المجرم
بالشرطة بدقائق قليلة، أو أنه أجرى المكالمة قبل تصوير الفيديو.

سأل يوسف: "اللجنة، يا له من صوت مخيف! هل هو تسجيل؟".
"هذا ما يبدو".

"كم من الوقت يحتاج إليه يوتيوب ليحذف الفيديو؟".

"لم يعد ذلك مهما. لقد شوهد الفيديو وحُمل ونشر". صممت جيسيكا من
هول الفضيحة، وأخذت تتصفح عبر هاتفها. بالرغم من نجاحه العالمي، لكن لم
يكن لدى كوبونين سوى عدة آلاف من متابعي قناته، ومع ذلك فقد انتشر الفيديو
كالنار في الهشيم، هناك المئات من التعليقات.

أصدر يوسف صوتا يشبه الصفير: "اللجنة، حذّرنا إرني من أننا نتجه نحو
عاصفة، لكنه لم يتوقع حدوث هذا".
"كيف له أن يتوقع؟".

ازدردت جيسيكا لعابها إثر المنظر المروع، معظم من كتبوا تعليقا اعتقدوا أنها مزحة أو دعابة هالويين متأخرة أو حيلة تسويقية للمؤلف، لكن الدقيقة فترة طويلة بما يكفي لإخبارهم بأن هناك شيئا مرييا للغاية. ماريا كوبونين لا تتنفس، وينضح وجهها بالموت لدرجة يكاد يستحيل تزييف المشهد. بالرغم من كل هذا فليس هناك أثر للتعاطف في التعليقات، في بعض الأحيان يكون البشر قساة جدا وأغبياء. يقال إن ونستون تشرشل أشار ذات مرة إلى أن أقوى حجة ضد الديمقراطية هي محادثة قصيرة مع ناخب عادي. في أيامنا هذه يمكن أن تستبدل بالنصف الثاني من هذه الجملة الساخرة نظرة إلى حقل التعليقات في وسائل التواصل الاجتماعي.

سألها يوسف: "ماذا تريدني أن أفعل؟".

"أجر الاتصال، يجب أن نكتشف عنوان بروتوكول الاتصال الذي استخدمه الجاني للدخول إلى حساب يوتيوب الخاص بكوبونين".

"حسنا". زفر يوسف وهو على وشك الخروج بسرية عندما أبعدت جيسيكا نظرها عن الشاشة.

"يوسف.. بطريقة ما أشعر أن التوجه إلى نيروفارم مضیعة للوقت، هلا طلبت إلى إرني أن يرسل أحد الرجال من المكتب؟ بما أنهم عرضوا تقديم المساعدة".
أوما يوسف وأكمل طريقه.

عادت جيسيكا إلى أعلى الشاشة، ونقرت على زر الإعادة، لقد شاهدته ثلاث مرات، ومن غير المحتمل أن تكشف إعادته أي شيء جديد. اللقطات ثابتة نسبيا، لكن الارتجاج الطفيف يكشف أن الكاميرا لم تكن موضوعة على الطاولة، الجاني هو من حمل الكاميرا بيده. ماليوس مالفركاروم، ماليوس مالفركاروم، الصوت المكرر يقشعر له البدن، لكن جيسيكا لم تُخفض الصوت، عليها أن تسمعه مرارا وتكرارا، وتحاول فهم ما سعى الرجل إلى قوله من خلال الفيديو.

نظرت جيسيكا إلى وجه المرأة الثابت، وإلى تلك الابتسامة العريضة، والعينين اللتين تطلبان المساعدة وتسخران منها بخبث في الوقت نفسه.

خرج الجمهور من القاعة، لكن جيسिका لم تبارح مقعدها، تتردد ألحان فيفالدي الخالدة في أذنيها، ومع أنها ليست من أشد المعجبين بالموسيقا الكلاسيكية، إلا أن كونشرتو الملحن البندقي - التي تعد دون شك أفضل أعماله المعروفة - أثرت فيها. ما من شك في أن العازف المنفرد هو ما جعل من الصعب نسيان هذه التجربة، لم يكن كولو مبانو وسيما وساحرا بغموض فقط، بل كان أيضا عازفا محترفا على الكمان.

اكتفى كولو مبانو بإلقاء نظرة سريعة عليها خلال مغادرته المسرح واتجاهه إلى الكواليس، لكنه لم يطلب إليها أن تنتظره، شيء ما داخل جيسिका أقنعها بأن تبقى جالسة في كرسيها. هل كان سيدعوها إلى الحفل ما لم تكن لديه نية لإلقاء التحية عليها في نهاية الحفل؟ بينما كانت أضواء القاعة تُطفأ واحدا تلو الآخر، تبين لها أنه لم يكن مهتما بأكثر من زيادة عدد الجمهور في الحفلة الموسيقية، ولم يكن يسعى إلى موعد غرامي.

قالت امرأة باللغة الإيطالية: "نحن نغلق".

شعرت جيسिका بحمرة الخجل تصبغ وجنتيها، فقالت: "أرى ذلك". وهي تلف أصابعها المضطربة حول حزام حقيبتها الجلدي، وتستدير لترى المرأة ذات عظام الخد البارزة التي ذكرها وجهها بطائر جارح، لقد زال الهدوء الذي وسم وجه تلك المرأة قبل الحفل، وحل محله بعض التعاطف وربما بعض الشفقة.

أفصحت تعابير وجهها عن: لا تأخذي الأمر على محمل شخصي، لستِ الأولى ولستِ الوحيدة.

قالت المرأة بلا مبالاة: "عليك المغادرة الآن".

شعرت جيسिका بأن معدتها تتلوى من خيبة الأمل، وقفت وأومات برأسها للمرأة التي تمشي بين صفوف الكراسي لتجتمع منشورات الحفل التي تركها

الجمهور. تردد صدی خطوات جيسیکا في الفراغ الكبير، وشعرت بثقل ساقها. تلاشت الآثار المهدئة للنبذ الفوار الذي شربته في أثناء الحفل تاركة إياها في صحوة جوفاء، لا تعرف إن كان شعورها هذا بسبب الجوع أم الخيبة أم هو مزيج منهما. فتحت الباب السميك، ولاحظت أن الأمطار عادت لتهطل مجددا، قطرات المطر الصغيرة دافئة وخفيفة، عبق النسيم الرطب برائحة البحر وقليل من رائحة المعدن والبول. سمعت من مكان ما صوتا ذكوريا يغني لحنا مألوفا ربما أتى من جهة بيازا سان ماركو.

مشت جيسیکا على الحجارة الرطبة، وكادت أن تفقد توازنها، كاحلاها ضعيفان. مجددا ظهر الألم الذي يفترس نهاياتها العصبية من العدم، ليبدأ فوق كاحلها ثم يسري عبر ساقها حتى يصل إلى ركبتها ويخزها كمسمار رفيع ينقر بحدة في عظامها على نحو يزداد شدة في كل مرة.

عليها أن تستدير، وتمسك مقبض الباب السميك لتتكئ عليه، وتجلس بجانب الباب حتى تزول نوبة الألم، إنها تعلم ذلك، لكن كبرياءها منعها، تريد أن تتعد عن تلك القاعة المزخرفة التي كانت مسرحا لإذلالها وخيبتها هذه الليلة.

اشتد الألم مع كل خطوة، رأت نافورة في الجهة المقابلة من الشارع، فبدأت تتجه نحوها مترنحة كما لو أنها ظبية بأرجل طويلة تمشي على جليد أملس. أحست بالمزيد من المسامير، واحد في ربة ساقها وواحد في فخذاها، لم يعد الألم محتملا إنها تعلم أن ساقها لن تحملها طوال الطريق إلى النافورة الحجرية. انحنت من شدة الألم، ووضعت يدها على الأرض المبللة.

شخص ما أمسك بها، التفت يدان حول ذراعها، وضغطت أصابع قوية على أضلاعها، هذا الاحتضان قاس ولا يعرف التردد، هي في قبضة قوة لا تعرف الاعتذار.

قال الصوت بهدوء: "زيسكا". وهو يسندها في الأمتار الأخيرة إلى النافورة. ساعدها كولومبانو في الجلوس على حافة النافورة، مدت جيسیکا يدها لتخلع حذاءها، وغمست قدميها العاريتين في بركة ماء صغيرة في الشارع قبل أن تنظر لترى

منقذها، ها هو هذا... إنه لها.. لها وحدها. انهمرت دمعة من عينيها، وسالت على خدها إشارة إلى الألم والراحة، الفرح والخجل.

سألها كولومبانو وهو يسترق النظر إلى مكان ما خلفها: "ما الخطب؟". لا بد أن ترنحها المخرج قد أثار انتباه المارة الآخرين أيضا، لكن أحدا منهم لم يهرع لنجدتها سواه.

أخيرا سألته: "أين تركت كمانك؟". لم تقصد أن تقولها كدعابة لكنها بدت كذلك. ابتسم مبديا راحته، ثم عادت الجدية إلى وجهه، فلحق شفثيه، نظر إلى السماء كما لو أنه يريد أن يشعر بقطرات المطر أكثر على وجهه، أغمضت جيسيكا عينيها، وعندما فتحتهما وجدته ينظر إليها، وقد دنا منها بعض الشيء.

"لماذا غادرت؟".

تبادلا النظرات لبرهة.

"هل أعجبك؟ الحفل؟".

"لماذا دعوتني؟". بدا أن الألم في ساقَي جيسيكا قد اختفى تقريبا بالسرعة نفسها التي ظهر فيها، وكل ما تبقى هو توتر مدغدغ وبعض الإحراج.

ضحك ضحكة دافئة، عندما يضحك ترتفع وجنتاه لتضغطا على عينيها على شكل قوس ناعم وجميل، كشف فمه الواسع عن صف كامل من الأسنان البيضاء.

قال بالإيطالية:

"أسئلتك كثيرة يا جيسيكا، ولكن لا إجابات".

نقلت تمتمة جيسيكا انتباه يوسف من الكعكة المحلاة إليها: "ماذا قلت؟".
 رفعت جيسيكا عينيها عن هاتفها، ونظرت إلى يوسف نظرة فضولية، وهي
 تنقر بقلم الحبر الجاف على الطاولة، كما تفعل دوما عندما تستغرق في التفكير.
 "هل تتكلمين باللاتينية الآن أيضا؟ الأسئلة... الإجابة."
 "لا..". همست جيسيكا ثم تنحنت لتنظف حنجرتها، هل حقا قالت تلك
 الكلمات بصوت مسموع؟

"ليست لاتينية بل إيطالية وتعني: الكثير من الأسئلة ولكن لا إجابات".
 قال يوسف وهو يهز رأسه: "صياغة جميلة، وقول مأثور". ثم عاد إلى الكعك
 المحلى الذي ينتظر أمامه.

أحضرت نينا بعض الكعك المحلى من متجر البقالة المحلية، بالرغم من ضغط
 العمل الصباحي. أصبحت استراحة القهوة طقسا دائما في وحدة التحقيقات الجنائية
 مذ أدركوا أنها فرصة مناسبة لإجراء المحادثات. بالنظر إلى طبيعة الجرائم التي تقوم
 الوحدة بالتحقيق فيها، سيرى أي مراقب خارجي أن هذا التقليد ينم عن استرخاء
 وعدم اكتراث غير مبررين، ولكن هذا هو بيت القصيد من استراحة القهوة.

فركت جيسيكا السكر عن راحتها، وجمعتها بعناية في طبق ورقي. تناول
 المحققون الجالسون إلى الطاولة الكعك المحلى من دون أن ينبسوا ببنت شفة.
 ألصق مايكل أربع صور على اللوح، صورة لكل شخص وجد ميتا في الليلة
 الماضية: روجر وماريا كوبونين، سانا بوركا، والسمرء الجميلة مجهولة الهوية التي
 وُجدت في حفرة الجليد.

فُتح الباب ودخل إرني مع جهاز لوحي تحت إبطه. تم الانتهاء للتو من تهوية
 الغرفة، وها هو ذا إرني يجلب معه رائحة تبغ كريهة ولاذعة. بسرعة، وضع

راسموس ما تبقى من الحلوى في فمه كما لو أنه يخاف العقاب إن شوهده وهو يأكلها.

قال إرني وهو يتقدم نحو مقدمة الطاولة: "اجلس". وضع يده على الطاولة ونقر سطحها الخشبي بأظفار أصابعه المتباعدة. نظرت جيسيكا إليه، كل منهما يعرف الآخر منذ وقت طويل، واختبرا كثيرا من المواقف الصعبة معا، ولكن لم يسبق لها أن رآته بهذا القدر من التوتر، ربما لأن القضية هي قضية رأي عام، والضغط الذي يمارسه كبار القادة قد أثر فيه، وربما لأنه يبالغ بشدة في إظهار ما يمر به.

قال إرني: "ستولى جيسيكا زمام المبادرة في هذا". أوماً الجميع بالموافقة. كانت جيسيكا على رأس عملها وأول من استُدعي إلى مسرح الجريمة، لذا لم يكن هناك أي شك بصحة القرار، وأي قرار خلافه سيكون بياناً واضحاً بأن جيسيكا ليست موضع ثقة.

رج هاتف إرني في جيب بنطاله، لكنه لم يكثر له.

نشرت الصحف الرائجة أول عنوان خاطف للانتباه، وأضفت الطابع المسيحي على شعائر جرائم القتل، وأغلب الظن أنها على وشك نشر توقعات بشأن ضحايا جدد. وضع إرني يديه في جيبه، ومشى إلى وسط الطاولة، والتقط آخر كعكة محلاة.

"أريدكم جميعاً أن تنسوا أمر وسائل الإعلام، سأتعامل معها بنفسى. لدينا فرصة جيدة لتحقيق تقدماً سريعاً، شرطة شرقي فنلندا تساعدنا، ولأن أحد الضحايا ضابط شرطة فإن مكتب التحقيقات الوطني مشترك أيضاً".

"لكننا المسؤولون، أليس كذلك؟".

"نعم، يُعتقد أن هناك ترابطاً بين الجرائم، ومكتب التحقيقات الوطني وشرطة شرق فنلندا يتوليان قضية جوفاً تحت إمرتنا، وسيبقوننا على اطلاع بما يحرزونه من تقدم في التحقيق".

قالت جيسيكا: "حسناً". وشعرت برعشة في أصابعها لأنها المحققة الرئيسة في هذه القضية الكبيرة وتقع على عاتقها مسؤولية حلها.

سأل إرني وهو يأكل كعكته، ويمسح السكر عن جانبي فمه: "هل من جديد يا جيسي؟".

جلست جيسيكا باستقامة، ومحاولة أن تُظهر الحسم قدر الإمكان: "لم يُعثر على أي هاتف محمول بالقرب من جثة الذكر المحروقة، لذا علينا معرفة الجهاز الذي استُخدم للدخول إلى حساب روجر كوبونين على يوتيوب هذا الصباح، ربما حُمِل الفيديو من هاتف كوبونين نفسه".

"بيانات المكالمات؟".

"تم تعقب الهاتف لآخر مرة في محطة اتصالات تقع بالقرب من موقع الجريمة، وخلال ثلاثين دقيقة، سنكتشف ما إن شغل أحدهم الهاتف مجددا هذا الصباح".

قال إرني: "إذا تبين أن الفيديو حُمِل من هاتف كوبونين، فسيحملنا هذا على الشك في أن جناة جوبا وكولوزاري يعملون معا".

أوما الجميع برؤوسهم. التقط إرني سترته الصوفية المتدلّية عن ظهر كرسيه. منذ فترة، أصبحت حركة إرني متخشبة وبطيئة.

قال إرني وهو يتجه نحو الباب: "الخبر الجيد أننا لسنا مضطرين لابتكار استراتيجية تواصل فالجناة تولوا ذلك بالنيابة عنا، علينا أن نُجهّز أنفسنا لبعض الذعر لأن العامة ووسائل الإعلام سيبدؤون باستخلاص استنتاجاتهم بشأن القضية".

وقفت جيسيكا وقالت: "نحتاج إلى مشتبه بهم وبسرعة".

قال إرني: "أبدؤوا بالناشر".

"لماذا؟".

للمرة الأولى منذ وقت طويل ترسم ابتسامة حذرة على وجه إرني. "هو الطرف الوحيد المستفيد من هذه الفوضى على حدّ علمي، لقد سمعت في المؤتمر الصحفي أن ثلاثية مطاردة الساحرات لكوبونين قد نفذت في جميع الدول الإسكندنافية في غضون ساعات".

أنهت جيسيكا المكالمة ووضعت هاتفها على صدرها.

عملاء مجلس الشرطة الوطنية الذين ذهبوا إلى نيروفارم تحدثوا إلى رئيس ماريا كوبونين وبعض زملائها، لكنهم لم يأتوا بأي شيء خارج عن المألوف.

مجددا جلست جيسيكا أمام حاسوبها، ونظرت إلى الشاشة السوداء، ثم مدّت يدها محرّكة الفأرة، فأيقظت الحاسوب، لكن يدها تجمدت في منتصف الطريق. حدقت جيسيكا إلى الانعكاس المشوش الذي يُظهر حدود رأسها الخارجية بوضوح، ولكنه يشوه ملامح وجهها. هذه الصورة تكرر لتجربة الليلة السابقة عندما نظرت إلى انعكاسها على النافذة كأن هنالك أحدا ينظر إليها من الجانب الآخر للزجاج، شخص غريب من عالم مظلم وبارد يذكرها بأنها لم تجد مكانها في هذا العالم بعد، ولن تكون طبيعية يوما حتى وإن حصلت على وظيفة حكومية، وتظاهرت بالعيش على الراتب الذي تودعه إدارة الشرطة في حسابها المصرفي كل شهر. كاذبة. مزيفة. منافقة. محتالة. فون هيلنز⁽¹⁾.

صرخ يوسف بصوت عالٍ: "جيسيكا". كما لو أنه ينادي كلبا، أظهر وجهه تعاطفا من خلال الحاجز الذي يقسم الغرفة، ثم أكمل بطريقة أكثر هدوءا لكن بحماسة واضحة: "بيانات المكالمات".

نقرت جيسيكا لتشغّل شاشة حاسوبها، ثم توجهت إلى طاولة يوسف، هناك ما لا يقل عن ستة أو سبعة أكواب قهوة متسخة إضافة إلى بقع قهوة على حواف الطاولة، دائما ما ينشر يوسف الفوضى، وهذا ما يجعلها لا تتفاجأ بأنها لا تستطيع إيجاد أي صحن نظيف في المطبخ.

(1) إحدى أفضل عشر جميلات في مسابقة ملكة جمال العالم لعام 1992 وهي فنلندية الجنسية (المترجم).

خلف أكوام الأوراق هناك جائزتان حصل عليهما يوسف لفوزه ببطولة القسم في سباق السيارات الصغيرة، وهو أكثر من سعيد بأن يريهما لأي شخص أو أي أحد يمر بجانب مكتبه.

قال يوسف وذراعه مشبوكتان على صدره: "شغل هاتف روجر كوبونين هذا الصباح بين الساعة 8:02 والساعة 8:09".
"أين؟".

"في محطة مترو هلسنكي المركزية".
غرزت جيسيكا أظافرها في تنجيد كرسي يوسف. "عظيم، هناك أعداد هائلة من الناس هناك...".

قال يوسف وهو يكتب رقما على هاتفه: "سنبحث في أشرطة التسجيل".
وقفت جيسيكا باستقامة، واستنشقت ملء رئتيها الهواء العفن الذي يزفره نظام التكييف ذو الرائحة المميزة: مزيج من رائحة كيس المكنسة الكهربائية ورائحة المعدن. جسّت جيسيكا راسها، ولاحظت أن نبضها لا يزال مرتفعا بفعل أحداث الليلة الماضية؛ لم تستطع التفكير في شيء سوى لقائها مع الجاني، ووجهه المقنع بالكامل، وعينيه اللتين لا تستطيع تذكر لونهما، وكلماته التي لم تفهماها بعد.

لقد أنجزت المهمة الأولى. عبارة المهمة الأولى تشير إلى شيء سيحدث لم يخطر حتى الآن على بالهم، شيء يريدون القاتل أن يعرفوه، أو بالأحرى أن يخمنوه.
"جيسي؟". عرضت شاشة الحاسوب بثا لكاميرات المراقبة في محطة السكك الحديدية. قال يوسف: "قد يستغرق القليل من الوقت، أقصد البحث في التسجيلات".

"اتركه ل..".
"طائري الحب؟". ابتسم يوسف عندما رأى المفاجأة على وجه جيسيكا ثم هزّ رأسه.

"ماذا؟ أنتعقدين أي لا أعرف أن نينا وميكي مرتبطان بعلاقة حميمة؟ تعتقدين أن إرني لا يعرف؟".

"لا يهمني الأمر، اذهب وأخبرهما إن أردت". التقطت جيسيكا سترة شتوية
من مكتب يوسف ورمته بها. "سأخرج وإياك".
"إلى أين؟".
"كولوزاري، أريد رؤية ذلك المكان في وضح النهار".

ذاب الجليد البلوري وتحول طينا رماديا، كما لو أنه حزين بسبب أحداث الليلة السابقة المروعة.

قاد يوسف صعودا عبر الطريق السريع الشرقي، نظرت جيسिका إلى بناء شاهق انبثق وسط موقع بناء ما يفترض أن يكون أطول مبنى سكني في فنلندا عند الانتهاء من تشييده، تذكرت أنها رأت الرسوم التوضيحية لما يفترض أن يكون ناطحة سحاب بيضاء مضيئة تشمخ عاليا، لكنها لا تزال هيكلا رماديا كثيبا، ربما الطقس هو السبب، وربما بدت المواد أفضل على شاشات حواسيب المهندسين المعماريين.

سألها يوسف وهو يُخفض صوت الراديو: "هل إرني بخير؟".

"ما الذي ترمي إليه بسؤالك؟".

"إنه يبدو بشكل أو بآخر".

"متوترا؟"

"ليس ذلك فحسب، بل غير مبالٍ".

"جسديا؟".

"نعم". أجاب يوسف بسرعة.

راقبته للحظات وهو يقود، قبل أن تنظر إلى الطريق وهي تعي ما قصده، فهي تعرف إرني أكثر من أي شخص آخر في وحدة التحقيقات، ولاحظت التغير الواضح في سلوكه منذ وقت طويل؛ يبدو مريضا، لكن سؤالها عن حالته الصحية لن يعود بنفع أكثر من التكهن بها، فرئيسها الأستاذوني العنيد سيقول إنه على ما يرام، حتى وإن كان العكس صحيحا، وسيتهم الآخرين بالقلق غير المبرر.

في النهاية قالت: "إن كان يعاني من أي شيء، سنعرفه في سجل وفاته".
وتساءلت لماذا تشعر بضرورة إخفاء حقيقة أنها قلقة عليه.

"يعجبني أنه لا يتذمر من أي شيء حتى وإن...".

"ربما ليس لديه سبب للشكوى، لا يمكننا التأكد". رفعت صوت الراديو قليلا، ونظرت من النافذة. ظهرت بقع خضراء وسط وشاح الثلج الذي يغطي جزيرة موستيكاما بسبب ارتفاع درجة الحرارة، قبل أن تعبس.

"يوسف؟".

"نعم".

"ماذا كان القاتل ليفعل لو لم يتجمد سطح البحر؟".

"ينتظره حتى يتجمد جيدا".

"لكن ماذا لو أرادوا أن يرتكبوا الجريمة عندما يكون روجر كوبونين في الجانب الآخر من فنلندا، وماريا وحدها في المنزل؟ حسب كلام كوبونين كانت هذه الليلة الوحيدة التي خرج فيها طوال شهري كانون الثاني وشباط".

قال يوسف وهو يسلك مخرج كولوزاري: "أعتقد أن تجمد البحر في منتصف شباط أمر محتمل جدا، بالإضافة إلى أن روجر كوبونين قتل أيضا، لو كان في المنزل لقتل مع زوجته، لكن صادف أنه ذهب ليروج لكتابه، أليس كذلك؟".

"صادف أنه كان يروج لكتابه؟ كتابه؟" عضت جيسيكا شفتها السفلى. "كتاب كوبونين هو المفتاح لكل شيء، ولا أعتقد أن كل الأمور المرتبطة به محض صدفة".

"لا يمكن أن تكون صدفة".

أطبقت نينا روسكا قبضتها على علبة الحلوى الفارغة، ورمتها بعد أن جعلتها في القمامة بعد قليل من جلوسها أمام حاسوبها المحمول والشاشتين الموضوعتين على مكتبها، تعرض الوسطى قائمة بأربعة وخمسين ملف فيديو؛ واحد لكل كاميرا مراقبة. بدت المهمة مستحيلة، فما من أحد يعرف ما الذي يفترض بهم أن يبحثوا عنه، لكن الدقائق السبع التي حددتها جيسيكاستسهل الأمور كثيرا، بالإضافة إلى المعلومات المتعلقة بالموقع التي وفرها جهاز الإرسال في الهاتف المحمول، كما أن نظام ماك يوفر إحداثيات دقيقة لتحركات الجهاز.

قال مايكل وهو يسحب كرسيه: "سبع دقائق".

"استلم الفيديو ورفعته على يوتيوب في غضون ذلك".

"ما عدد الكاميرات المتبقية لدينا؟".

"بعد تقليص العدد، بقيت تسع كاميرات، يا له من أمر مزعج، أشك أنه وقف على منصة المترو ولهذا أشعر أن جهودنا ستذهب أدراج الرياح".

سأل مايكل وهو يحرك الشئ الذي في كوبه بالملعقة: "ماذا تقصدين؟".

"الجاني يعرف أننا سنستخدم كاميرات المراقبة للبحث عن شخص يحمل هاتفا لذا اختار مكانا مزدحما...".

"... والجميع تقريبا ملتصقون بهواتفهم".

نقرت نينا على أحد الملفات وفتحته: "انظر إلى هذا المنظر الكئيب، حتى

الناس الذين يسرون برفقة شخص آخر على الرصيف يحدقون إلى أيديهم".

"منظر محزن حقا، أعتف بذلك".

"أنا متأكدة أن الرجل الذي نبحت عنه في مكان ما في هذه اللقطات، لكننا بكل

بساطة لا نعرفه، وهناك على الأقل مئة شخص على تلك المنصة".

"متى أصبحت متشائمة إلى هذا الحد؟" سألتها وخطفت الفأرة من يدها "علاوة على ذلك، هناك شيء غير منطقي".
"ما هو؟".

"إنه يعرف إمكانية تعقب تحركات الهاتف، ومع ذلك شغلته في أحد أكثر الأماكن التي تعج بكاميرات المراقبة في البلاد، ما معنى ذلك؟".
"هذا..". تنهدت نينا بعمق وابتسمت: "هذا يعني أنه يريد أن يُرى".
قال مايكل: "أن يُرى، ولكن ليس بالضرورة أن يميّز". غمزها.

أسندت نينا ظهرها على كرسيها، ونظرت إلى مايكل، منذ سنوات مضت وقعت في شبك الثقة الكبيرة التي تنضح منه حتى عندما لا يستلزم الموقف ذلك. ربما لهذا السبب لم تجرؤ على الاقتراب منه في البداية، ظنت أن هدوءه ولا مبالته دلالة على رضاه بكونه أعزب، وعدم رغبته أن يكون هناك أحد إلى جانبه، فمن المستحيل أن يريد زميلة عمل مقربة تجهد نفسها بممارسة الجودو خمس مرات أسبوعيا. لكن منذ خمسة أشهر تقرب منها بعد نهاية مهمة عمل مرهقة بشكل استثنائي، احتسبا المشروب في حانة، وتحادثا بكل المواضيع التي لم يتطرقا إليها من قبل أثناء العمل، وأدركا أن هناك انجذابا واضحا بينهما ومنذ فترة طويلة.
سألته: "أهذا ضرب من الجنون أو شيء من هذا القبيل؟".

"بالطبع ومنذ البداية، الجاني يستهزئ بنا، ويرتب الجثث بطريقة تجبر الوحدة بأكملها على قراءة رواية متواضعة بتمعن وتمحيص، ثم يكتب رسالة على سطح منزل، ويجري محادثة وجها لوجه مع المحققة الرئيسية في مسرح الجريمة، ويستخدم هاتف الضحية لتحميل الفيديو على الإنترنت بالرغم من سابق معرفته أننا سنتتبع إشارة الاتصال". رفع مايكل كوبه إلى شفثيه.
فتحت نينا الملف التالي: "هذه فكرة مثيرة للقلق".
"ماذا؟".

"نحن نسلك المسار الذي أرادنا الجاني أن نسلكه، هذا يشبه وضع رأسك في عصيدة فتران أو قضيبك في حوض مليء بأسماك البيرانا".

"لكن هذا كل ما لدينا الآن. ومهما تكن خريطة الكنز مرسومة بشكل جيد، قد يرتكب الرسام بعض الأخطاء، لا أحد كامل وقد لا يملك الجاني أدنى فكرة عما تستطيع الشرطة فعله هذه الأيام".

ابتسمت: "هل أنت متأكد من ذلك؟".

بعد توقف طويل قال: "لا، ربما هو من مجلس الشرطة الوطنية".

"لونكفيست؟ ساحر أبيض شرير؟".

"المجلس بأكمله؟".

"بينغو!".

قال مايكل بتردد وهو يخفض أصابعه باتجاه فخذ نينا: "هناك حفنة من

الساحرات في ذلك المجلس".

صفعت نينا أصابعه: "ركّز فقط على ذلك الفيديو الآن".

مكتبة
t.me/t_pdf

خرج يوسف وجيسيكا من السيارة أمام منزل آل كوبونين، لقد تقلص الطوق الأمني؛ هناك دورية واحدة فقط توجه السكان المقيمين الذين يدخلون أو يغادرون المنطقة، لقد أصبحت فوضى الليلة السابقة مجرد ذكرى باهتة.

استنشقت جيسيكا الهواء البارد المحمل بنثرات الماء المجهرية، وجالت بنظرها في الأرجاء: آثار إطارات موحلة على طول الطريق الذي لم يتم جرف الثلج عنه بعد، وأشجار الصنوبر الطويلة تحمل بشجاعة عبء الثلج الرطب المتناقل. نظرت جيسيكا إلى البيت الخشبي أعلى التل وبالتحديد إلى نافذة الطابق العلوي حيث شاهدت الكلمتين المكتوبتين على السطح: ماليوس مالفركاروم.

انتعل يوسف وجيسيكا واقيات الأحذية بالرغم من أن المنزل فُتس بالكامل خلال الليل وفور دخولهما تذكرت جيسيكا الموسيقى التي كانت تعزف عندما وصلت الدورية: "ايماجن" لجون لينون، الأغنية وجدت طريقها إلى أحلام جيسيكا.

رأت المرأة الكبيرة عند المدخل وانتابتها رغبة قهرية بأن تمر من دون أن تنظر إليها، كما لو أن تلك النظرة ستكشف شيئاً لا تحمد عقباها، بالرغم من ذلك نظرت إلى انعكاسها بطرف عينها، ورأت شكلاً يشبهها لكن كل شيء معكوس: العواطف، والدوافع، والنوايا.

ما انعكس على المرأة مجرد قوقعة خارجية، دمية شمعية مصممة باحترافية؛ إنها هي. شعرت جيسيكا بألم حاد في رقبتها، فضغطت عليها بأناملها، وأجبرت نفسها على التركيز.

الجو بارد داخل المنزل، لا عجب في ذلك لأن الباب الأمامي كان مفتوحاً طوال الليل حتى ساعات الصباح الأولى. لكن -بطريقة ما- الهواء البارد يناسب

أجواء المنزل، والانطباع الذي يعطيه كثلاجة ضخمة تعززه درجة لونه وديكوره الباهت.

عبرت جيسيكا الرواق إلى غرفة الجلوس ووضعت يديها في جيبها، نظرت إلى طاولة الطعام الفارغة. منظر المرأة المتأنقة المبتسمة حفر جذوره عميقا في وعيها، كما لو أنها لا تزال تستطيع رؤية تلك الجثة.

سألها يوسف: "هل تسمعينني؟". أغلقت فمها وازدردت لعابها، جمدت عيناها طويلا بما يكفي ليشعر يوسف بالحاجة لإيقاظها "كيف استطاع الوصول إلى السطح؟".

أجابته: "سلم الصيانة بجانب المنزل". ثم نظرت إلى زميلها الأصغر سنا.

أخرج يوسف كدسة صور من جيب معطفه، واحدة منها التقطت من نافذة العجوز. تنير الأضواء ومصايح الشارع الكلمات المكتوبة على السطح التي تشكلت عن طريق الدوس في الثلج بوضع قدم تلو الأخرى وليس هناك أي أثر لحذاء زائد. قال يوسف: "النص متباعد بالتساوي ويغطي كامل عرض السطح. كل الأحرف متساوية الطول".

"كُتبت بعناية، لكن ما الذي تقصده؟".

"إذا ثملت وقررت أن أكتب كلمة اللعنة أو أكتب كلمة عضو ذكري في حقل ما أو على سطح السونا الخاص بي.."، شعر يوسف بالرضا لأنه استطاع جعل جيسيكا تبتسم قليلا.. سأكون أكثر من سعيد إن كانت حتى شبه مقروءة لمروحية".

"ما الذي ترمي إليه؟ أتقصد أن الجاني لم يكن ثملا؟ أو أنك كفنان ليس لديك الكثير لتقوله؟".

قال: "لا، إما أن هذا العمل الفني استغرق وقتا طويلا، وهذا غير ممكن حقا بالنظر إلى سلسلة الأحداث، أو أن أحدا تدرب مسبقا عليه وهو يعرف بالضبط أبعاد سطح منزل آل كوبونين". وأعطاهما الصورة.

"لم أعتقد لو هلة أنها مرتجلة، وأنا متأكدة أن كل شيء خطط له مسبقا".

"ماذا لو كانت الكلمتان قد كتبتا على الثلج في وقت سابق؟ عندما لم تكن هناك قيود زمنية.."

"لا، كُتبتا ليلة أمس؛ الأدلة الجنائية اطلعت على مستويات تساقط الأمطار وطبقات الثلج خلال الأيام القليلة الماضية" خطتْ نحو طاولة الطعام التي - لسبب أو لآخر - بدت أطول الآن لأن ما من أحد يجلس إليها.
"حسنا، هذا غير مهم لأنه إذا تدرّب أحدهم مسبقا على الأمر سنجد نفس الرسالة في مكان آخر".

رفعتْ ذقنها وشابكت ذراعيها.
أكمل شاعرا ببعض الارتياح: "بنفس الأبعاد تماما".
عبستْ وحدقتْ إليه: "فرضية تستحق التفكير فيها بالرغم من أنها غير منطقية". كان كل شيء يبدو غير منطقي الآن، وعليهم أن يعتمدوا على أفكار أكثر غرابة وجنونا إن أرادوا إيجاد حل لسيل عمليات القتل المجنونة هذه".

سألته: "ماذا تقترح؟". ورأت عيني زميلها الجميلتين تتقدان حماسا.
لطالما كان يوسف جذابا، لكنها حددت بحزم أنه بمثابة صديق أو أخ صغير لها، ربما لأنه كن مع آنا عندما قابلته للمرة الأولى، وكانا غارقين في الحب ببراءة تجعل مجرد الطرق على نافذة حبهما المثالي خطيئة قاتلة، بالإضافة إلى أن فكرة بقائهما معا كانت تبعث الأمل في الجميع.

وضع يوسف يديه على خصره محاولا استجماع أفكاره: "أعتقد بوجوب طلب إرني أن تمشط المروحية أو ربما إرسال بعض الطائرات المسيّرة بأسوأ الأحوال، ستضيع المروحية بضع ساعات وهي تحلق فوق الحقول دون سبب، لكن نشرة الطقس تتوقع مزيدا من الثلج غدا، لذا يجب أن نسرع إن أردنا أن نقوم ببعض البحث قبل حلول الظلام".

هزّ يوسف كتفيه، فتهدت جيسيكا بعمق وترافق ذلك مع رنين هاتفها.
"مرحبا ميكي".

"هل أنت مستعدة للتغوط بملابسك هلعا؟".

"افتتاح رائع، استغرب لماذا طُردت من عملي في التسويق عبر الهاتف".
"لأن هناك شيئاً مريباً جداً يحدث، فقد راجعت وبنينا الملفات من كاميرات المراقبة، وأعتقد أننا وجدنا الرجل الذي نبحث عنه".
"هل من الممكن التعرف إليه من اللقطات؟".
"بالتأكيد، وهذا هو الأمر المخيف حقاً". قال مايكل ثم يسعل.
قالت جيسيكا: "حسناً؟". عندها اقترب يوسف خطوة ووجهه ينضح بالفضول.

"الرجل هو... هو نسخة عن روجر كوبونين".
"ماذا؟".

"لو لم يثبت فحص الحمض النووي أنه احترق في الغابة خارج جوف الليل
الماضية لأقسمنا أنه هو نفسه".

نفخ إرني ميكسون على قهوته، لكنه لم يتذوقها، أخذ بضع مجات من سيجارته التي احترق ثلثها.

بالرغم من درجات الحرارة المرتفعة نسيبا، إلا أن الجو بارد جدا والنسيم القارص يجعل البرودة الرطبة لا تطاق. من الغريب أن هذا الجو يذكر إرني بيوم من كانون الأول قبل سنوات عندما وقف على أسوار حصن كاركاسون في جنوب فرنسا مرتديا بعض الملابس التي لم ترد عنه البرد وكانت زوجته المستقبلية إلى جانبه. كان المطر الثلجي يجلد وجهه، وكتل الثلج تتساقط من أغصان الأشجار ومزاريب السطح، وكان حذاؤه رطبا وحنجرته ملتهبة، وقتها ظن أنه يعاني من إنفلونزا عابرة، لكن الآن هناك مزيد من الأعراض فرائثه تحترقان من السعال اللعين وهو يأخذ مجته الأخيرة، لم تعد رائثه تحتملان إذ أنه اختبر قدرة جسده على التحمل لمدة طويلة جدا بسبب إيمانه بخلوده عندما كان فتيا، ولاحقا بحكم العادة. فعل الكحول فعلته في جسده، لكنه أيضا قدم الكثير لهذا الرجل الخجول. لا يستمتع إرني بقضاء الوقت وحيدا مع أفكاره، ناهيك عن صحبة الآخرين وهذا ما جعل من الكحول مرحبا به في كلتا الحالتين. ما يثير السخرية أن سم الأعصاب السائل الذي يقتله الآن هو نفسه الذي جعله قادرا على عيش تلك الحياة الطويلة والغنية والجيدة، بالنظر إلى كيف بدأت: ولدان أصبحا رجلين ذكيين، ووظيفة محترمة في الشرطة، ومجموعة من الزملاء المقبولين؛ جيسيكأ أقربهم إليه والأعز على قلبه.

سقطت السيجارة إلى قاع منفضة السجائر المثبتة بجانب الباب، مجرد فكرة أن منفضة السجائر فارغة أشعرته بالذنب، ربما أفرغها أحدهم للتو، وربما ما من أحد يدخن سواه في كل باسيلا، تمنى إرني أن يكون الاحتمال الأول هو الصحيح.

للحظة شعر إرني بالشوق والحنين إلى الأيام الخوالي، ربما هذه الموجة من الحنين للماضي بدأت عندما أطفأ سيجارته في مقر الشرطة الخالي تقريبا من المدخنين اليوم، وربما بسبب حقيقة أنه تألف أكثر مع فكرة موته على مدى الأشهر الماضية، فبداية الشيخوخة والضعف الجسدي الذي يرافقها وحش خيالي يبقى بعيدا عنك حتى يطرق يوما ما بابك فجأة.

إرني في الخمسين من عمره، لم يبلغ والده هذا العمر، ومنذ حفل عيد ميلاده الكبير الذي احتفل به في تشرين الأول، تملكته فكرة أن هناك ما يتغير جذريا في الرجل عندما يعيش فترة أطول من أبيه، فقد أمضى إرني وقتا أكثر من والده على هذا الكوكب، وهذا يعني أنه يجب أن يكون أكثر نضجا وحكمة، كما لو أنه انتقل من مرحلة التلميذ إلى مرحلة المعلم، وإن كان والده موجودا بطريقة ما الآن، لطلب نصيحة إرني وحكمته في الحياة، لكن مجرد فكرة وجوده تبطل منطقية الأمر برمته. مقياس الحرارة يصدر صوتا مجددا، 37.3 ليست كارثية، بل عالية بشكل ينذر بالخطر.

وضع إرني مقياس الحرارة في جيبه، وأمسك مقبض الباب الذي فتحه مايكل -الواقف كحارس في الردهة- بقوة في الوقت نفسه.
"إرني؟ لماذا لا تجيب على هاتفك؟"
قال إرني: "كيف ذلك؟". ثم تذكر أنه ترك هاتفه على مكتبه، لأنه أراد فقط عشر دقائق لنفسه: "ما الذي يجري؟".

وقف إرني قرب الطاولة في غرفة الاجتماعات، شابكا يديه على صدره، ناظرا إلى شاشة التلفاز الكبيرة حيث يعرض مايكل لقطات كاميرات المراقبة. أما نينا فجلست إلى الطاولة ترشف عصيرها، خالعة سترتها كاشفة عن ذراعيها الرياضيتين تحت قميصها.

قال إرني وهو ينظر إلى مرؤوسيه واحدا تلو الآخر: "هناك شيء خاطيء هنا".
قرب مايكل الصورة مجددا إلى الرجل الواقف على حافة منصة المترو، إنه يشبه روجر كوبونين بشكل مذهل، ويحمل بيده هاتفًا، التفت الرجل ونظر إلى الكاميرا بتردد. الصورة واضحة، ولا تترك مجالاً للشك، تعابير وجهه حذرة لكن هادئة.
قال إرني وهو يفرك جبهته: "اللعة، اللعة". ثم نظر إلى الأعلى، وبدأ يهز كتفيه بشكل غير ملحوظ تقريبا في البداية، ثم بشكل أقوى، ثم انفجر في نوبة من الضحك. تبادل مايكل ونينا النظرات.

"عليّ..". قالها إرني وهو يمسح الدموع من زوايا عينيه، وانتقل بشكل سريع ومفاجئ إلى حالة من الجدية، "عليّ اللعة، لم يسبق لي أن رأيت مثل هذا".
قال مايكل بتردد: "لا بد أن مسافرا آخر لاحظ كوبونين في محطة المترو المكتظة". واسترق نظرة على إرني، "فالرجل مشهور، وحتى إن لم تصل أخبار وفاته إلى صحف ساعة الذروة المجانية، فقد نشرت على الإنترنت بحلول ذلك الوقت".

قالت نينا: "تخيل نفسك تقرأ عن موت شخص مشهور على هاتفك، ثم تنظر أمامك وتجده في مترو الأنفاق" ووضعت كوبها الفارغ على الطاولة. "من المحتمل عندها أن أقوم بسحب فرامل الطوارئ".

قال إرني: "أول شيء سيخطر لي أنه يشبهه كثيرا، وهذا ما يفترض أننا نراه".

سأل مايكل باقتضاب: "لأنه تمت مقارنة الحمض النووي المأخوذ من الجثة بالحمض النووي الذي وجد على الأشياء الخاصة روجر كوبونين؟".
"نعم".

"هل يمكننا التأكد من أن الرجل من كولوزاري لم يضع تلك الأشياء في المنزل بعد أن قتل ماريا كوبونين؟ شفرة حلاقة وفرشاة أسنان ومزيل تعرق.."
"طقق مايكل مفاصل براجمه،" لسبب ما أردنا أن نصدق أن إحدى الجثتين في جوفها هي جثة روجر كوبونين، ربما هذا بالضبط ما كان يفعله الرجل المتنكر بملابس محقق جنائي في الطابق العلوي".

ثبت إرني عينيه على الشيخ الظاهر على الشاشة، "أين نزل من المترو؟".
"راس يبحث عن ذلك الآن".
قال إرني: "جيد". ثم انحنى على الطاولة، فانسلت ربطة عنقه البنية من تحت سترته.

رأت نينا مايكل يثبت علكته تحت لسانه، وسمعت صوت نفس إرني الثقيل في الغرفة الهادئة وهو يحك لحيته الرمادية مفكرا.
"ماذا لو أن روجر كوبونين لم يمت الليلة الماضية، ووصل إلى هلسنكي بكامل صحته ثم رفع مقطع الفيديو الذي يعرض زوجته الميتة على يوتيوب بينما كان ينتظر المترو... عندئذ يكون كوبونين الشيطان بعينه".

ربطت نينا شعرها وتركته ينسدل مجددا: "هناك شيء واحد لا أفهمه".
"لم قد يتكلف أحدهم عناء تزييف موت روجر إن كان يعرف أنه سيظهر بعد ساعات، مع هاتفه المحمول في محطة المترو وخلال ساعة الذروة؟".
"ربما كان كوبونين جزءا من الخطة..".

قالت نينا: "السؤال لا يزال قائما". وعم الصمت في الغرفة.
في النهاية، سأل إرني: "هل علمت جيسيكاً؟".
"نعم. لقد ذهبت مع يوسف إلى كولوزاري، واستدعت الأدلة الجنائية لأخذ المزيد من عينات الحمض النووي التي تخص روجر كوبونين".

وقفت جيسيكا خارج الأبواب الزجاجية المحطمة وتفحصت الفناء قبالتها. أغرقت جثة في الماء تحت جناح الظلام وبعدها دخل أحد المنزل عبر الفناء، ثم غادر من الباب الأمامي، وفي النهاية عمت الأضواء الساطعة هذا الفناء، وازدحم بالمحققين والكلاب. شعرت جيسيكا بالقشعريرة تجري في ظهرها.

"وصل رجال الأدلة الجنائية". دخل يوسف، ودخلت معه رائحة السجائر. الشيء الوحيد المشترك بينهم جميعا هو الإجهاد، وكلٌ منهم يتعامل معه بطريقة مختلفة.

مططت جيسيكا رقبتها: "اطلعهم على ما تحدثنا عنه للتو".

"ماذا ستفعلين؟".

"سأنزل إلى الفناء".

تستشق جيسيكا نسمات البحر القارصة عبر أنفها، ثم تغلق الباب الزجاجي المنزلق خلفها، وتنظر إلى المقبض والقفل، ليس هناك آثار اقتحام. لقد دخل الجاني من هذه الأبواب، ويفترض أن ماريا كوبون كانت تعرفه، ربما كان شخصا سبق له أن تناول العشاء على مائدة آل كوبونين، وربما شاهد التلفاز على أريكتهم أو نام في غرفة ضيوفهم، ربما تسلق سلم الصيانة إلى السطح مرة ما، وربما كان لديه سبب يتيح له أن يوجد على سطح منزلهم في ليلة شتوية، شخص لم تكن ماريا تتوقعه.

في ضوء النهار، بدا الفناء أكبر مما كان عليه ليلة أمس. عاينت جيسيكا السياج الذي يحيط بالفناء وجذوع الأشجار المقطوعة وشجرتي الصنوبر الطويلتين اللتين نجتا من القطع، على عكس الأشجار الأخرى التي قطعت لتفسح مجالا لإطلالة مباشرة على الشاطئ. طوّق الطريق الواصل من الشاطئ إلى الفناء بشريط أزرق وأبيض.

أمسكت جيسيكا بسياج السلالم الحديدي الأسود، ونزلت الدرج القصير بحذر، شاعرة بالثلج الذائب تحت قدميها. أحذية التنس التي تتعلها كانت مثالية في الليلة السابقة عندما كانت درجة الحرارة تحت الصفر، لكن عندما ذاب الثلج قليلا امتص حذاؤها الماء فشعرت بالماء يتجمد تحت قدميها.

نظرت جيسيكا إلى المنزل، ورأت يوسف يتحدث مع أفراد الأدلة الجنائية. بمجرد أن علمت أن روجر كوبونين يمكن أن يكون حيا شعرت بكيانها يهتز. لقد تحول فجأة من ضحية مزعومة إلى أحد المشتبه بهم.

رفع كوبونين بنفسه فيديو زوجته المقتولة على اليوتيوب بكل دم بارد، ثم استقل قطار المترو ولا أحد يعرف مكانه الآن، ربما هو في طريقه إلى المنزل. خففت الرياح من قسوتها على أغصان الصنوبر، رنّ هاتف، جيسيكا لكنها لم تكن تعرف الرقم المتصل.

"جيسيكا نيمي".

"مرحبا، هذا كوسكينين يتصل من سافونلينا أو في الواقع أنا في طريق العودة إلى توركو و..".

سألت بهدوء وهي تراقب غرابين يطيران من شجرة صنوبر إلى أخرى، وتظن أنها تسمع خربشة مخالهما أثناء إمساكهما بالأغصان، وصوت رفرقة الأجنحة الخفيفة لتنفذ عن ريشها قطرات الماء: "ماذا تريد؟". في تلك الأثناء نظر إليها الغرابان.

قال المتصل بعد لحظة من التردد: "حصلت على رقمك من المحقق الرئيسي ميكسون...".

"ميكسون".

"طبعاً، تماما. نحن في صدمة تامة إثر ما حدث، روجر كوبونين كان كاتباً رائعا و.. لا أصدق أننا جلسنا الليلة الماضية لتناول وجبة لطيفة في نهاية أمسية سعيدة، بعد اجتماعه في قاعة سافونلينا..".

"كيف يمكنني مساعدتك؟".

حاولت ألا تبدو وقحة، بالرغم من أنها تقاطعه للمرة الثانية. أغمضت عينيها وشعرت بتوتر شديد؛ تنبهت كل حواسها، نظرت إلى الغرابين، لكنها لم تعد تستطيع رؤيتهما بسبب الأغصان الكثيفة، ربما توهمت وجودهما طوال الوقت. "خطر ببالي شيء يتعلق بمقتل روجر كوبونين وزوجته لكنني لا أعرف حقا إن كان مفيدا...".

"أي شيء قد يكون مفيدا".

"ربما ما كنت لأتذكره لو لم يكن مهما، لكن الآن...".

"ماذا؟".

لم تعد جيسيكا قادرة على إخفاء نفاذ صبرها، راقبت الغرابين وقد استقرا جنبا إلى جنب على الغصن السفلي لشجرة الصنوبر وهما يهزان رأسيهما بعصبية إلى الأمام والخلف.

"عندما كان روجر يتحدث خلال الليلة الماضية، سأله أحد الحضور سؤالا غريبا، بدا ذلك الرجل واثقا من نفسه إلى حد كبير، حتى أنه بدا عدوانيا إلى حد ما، والآن بعد إدراك متأخر أعتقد أنه هدده بطريقة ما؛ فقد سأله روجر سؤالا غير اعتيادي...".

توقف المتصل ليفكر في كلماته، وقررت جيسيكا منحه بعض الوقت ليرتب أفكاره، إذ أن حثه على الإسراع في هذه الحالة لن يسبب إلا المشاكل. "لقد قمت بصوغها منذ برهة، لكن...".

"خذ وقتك، فمن المهم أن تحاول تذكر كل شيء بدقة قدر الإمكان".

"حسنا، أولا الشخص الذي يسأل كان رجلا في منتصف العمر، أصلع، نحيل، وانطوائي بطريقة ما ومخيف المظهر". بينما كان كوسكينين يثرثر ثبتت جيسيكا الهاتف بين أذنها وكتفها، وسحبت قلمها ودفت ملاحظاتها من جيبتها.

حاز المتصل على انتباهها الكامل.

سألته وهي تضغط على قلمها: "ماذا سأله؟".

"سأل... إن كان روجر خائفا من كتبه".

"إن كان خائفا منها؟".

"نعم، لقد كان سؤالا غريبا للغاية، ولا أعتقد أن روجر فهمه تماما، ربما لذلك لم يعرف كيف يجيب في البداية".

"ماذا سأل هذا الرجل أيضا؟".

"طرح السؤال نفسه عدة مرات بصيغ مختلفة بعض الشيء".

"برأيك هل كان الرجل يقصد أن كوبونين يجب أن يخاف من أن تصبح خيالات كتبه واقعا؟". ندمت جيسيكا على الفور لطرحتها هذا السؤال الموحى، والتفتت لتنظر إلى المنزل.

يبدو من الفناء أكبر مما يبدو عليه من الشارع، كان من الصعب تمييز ذلك الليلة الماضية في الظلام.

قال كوسكينين بصوت مرتجف: "حسنا، هذا ما حصل... هذا بالضبط ما بدا عليه الأمر. بالرغم من أن هذه الأحداث الفظيعة هي التي جعلتني أعتقد أن.. أن السؤال بدا تهديدا نظرا لما حدث".

"هل هناك فيديو أو تسجيل صوتي للحدث؟ هل كان هناك صحفيون حاضرون؟".

"لا أظن ذلك، لا أعرف بخصوص الصحفيين، ربما تواجد واحد أو اثنان، أنا كنت المشرف فحسب".

"عظيم، ما رأيك... بيف؟ أليس كذلك؟".

"نعم، بيف كوسكينين..".

"هل يمكنك التعرف إلى ذلك الرجل في صورة؟".

"لا أعرف، ربما، نعم، أعتقد ذلك. بطريقة ما كان مظهره غريبا".

"جيد. أسد لي معروفا بيف، ولا تغلق هاتفك طوال اليوم لأنني سأعاود الاتصال بك".

أنهت جيسيكا المكالمة، ودوّنت رقم المتصل مع اسم كوسكينين في دفتر ملاحظاتها الصغير، قبل أن تضع دفترها وقلمها في جيب معطفها.

إن كانت هناك كاميرات في قاعة سافونلينا أو بجوارها مباشرة، فلديهم فرصة للعثور على الرجل، لكن السؤال بحد ذاته لا يثبت ذنب أحد. لكن وبالرغم من ذلك، يبدو أن هذه المعلومة تحمل إمكانية ما.

غطت جيسيكا أذنيها بقبعتها، ولم تستطع إلا أن تشعر بالغباء، فكل ما يعرفونه عن القضية قُدِّم لهم على طبق من فضة، وخبرتها العملية علمتها أن الفتات الذي يرميه المشتبه بهم للشرطة لا يكون صالحا للأكل ويحتوي سما من نوع ما، وإلا لما عُرض على الشرطة في المقام الأول.

للأسف لديهم القليل من الدلائل كي يكملوا باستثناء الرجل النحيل في الجمهور ونظرية يوسف الهشة بأنهم قد يجدون هذه الكلمات (ماليس ماليفر كاروم) في مكان آخر، ربما مكتوبة في الثلج.

شعرت برغبة جامحة للاتصال بإرني، لكنها قررت الانتظار حتى تصل إلى المقر وتحدث إليه، فعلى الرغم من أنه ألطف رجل في العالم، لكنه يصبح أحق بطريقة ما عندما يتحدث عبر الهاتف؛ أكثر من محادثة معه خرجت عن المسار، لأن الحميمية التي تشع منه وجها لوجه تختفي عبر الهاتف. كي تحب إرني يجب أن تقابله شخصيا.

عبرت جيسيكا بصعوبة الأمتار المتبقية من الثلج الرطب باتجاه الشاطئ، وتوقفت على الرصيف، نعق الغرابان خلفها، ورأت طوافتين متجمدتين على جانبي الرصيف. إلى يسار الرصيف تستطيع رؤية الفتحة التي أخرجوا أميرة الثلج منها ليلة أمس، ما زالت الفتحة غير متجمدة، وداخلها المتجمد أسود كالزيت.

نظرت جيسيكا إلى مسار التزلج الطويل الذي ينحدر إلى منتصف الطريق المستقيم. أشارت المسارات إلى أن الطريق الذي سلكه المشتبه به ليلة أمس يظهر منحدرات كاييتالاتي وكرونوفوري الصخرية الخالية من البناء ورائه، هناك حيث ثملت جيسيكا، وأمضت بعض الليالي منذ فترة طويلة، كالعديد من المراهقين الآخرين.

نظرت جيسيكا إلى اليمين على بعد بضع مئات من الأمتار، فرأت شخصا واقفا على الجليد بين مسار التزلج ولاجاسالو، ما من أثر لكلب أو معدات صيد ثلجية، ربما هو مجرد صحفي متلهف مع كاميرا وعدسة مقربة.

شعرت جيسيكا برعشة في أحشائها، وندمت فجأة على مجيئها إلى الشاطئ وحدها.

حدقت جيسيكا بينما انبثق شيء من كتفيه، اعتقدت للحظة أنه يرفع يديه ببطء، ثم أدركت أنه زوج من القرون كانا هناك طوال الوقت، ثم رفع رأسه ونظر إلى نهاية الرصيف حيث تقف جيسيكا. شممت جيسيكا رائحة قنوات البندقية التنتة؛ مزيج من الوحل والملح.

وقفت مشلولة الحركة باستثناء أصابعها التي أمسكت بمقبض مسدسها، حدقت إلى المخلوق الغريب، وشعرت برغبة في الصراخ وأمر المخلوق بعدم التحرك ثم مطاردته. شعرت برغبة شديدة بالاتصال بيوسف وسائر العناصر الذين يقفون في الشارع لكن شفيتها لم تتحركا. رفع المخلوق يده اليمنى في الهواء، كما لو أنه على وشك أن يلوح، لكن يده لم تتحرك، وبمجرد أن سحبت جيسيكا المسدس من قرابه، وبدأت بالتقدم عبر الثلج سمعت شيئا، وعلا الصوت أكثر، ثم سمعت خلفها صوت فقاعات هواء تصدر من الثقب الجليدي، كما لو أن الماء داخله يغلي.

"ما هذا بحق الجحيم.."

وقفت من دون حراك بينما خرجت هذه الكلمات من فمها.

كما لو أنها كانت تشاهد عرضا مخيفا عن كابوس، سمعت صرخة حيوان، ورأت رأسا يرتفع من الثقب الجليدي، شعر لامع ملتصق بالوجه، ثم أصابع مزرقرة تخربش أظفارها الثلج الهش.

فتح كولومبانو أبواب الشرفة فرنسية الطراز، فملاً الضوء الشقة. اختلط صوت رذاذ محرك قارب يعبر القناة الضيقة، مع صوت أحد ما ينفض سجادة، فدخلت نسمة مشبعة برائحة الملح، استطاعت جيسيكا شم رائحة طين حافة القناة المكشوفة خلال المد المنخفض.

سألها كولومبانو وهو يتقدم نحو أبواب الشرفة: "هل تعرفين، زيسكا؟ لو كنا نعيش فصول فيفالدي الأربعة لكان هذا الصباح، بل هذه اللحظة بالتحديد هي الربيع".

ابتسمت: "هل هذا أمر جيد؟".

"بالطبع جيد أيتها السخيفة، هذا يعني أننا في بداية شيء جديد، والأفضل ينتظرنا، ولدينا الصيف لتطلع إليه".

"لكن الخريف سيأتي يوماً ما، والشتاء أيضاً".

قال كولومبانو وهو يحدق خارج أبواب الشرفة: "الشتاء لا مفر منه، ولكن مع الصحبة الصحيحة يمكن أن يكون رائعاً، أتعرفين ما أريد القيام به اليوم؟". نظر متأملاً وقد رفع يديه القويتين إلى إطار الباب، ودفع صدره إلى الأمام ليمدد الجزء العلوي من ظهره. كشف الضوء القوي بوضوح التمايز بين عضلات كتفه كما لو أن جيسيكا تنظر إلى لوحة الرجل الفيتروفي لدافينشي حيث ظهرت التفاصيل المتقنة بفعل التظليل.

رفعت جيسيكا الغطاء وأبعدت شعرها عن عينيها.

"أود أن أبحر إلى مكان ما". استدار، وكشف جلده العاري عن دزينة من الوشوم، هذه الوشوم لم تجعل منه مخيفاً بل على العكس، فجسده كمجموعة مصورة من قصص ما قبل النوم التي تحمل في طياتها دروساً أخلاقية تبعث الدفء

في القلوب، درست جيسيكا تلك الوشوم وتتبعت بأطراف أصابعها حوافها الخارجية الخضراء الغامقة، وسألت وسمعت عشرات القصص.

سألته بفضول: "تود أن تبهر إلى مكان ما. في البندقية، الماء في كل مكان والقوارب هنا مجرد أداة ووسيلة نقل". إنها في محطة فضائية وكولومبانو يريد أن يأخذها في جولة على متن صاروخ.

"لم لا؟". رمقها بنظرة أصبحت تعرفها خلال الأيام القليلة الماضية، وابتسم لها ابتسامة لم تكن رقيقة بالمطلق، بل تحمل شيئاً من المكر.

"ألم تكتفِ زيسكا الصغيرة من اللعب في الداخل بعد؟". خطا خطوتين، وارتمتي على السرير وعانقتها: "أميرتي القطبية لا تشبع؟".

"لا، دعنا نبهر". ابتسمت وأغمضت عينها تاركة له أن يقبلها قبلة طويلة تلامست فيها شفاههما ولسانها وأسنانهما، ربما كانت هذه القبلة رقم مليون لهما، ولكنها كانت بطعم القبلة الأولى.

"جيد. أشعر أنه علينا أن نبهر في هذه اللحظة". قفز كولومبانو خارج السرير بسرعة لدرجة أن جيسيكا ظنت لبرهة أنهما ما زالا يتبادلان القبل وهي مستلقية هناك وحدها.

بعد لحظة، قال من الحمام: "لديّ قارب، بقوة عشرين حصاناً، إنه فراري البحار".

مددت جيسيكا ذراعها، وأبعدت عنها ملاءة السرير الرقيقة، لقد قضت يومين في هذه الشقة أو بالأحرى ثلاث ليالٍ على وجه الدقة. خلال النهار تجولاً في المدينة سيراً أو بواسطة القوارب البندقية عبر مئات القنوات وتعانقا ورأيا البحارة يحركون قواربهم بمجاديف طويلة، ومال كل منهما على الآخر وجلسا بصمت. تحولت حياة جيسيكا إلى أكبر قصة مبتذلة في العالم؛ فهي تعيش قصة حب غير متوقعة في مهد الرومانسية، وهي تؤدي فيها دور البطولة المطلقة.

في استراحة قصيرة من نشوة الهيام التي تطيح بكل الأفكار العقلانية، تذكرت أن الخاتم الذي زين إصبع كولومبانو عندما انتظرا قارب الأجرة في جزيرة سان

ميشيل لم يعد موجودا، وكل ما تبقى هو الجلد الشاحب مكان الخاتم سابقا. لن تلاحظ ذلك إلا إن كنت تعرف بالضبط ما تبحث عنه وأين تجده.

أحست جيسيكا بالذنب لأنها تعرف أنها تجرح إحداهن، وأيا تكن فهي ليست هنا، ربما ماتت، ربما كان كولومبانو يذرف الدموع عليها في المقبرة، أشعرتها الفكرة بأنها شخص يقتات على آلام الآخرين، لكنها تعرف تماما أنها ليست لصة، وإذا طلب منها أي شخص إعادة كولومبانو، فستفعل ذلك على الفور، وتمضي في طريقها، لكنها تأمل من كل قلبها ألا يحدث ذلك. جيسيكا شابة وحررة وجسدها يرتعش بقوة الحب.

نادت جيسيكا: "يفترض بي اليوم أن أسلم الغرفة التي استأجرتها في الفندق". لكن كولومبانو لم يسمعها بسبب صوت الماء. فاحت رائحة صابون منعشة في غرفة النوم. منذ ليلة الحفل، لم تعد جيسيكا إلى فندقها في مورانو، سوى مرة واحدة فقط لتجلب ملابسها، وحتى حينها لم يسأل كولومبانو عما قاله أصدقاؤها بشأن غيابها، ربما يعرف أنها لا تملك أصدقاء، وفي نهاية المطاف، لن يحدث هذا أي فرق. مرّ الوقت بسرعة بالتحدث والطعام والشرب واستكشاف المدينة والحميمية. لكن في الليلة الماضية -عندما استيقظت في الظلام، وسمعت غطيط كولومبانو- فكّرت لبرهة أنها لا تعرف شيئا عنه تقريبا.

طرح الأسئلة المهمة هو فن حقيقي، فمع بداية أي قصة رومانسية قد يبدو الفضول تطفلا سابقا لأوانه، لكن بعد بضعة أيام من نشوة الحميمية، بالتأكيد سيختار الشخص كلماته بعناية لأن الرهان أصبح مرتفعا.

جلست جيسيكا، وجالت بعينها في أرجاء الغرفة المضاء بأشعة الشمس، لم تكن الغرفة كبيرة؛ بل كانت الشقة بأكملها صغيرة جدا على طراز أوروبا الوسطى القديم. الأثاث ملتصق ببعضه، وهناك أشياء محشورة في كل مكان، لا يوجد متر مربع فارغ.

نهضت عارية من السرير، وشعرت بالألواح الخشبية البالية تحت كعبها، سارت إلى طاولة التحف بينما كان كولومبانو يغني في الحمام ما يبدو أنه أغنية

شعبية إيطالية، مسحت الغبار عن بعض الأطر المزينة هناك، فاستخت أصابعها. هناك أكثر من دزينة صور، بعضها باهت وبالأبيض والأسود لشخصين يفترض أنهما جد وجدة كولومبانو، أما الصور الأخرى فهي أكثر طبيعية والعفوية واضحة فيها.

صورة كولومبانو وأوركسترا، كولومبانو وكمانه، كولومبانو مع مجموعة من الرجال، كولومبانو وامرأة خذا إلى خد. التقطت جيسيكا بحذر الصورة الأبعد في الخلف؛ بحر أزرق متلألئ وشمس ساطعة في الخلفية وشخصان جميلان، الرجل في الصورة لا يبدو أصغر من الرجل الذي عرفته جيسيكا على مدى الأيام القليلة الماضية والذي ينظر إليها بطريقة تُعَلِّمُهَا أنه ليس هناك أحد آخر غيرها وحتى إن كان. تذكرت جيسيكا بكاء كولومبانو في مقبرة سان ميشيل مجددا، وفكرت مليا، في الحقيقة لا يفترض أن تعرف كل شيء عنه، فقد تقابلا للتو، وبالكاد يعرفان بعضهما.

ربما هذا ما يجب أن تكون عليه الأمور بينهما، ربما سينتهي كل شيء كما بدأ.. بسرعة.

ربما ستركب جيسيكا القطار إلى ميلان اليوم، كما خططت مسبقا. توقف صوت الماء في الحمام لكن الغناء استمر. أعادت جيسيكا الصورة إلى مكانها على الطاولة الضيقة، لكنها انقلبت، وبدأت بقلب الصور جميعا واحدة تلو الأخرى، شعرت جيسيكا بحمرة الخجل تصبغ وجنتيها، وبالكاد توقفت الصورة الأمامية من السقوط على الأرض.

سمعت خطوات كولومبانو، فارتسمت ابتسامة على شفتيها، واستعدت للاعتذار، لكنه أمسك كتفها وسحبها إلى الخلف بقسوة غير متوقعة، ضغطت أصابعه على كتفها وآلمتها.

ارتجف صوتها من المفاجأة: "أنا آسفة".
وقف أمام الطاولة وفي يده منشفة، أعاد أطر الصور إلى وضعياتها السابقة صورة تلو الأخرى وبصمت، ولم ينظر إلى جيسيكا. تقطّر الماء من جسده الرطب

إلى قدميه، وكانت تحركاته مقتضبة وغازبية، أرخى قبضته، فسقطت المنشفة أرضاً، واستدار نحو جيسिका التي انسحبت إلى السرير، ولفت الملاءة حولها بشكل رخو.

"ماذا سأفعل بك؟".

"ماذا؟". تلعثت وتمنت للحظة أن تكون في مكان آخر، ربما على متن قطار يأخذها إلى وجهتها التالية.

نظرت إليه بحذر، لم يعد غاضباً بل حملت نظراته شغفا مقلقا، ومن الصعب معرفة ما يشعر به. ربما هو الحب.

"ماذا سأفعل بك؟". كررها بهدوء، ثم تقدم ببطء نحوها ووضع أصابعه القاسية وراء رقبتها ثم مررها داخل شعرها.

سألته: "ماذا تعني؟". ورائحة صابون الاستحمام القوية تهاجم أنفها، واقتربت الحمامتان الخضراوان الغامقتان اللتان تشابكان على صدره القوي من وجهها، ضغط شفثيه على جبينها فأحست بأنفاسه الرطبة على أذنها، قبضت يده على رقبتها بقوة أكبر، فسقطت الملاءة عنها وضغط بأصابعه ما بين فخذيهما، فتأوهت بصوت عالٍ، منحنتها اللمسة شعورا رائعا بالرغم من أنها تفتقر إلى الحنان الذي اعتادت عليه من كولومبانو حتى الآن.

ضغط على ظهرها لتحنني على السرير، فترى نفسها في المرأة المعلقة بجانب باب الحمام، شعرها الداكن مبعر على وجهها وأظافرها الداكنة تمسك بالملاءة وشفثاتها تباعدتا إثر أنينها، وعضلات معدته تتحرك بإيقاع فوق رديها. لم تعرف نفسها في انعكاس المرأة نظرت إليه كما لو أنها ترى صورة غريبة ما للمرة الأولى، وبعد لحظات عندما أوشكت على بلوغ النشوة، فكرت كم هو رفيع الخط الذي يفصل بين اللذة والألم.

الشك الذي لانهاية له والخوف والوحدة لا يأتيان إلا فيما بعد.

وقفت جيسيكا ساكنة للحظة، محاولة أن تستجمع ما تراه، هناك شخص في الماء، امرأة. ركضت جيسيكا بسرعة عبر الرصيف وقفزت إلى الجليد. وصرخت بأعلى صوتها "يوسف!"، ركعت بسرعة بجانب المرأة التي تتخبط. استغرقها الأمر ثوان لتستجمع شتات نفسها وتعاين خياراتها أمام هذا الموقف الغامض.

ثم رأت شعرا أسود التصق على وجه مزرق شوّهه الفزع. سعلت المرأة الماء الثلجي الذي شق طريقه إلى رتيها حيناً، وصرخت بأعلى صوتها حيناً آخر.

سُمع صوت خطوات أحدهم وهو يركض نحو الشاطئ، أمسكت جيسيكا بذراع المرأة محاولة سحبها من الماء بكل ما أوتيت من قوة، لكن تخبط المرأة والماء شديد البرودة زادا الأمر صعوبة، فانزلقت قبضة جيسيكا. عندما بدا أنه من المستحيل سحب المرأة من الماء، دُفعت خارجه، وأخذت تنتفض كما لو أنها سمكة أخرجت من الماء.

ركض يوسف صارخا: "ما هذا بحق الجحيم". خلعت جيسيكا معطفها، ولفته حول المرأة المترجفة. "هناك شيء ما دفعها خارج الماء! لقد أحسست به.. هناك أحد ما تحت الجليد".

أمسكت سلاحها ووقفت. حمل يوسف المخلوق الذي يصرخ ويقطر الماء: "يجب أن ندفعها!" تحركت عينا جيسيكا بسرعة بين فتحة الجليد ووجه المرأة وعينيها المحدقتين برعب خلف خصلات شعرها الأسود.

صاحت جيسيكا، وأشارت إلى الفتحة: "غواص... هناك أحد ما تحت الجليد، اللعنة!"

توقف يوسف وهدق بخوف إلى جيسيكا، ثم بدأ بالركض نحو الشاطئ حاملا المرأة بين ذراعيه.
"أحضرها غواص إلى هنا..".

في البداية قال يوسف بهدوء: "ابتعدي من هناك" لكنه رفع صوته عندما بدأت المرأة بالصراخ مجددا. "اللعنة، ابتعدي من هناك يا جيسيكا! سنلقي نظرة خلال برهة، يجب أن أدخلها إلى المنزل". واستدار باتجاه منزل آل كوبونين.
دارت جيسيكا حول الثقب، ووجهت مسدسها إلى الماء وتتبعته بفوهته الطريق المتخيل تحت الجليد، ثم رفعتة إلى حيث رأت ذلك الكائن ذا القرنين منذ لحظات.

لقد اختفى!

مسح إرني قدميه بعناية على ممسحة الأرجل، وأحس فوراً بعبثية وسخافة ما يقوم به.

"أين جيسيكا؟".

ردّ يوسف: "في غرفة الجلوس". ومشى مجتازاً رئيسه في المدخل، مشى إرني بخطوات واسعة عبر المدخل إلى غرفة الجلوس التي امتلأت بالأشخاص كما الليلة الماضية تقريبا.

جلست جيسيكا إلى الطاولة الطويلة وتحديداً على الكرسي التي جلست عليه -آخر مرة- ماريا كوبونين، وقد شدت قبضتها، ووضعتها أمامها على الطاولة وبدأت الجدية والكآبة على وجهها.

مشى إرني إليها: "هل أنت بخير؟".

"من؟ أنا؟" كانت جيسيكا تحدد إلى الطاولة، نظر إرني خارجاً إلى الشاطئ الذي يحرسه نصف دزينة من عناصر التدخل السريع مع رشاشاتهم ونصف دزينة مسلحة أخرى توسع دائرة تمسيطها للجليد.

قالت جيسيكا وهي ترخي قبضتها: "هذا ليس تحقيقاً عادياً بجريمة قتل يا إرني".

"كان هذا واضحاً منذ ليلة أمس". وضع إرني يده على أصابع جيسيكا، فتتبعت عينها حركته هذه، لكن تعابير وجهها لم تظهر أي تأثير.

"إنهم يتلاعبون بنا.. بي أنا.. لا يمكن أن تكون مصادفة أنني كنت على الشاطئ حين..".

"هذا ليس أمراً شخصياً، صادف وجودك أنت ربما كان سيصادف وجود: يوسف، أنا.. أحد رجال الدورية...".

"لا أظن ذلك يا إرني، هناك شيء غريب حقا يحدث... لا أستطيع التوقف عن التفكير بالأمر".

"عليك أن توقيه وإلا سيتأثر التحقيق".

"أظن ذلك". قالت جيسيكا، وسحبت يدها ببطء من يده.

وقف إرني ومشى باتجاه الأبواب المنزلقة: "المرأة.."

"هل.."

"هي في حالة جيدة، تحت تأثير الصدمة بفعل انخفاض درجة حرارة جسدها،

لكن الطبيب قال إنها ستنجو".

"متى يمكننا التحدث إليها؟".

"قريبا على ما أعتقد، لقد نقلت للتو إلى مستشفى تولو".

"ماذا عن حمايتها.."

قال إرني وهو يجول بعينه في أرجاء غرفة الجلوس: "تم تدبير ذلك، ولن يتمكن

أحد من الوصول إليها". ثم سمع جيسيكا تشتم بصوت منخفض وتهز رأسها.

"ماذا كان ذاك اللعين ذو القرنين..."

تهند إرني: "جيسيكا.. هذا كل ما عليّ قوله.

"أنت لا تصدقني؟".

لم يجب إرني فلا فائدة من نقاش هذه النقطة.

لم يسبق له أن رآها في هذه الحالة إلا مرة واحدة قبل خمسة عشر عاما تقريبا،

ولم يعد أيهما كما كان حينها.

سألت بإصرار: "والآن؟".

"مُشطت المنطقة، وحتى الآن لم نجد في الجوار أي شخص يطابق الوصف".

"عظيم، لم ير أحدٌ رجلا بقرنين يتجول في الأرجاء...". وزفرت جيسيكا

بتذمر.

"ولم يجدوا ثقبا آخر في الجليد، حيث كان يمكن لغواص أن يدخل الماء مع

الضحية. تولى خفر السواحل أمر هذا البحث".

دلّكت جيسيكا جينها بينما دخل يوسف الغرفة مرتديا معطفه. أوماً له إرني كي يجلس إلى جانبها ففعل ما طلب منه.

"انصتا، بالرغم من أن القضية ليست عادية، لكن عزيمتنا لا يجب أن تُثبط أو نستسلم، لدينا خمس ضحايا الآن وآخرهم نجت.."

قالت جيسيكا وهي ترسم بأصبعها شكل الرقم ثمانية على الطاولة: "نجت لأنهم لم يريدوا قتلها لسبب ما".

"تحدثت للتو مع القائد عبر الهاتف، لقد أعطونا مزيداً من الرجال. يوسف، ستولى زمام الأمور مع عناصر مكتب الشرطة الوطنية".

قال يوسف، وقد شابك ذراعيه: "كما تريد".

سألت جيسيكا: "ماذا عن الرجل الذي رأيناه في أشربة كاميرات المراقبة؟ يبدو وكأنه روجر كوبونين بحق، بالرغم من غرابة الأمر".

"ما هي استراتيجيتنا للتعامل مع وسائل الإعلام؟"

"يتم تدبر الأمر بينما نتحدث".

"هل أصبح كوبونين المشتبه به الرئيسي الآن؟"

"يجب أن نحسم الأمر في أسرع وقت ممكن".

أغلقت جيسيكا الباب خلفها وسمعت صوت محرك سيارة يوسف يعمل بصعوبة على جانب الطريق.

بدا الفناء الأمامي لمنزل آل كوبونين كموقع تصوير فيلم هوليوودي مجدداً، جلبت آليات كبيرة كثيراً من الأشخاص والمعدات؛ غادر السيرك محملاً بالأمثلة ثم عاد إلى كولوزاري مرة أخرى.

أغلقت جيسيكا سحاب المعطف الذي ترتديه، لم يكن معطفها، فمعطفها الآن ملفوف حول المرأة التي خرجت من الماء، وهذا يعني أن هاتفها ومحفظتها والدفتر الذي كتبت عليه اسم الرجل الذي اتصل من سافونلينا أيضاً في سيارة الإسعاف التي تتجه بسرعة إلى المستشفى.

أحست جيسيكا بتيبس في أصابعها، وبألم ينخز مفاصلها، ومع أن يديها غمرت بالماء للحظة فقط، لكنها تحس أن الدم لا يسري بهما جيداً بعد.

توقف يوسف بالسيارة عند بوابة منزل كوبونين، مشت جيسيكا بتثاقل وفتحت باب المنزل، صعدت إلى سيارة يوسف، وألقت نظرة أخيرة على المنزل، ثم أغلقت باب السيارة.

"مستشفى تولو؟"

قالت جيسيكا "نعم". وأسندت رأسها إلى مسند المقعد. بالرغم من الغيوم الخفيفة التي تحجب الشمس، لكن الجو كان أكثر إشراقاً من قبل.

قال يوسف وهو يغلق المسند الفاصل بين المقعدين: "لم يسبق لي أن رأيت شيئاً كهذا". لمحت جيسيكا علبة سجائر حمراء.

"هذه ليست لي".

"لست أختك الكبيرة كما تعلم".

"هذا واضح جدا من اختلاف درجات الاسمرار بيننا".

ابتسم يوسف، ولوّح لضابط الدورية الذي يمنع أحدا من دخول محيط المنطقة. قالت جيسिका، وهي تنظر من نافذتها إلى الرجل ذي الوجه النحيل وقبعة الشرطة المنسدلة فوق رأسه الأصلع: "دخن كما تشاء ما دمت تستطيع الجري من بداية ملعب الهوكي إلى نهايته".

سلكت السيارة المسار نفسه الذي اتخذه الجاني عندما كان يرتدي ثياب العمل البيضاء المؤلفة من قطعة واحدة للهرب سيرا على الأقدام في الليلة السابقة. تذكرت جيسिका بوضوح نبضها المتأجج، وقرصة الهواء المتجمد في رئتيها، وثوب العمل المرفرف في وسط الشارع، وخوفها وخيبة أملها، والغضب الذي تملكها عندما هدا خوفها. من الواضح أن الرجل كان يلعب معها لعبة ما.

ليلة أمس قابلته في المنزل واليوم على الجليد، ولا تعتقد أن الأمر مجرد صدفة، أراد أن يُرى -هنيئا له- ستطلق عليه النار في المرة القادمة.

عندما انعطف يوسف عند التقاطع قالت جيسिका: "أوقف السيارة!". لقد تذكرت الاتصال الهاتفي الذي تلقتة قبل قليل من لقاءها مع الكائن ذي القرنين على الجليد؛ في منتصف العمر، أصلع، نحيل الوجه.

فتحت جيسिका بابها.

سألها يوسف: "ما الأمر؟". لكنها خرجت.

تأكدت جيسिका أن مسدسها في وضعية الاستعداد في طريق عودتها إلى منزل كوبونين، سمعت صوت باب سيارة يُغلق خلفها متبوعا بصوت خطوات يوسف الذي يجري خلفها.

نادت جيسिका وصفّرت لعناصر الشرطة الذين يضبطون المدخل الأمامي للمنزل.

لا أثر لزميلهم النحيل الأصلع، شعرت جيسिका بحواسها تتأهب، أين ذهب؟ سألتها أحد العناصر: "هل نسيت شيئا؟"، بنبرة يتخللها القليل من السخرية وتقليل احترام رتبته.

نظرت جيسيكا إلى عينيه ثم التفتت إلى شريكه، وصل يوسف يلهث من الركنض، ونظر إليها مرتبكا.

سألت جيسيكا والترقب ينخر أحشاءها: "أين هو ذاك الرجل الآخر؟ أين هو الرجل الطويل النحيل؟".
"من؟".

قال جيسيكا بعصية: "الذي كان يقف بجانب الحاجز منذ ثوانٍ!". فتبادل عنصرا الدورية نظرات السخرية.

أصرت: "أين هو؟". اقترب يوسف خطوة منها، وفتح فمه ليقول شيئا، لكنه أطبقه على الفور، سمعت جيسيكا صوت سعال خلفها.
"أبتحثن عني أيتها المحققة؟".

استدارت ورأت العنصر الذي سمح لسيارة يوسف بالخروج قبل قليل واقفا عند مدخل منزل آل كوبونين.

"رقيب، سيدتي". قال ذلك، ورفع يديه في الهواء "هل أنا واقع في مشكلة ما؟" ضحك أحد عنصري الدورية، نظرت جيسيكا إلى الأسفل، وأدركت أنها تحمل مسدسها في يدها اليمنى فوضعتة في قرابه. "هل يمكنني رؤية شارتك؟".
قال الرقيب: "بالتأكيد". وفتح ببطء جيب صدره.

"لماذا بحق اللعنة تقلب عينيك؟".
"آسف، لكنني لا أفهم..".
أخذت جيسيكا شارته ثم حركت عينيها بين الاسم والصورة والوجه الذي أمامها.

"ذهبت للتبول وفجأة..".
أعادت له الإشارة: "هيا يوسف".
سارت نحو السيارة، وسمعت خلفها صوت ضحك خافت ينتقل بسرعة من أحدهم للآخر.

مريضة فصام لعينة.

سألها يوسف: "أتريدين إخباري ما الذي حصل؟"، وهو يُعشّق ناقل الحركة إلى ترس أعلى بعد تأخر طويل، الطريقة التي يعاقب بها محركه المسكين تزعج جيسيكا بشكل كبير.

"تلقيت مكالمة هاتفية عندما كنت في الفناء الخلفي، قبل أن.. يحصل ما حصل".

"من كان؟".

"شخص ما من سافونلينا، أجرى مقابلة مع روجر كوبونين الليلة الماضية أو شيء من هذا القبيل، وقال إن واحدا من الجمهور سأل كوبونين إن كان يخاف من الأشياء التي يكتبها".

"إن أخذت كل ما حدث بعين الاعتبار، يبدو هذا كافيا للإدانة".

"أصلع ونحيل وغريب المظهر.. وفي منتصف العمر". رمقت جيسيكا يوسف بنظرة مليئة بالمعاني.

"أفهم أن هذا قاسٍ عليك، إنه قاسٍ علينا جميعا، لكن.."

"لكن ماذا؟ هل تشكك بي أيضا؟".

"أيضا؟".

"كان هناك رجل بقرنين على الجليد، وكان هناك بسببي".

"حسنا، لكنني لم أره".

صمتا لبرهة.

"لا لم تره، ولا تفهم المغزى أيضا".

"والذي هو؟".

"لو لم نذهب إلى منزل آل كوبونين، لما كانت تلك المرأة في البحر من

الأساس".

تتعقب نينا روسكا بعينها القائد الذي يرتدي زيه الرسمي ويمشي بحدّة وغطرسة مجتازا مكاتب رجال الشرطة الذين يكدحون في عملهم دون أن يبذل أي جهد بإلقاء التحية على أي منهم. الساعة الواحدة ظهرا تقريبا وإرني لا يزال يعد البيان الصحفي الجديد لكبار الضباط.

نقرت نينا بأصابعها على مكتبها، تراقب مايكل يصب لنفسه كوبا من الماء الساخن في المطبخ، ثم يغرف ملعقتين كبيرتين من القهوة سريعة التحضير ويضعهما في الماء.

قالت نينا: "يُفضل أن تضع القهوة أولا".

"هراء، إذا وضعت القهوة في النهاية فلن تتعرض جيدا للهواء قبل أن تبتل وتختلط بالماء. النتيجة: فنجان لذيذ من القهوة سريعة التحضير".

"أنت نفسك لا تصدق ذلك".

"ما لا أصدقه هو أنك تهتمين بأي ترتيب أضع القهوة والماء في كوبي".

قالت نينا بينما جلس مايكل بالقرب منها: "يبدو بعض الناس عاجزين عن اتباع أبسط الوصفات".

قال مايكل: "كنت أفكر" وحرك قهوته.

"يبدو أنك كنت تفكر بشيء آخر غير تحضير القهوة؟".

نظر مايكل حوله خلسة وخفّض صوته: "كنت أفكر أنه سيكون من الممتع أن نعلن علاقتنا".

"حقا؟".

"حتى لا نضطر للتسلل بعد الآن. أعني، اللعنة، نحن حتى لا نستطيع الذهاب لمشاهدة فيلم معا".

أخفضت نينا يدها ووضعتها على فخذه: "ظننت أن المتعة في التسلسل؟".

"نعم، لقد كان ممتعا لبرهة، لكن كل شيء يصبح قديما بعد فترة".

"حتى أنا؟". سحبت يدها، وحدقت إلى مايكل بغضب مفرط.

"حتى أنت، أجل، إن اضطررت لقضاء حفلة عيد ميلاد أخرى وأنا أشاهد آهونين يحاول مغازلتك. لست رجلا بما فيه الكفاية لمشاهدة ذلك من المقاعد الجانبية، أريد أن أملكك، أريد أن أقول إنك تنتمين إليّ، وأريد ألن ألقن آهونين درسا إذا حاول مغازلتك بأي طريقة". همس مايكل هذه الكلمات الأخيرة في أذنها.

قالت نينا: "تمتلكني؟ يا لك من رجل كهف لعين!" وابتعدت عنه، فأنفاسه

الدايفة قرب أذنها جعلت الدم يتدفق في عروقها وقلبها يخفق بشدة.

أخذ مايكل يدها ووضعها مرة أخرى على فخذه: "أريدك".

"وأنا لا أريد أن أخسر وظيفتي".

"لا تهمني هذه الوظيفة، ولدي الاستعداد لأعمل شرطيا دراجا، أما أنت

فبإمكانك الاحتفاظ بوظيفتك".

"لماذا تتطرق إلى هذا الموضوع الآن يا ميكى؟". سحب يدها عن فخذه

باتجاه ركبته وشد عليها بطريقة تعرف أنه يحبها.

"لا أعرف، ربما قضية الساحرة هذه جعلتني على أهبة الاستعداد،

فالعالم مكان لعين ومريض، أريدك قريبة مني، وأريد أن أعتني بك بشكل

أفضل".

"لست بحاجة إلى عناية أحد، لديّ حزام أسود في الجودو".

"هذا تماما ما أريد؛ أن أكون الشخص الوحيد الذي تضعينه في وضعية

تثبيت".

"سأثبت مؤخرتك أرضا إن لم تتبه لنفسك". ارتسمت ابتسامة على وجهها

رغما عنها. "بإمكاننا التحدث بالأمر لاحقا".

"متى؟".

"عندما تنتهي من هذه القضية".

قال مايكل: "حسنا، هذا وعد". وابتعد عن نينا عندما بدأ هاتفها بالرنين.

"حان وقت العرض، سنشاهد مقطع فيديو".

"أي عرض؟".

"موقف السيارات في قاعة سافونلينا".

تنفست جيسيكا من فمها كي لا تشم رائحة المعقم والضماد الجاف، تلك الرائحة تذكرها بالموت والأسابيع الطويلة التي أمضتها وحيدة في المستشفى منذ عقود.

المصعد مكتظ بأشخاص يرتدي بعضهم ملابس المستشفى، وأقربهم إلى الباب امرأة في أواسط العمر تجلس على كرسي متحرك مع عبوة أكسجين متصلة به، رأتها جيسيكا تدخن منذ قليل أمام المستشفى.

خرجت جيسيكا ويوسف من المصعد في الطابق السادس، وتبعا الخط الأحمر على الأرض، إلى أن شاهدا رجلا مفتول العضلات في بدلة رياضية زرقاء داكنة يضع سماعة أذن واحدة واقفا في نهاية البهو.

عرفته جيسيكا، فقد حضرا معا حفلة للحراس الشخصيين قبل عدة سنوات واستمر تعارفهما خارج أوقات الدوام الرسمي في شقة جيسيكا. مدت جيسيكا يدها: "مرحبا تيو".

قال تيو بصوت أجش: "حضرة المحققين" وصافحهما. تعرف جيسيكا أن تلك الخشونة بسبب إصابة في الحنجرة منذ أيام عمله حارس أمن عندما ضربه زبون غير راضٍ بزجاجة نبيذ على رقبته.

"هذا يوسف ببيل، ربما سبق لكما أن التقيتما".

قال يوسف: "ربما". ورمقه بنظرة جامدة.

تيو هو نموذج للحارس الشخصي المخيف، وحتى الابتسامة التي تظهر على وجهه ليست حقيقية بل تعلمها من إحدى حصص التدريبات.

"أشك في ذلك. كيف الحال جيسيكا؟".

"خافتُ كصوت الجهير في سماعة الأذن تلك. راب التسعينيات؟".

"كما تعرفين".

تبادلا ابتسامة خافتة -نظر يوسف إليهما باستغراب- ومرت لحظة الحنين التي خلقتها تلك الدعابة الخاصة بينهما بسرعة، وعادت الجدية إلى وجهيهما. سألت جيسيكا: "أين الطبيب المعالج؟". وقبل أن يومئ تيو باتجاه الممر الذي يسمع منه صدى خطوات أحد ما، اقترب رجل طويل ذو لحية، يحمل هاتفًا لوحيا تحت ذراعه ولباس الأطباء الفيروزي يلمع تحت معطفه الأبيض. قال وأوماً برأسه: "الدكتور أليكس كوزنيتسوف". نظرت إليه جيسيكا بحيرة لأنها تعلم أنها قابلته سابقا في مكان ما.

"المحققة جيسيكا نيمي".

"يوسف ببيل".

"قبل أن ندخل غرفة المريضة، أود مناقشة بعض الأمور بخصوص حالتها".

قالت جيسيكا: "بالطبع". فتنحى تيو جانبا بهدوء.

"أخبرتنا المريضة أن اسمها لورا هلمنين، وقد تطابق رقم الضمان الاجتماعي

التي أعطينا إياه مع هذا الاسم".

"هل تواصلت مع عائلتها؟".

"بعد".

"كيف حالها؟".

"جيدة، مع أخذ كل الأمور بالاعتبار، فالوقت لم يتح لدرجة حرارة جسمها بأن تنخفض بشكل قاتل". قال الدكتور كوزنيتسوف وهو يحك جانب أنفه. "هل تعرفين كم بقيت في الماء؟".

"لا، كنت أرجو أن تكون قادرا على تقدير الوقت". نظرت جيسيكا إلى

ساعتها، يبدو أن الوقت يمر بسرعة كبيرة فقد حل المساء تقريبا مرة أخرى.

"معدل الوقت الذي يبرد فيه الجسم يتأثر بدرجة حرارة الماء، وحالة المريض البدنية، والعمر، ونمط الجسم، واحتمال تعرضه سابقا إلى الماء البارد، وإن كان قد طور مقاومة ما عن طريق السباحة في الثلج على سبيل المثال. بما أن الماء كان

متجمدا تقريبا والمريضة في الخامسة والعشرين من عمرها وبصحة جيدة على ما يبدو، سأقول إنها بقيت في الماء أقل من خمس عشرة دقيقة من دون أي شك، ولو بقيت فترة أطول لكان من المحتمل أن تفقد وعيها، لكن حقيقة أنها كانت تصرخ وتتخبط عندما وصلت سطح الماء فهذا يعني أنها لم تمضِ فترة طويلة في الماء".

"ماذا عن الرئتين؟ هل من ماء داخلهما؟".

"ليس بالكثير، كان لديها أنبوبة تنفس حسبما ذكرت". رمق الدكتور كوزنيتسوف جيسيكا بنظرة فضولية.

"أود أن أعرف بالضبط ما حدث لها".

قال يوسف: "يبدو أنها استخدمت نوعا من معدات الغوص، أنبوبة تنفس وعبوة أوكسجين".

رمق الدكتور كوزنيتسوف يوسف بنظرة تقييمية مطولة: "فهمت".

"ماذا قالت لك أيضا؟ على سبيل المثال: كيف انتهى بها المطاف في الماء؟".

هزّ الدكتور كوزنيتسوف يديه ثم طوى ذراعيه عند صدره: "لم تكن قادرة على الكلام، ولكنني أعتقد أن التحدث إليها الآن سيكون أسهل مما كان عليه قبل قليل، يمكن للصدمة أن تؤثر على الذاكرة لكنني متأكد أن الأحداث بدأت تعود إلى ذاكرتها".

"هل هي مستعدة لنا؟".

"كما قلت، لقد عانت من صدمة، لكنها تعافى من الإجهاد الجسدي، ولذا أنصح بمشاركة طبيب المستشفى النفسي بأي استجواب..".

قالت جيسيكا: "نعرف كيف نكون لبقين".

"أنا لا أقول العكس".

"أين الطبيب النفسي؟".

"سيكون هنا خلال نصف ساعة".

"لسوء الحظ ليس لدينا وقت، ولدينا سبب يدفعنا للاعتقاد بأن هذه الحادثة مرتبطة بسلسلة من الجرائم، وهذه المرأة ربما رأت المجرم".

"هل تعنين.."

"علينا التحدث إليها على الفور إن أردنا منع حدوث جرائم أخرى".

"حسنًا". قال الدكتور كوزنيتسوف، وخطا باتجاه جيسيكا: "لكنني سأبدأ

المحادثة للتأكد من أن المريضة قادرة على التحدث".

زمت جيسيكا شفيتها، نظرت إلى طرف حذائها وأومات برأسها، ثم استدارت

وتبعت الطبيب إلى الباب الذي فتحه تيو للتو.

سمعت جيسيكا الباب يغلق خلفها، بسرعة مسحت الغرفة بعينيها، لكنها لم تر المعطف الذي لفته قبل ساعة على المرأة المرتجفة، حاملة المعاطف قرب المغسلة فارغة؛ لا بد أن المعطف في قسم الممرضات، إلا إذا تركه المسعفون في سيارة الإسعاف.

وقف يوسف إلى جانب جيسيكا عند المدخل، ويداه على خصره، مشى الدكتور كوزنيتسوف بهدوء باتجاه المريضة لورا هيلمنين التي تستريح في سريرها محاطة بآلات تقيس علاماتها الحيوية وأكياس الدواء الوريدي معلقة حولها، عيناها مغمضتان وفمها مفتوح كما لو أنها غفت على الأريكة وهي تشاهد التلفاز. سعل الدكتور كوزنيتسوف في قبضته، ففتحت لورا عينيها.

سألها بصوت لطيف وهو يمسد لحيته: "كيف الحال هنا؟".

تلمظت المريضة في الوقت الذي ألقى فيه الطبيب نظرة على المحققين، ثم تفقد القطرات والشاشة، نظرت جيسيكا إلى المرأة المستلقية على السرير ثم إلى الدكتور كوزنيتسوف، وتذكرت لم بدا شكله مألوفاً؛ التشابه ملفت للنظر بشكل واضح.

لوحه بيرى تانغاي لفينسنت فان غوغ، المعلقة في متحف رودين.

"هل تشعرين بتحسّن؟".

"اممم... أحس بشعور غريب.. كأن عضلاتي قد كبرت، أشعر أنها قاسية.."
قال شبيه البائع الباريسي الذي عاش أواخر القرن التاسع عشر: "هذا شعور طبيعي تماما في وضعك، فعضلاتك تجمدت لبعض الوقت، وقد تشعرين ببعض الألم والتشنج لعدة أيام".

وضع الدكتور كوزنيتسوف جهازه اللوحي في جيب معطفه: "هناك شخصان من الشرطة هنا، ويريدان سؤالك بضعة أسئلة إن كنت تستطيعين".

نظرت لورا إلى الدكتور بوهن.

قال الدكتور كوزنيتسوف وهو يربت على كتفها بخفة: "لن يستغرق الأمر طويلاً".

قالت لورا: "لقد بدأت أتذكر... بدأت شفيتها السفلى بالارتعاش وأغمضت عينيها. هزّ الدكتور كوزنيتسوف رأسه ورمق جيسيكا موبخا كما لو كان وجود لورا في المستشفى خطأها. ثم خطرت ببال جيسيكا تلك الفكرة الفظيعة مرة أخرى: هل يمكن أن يكون هذا صحيحاً؟ هل يحدث كل هذا بسببها؟

قال الدكتور كوزنيتسوف: "من الجيد أنك بدأت بالتذكر، هذه علامة مُبشرة".

ثم استدار باتجاه الباب، وتوقف أمام المحققين، رفعت جيسيكا ذقنها كي تنظر إلى عينية.

"خمس دقائق، المريضة بحاجة إلى الراحة. هذا ليس اقتراحاً بل هو أمر من الطبيب المناوب، وتجاهله قد يوقع الشرطة بمتاعب جمّة".

أخفضت جيسيكا عينيها من عيني الدكتور إلى ذقنه، ثم إلى ياقة قميصه، ثم إلى معطفه الأبيض وبطاقته الاسمية، واستغربت أنه شعر بضرورة تأكيد سيطرته من خلال الوقوف قريباً جداً منها.

قالت جيسيكا: "نأسف لإزعاجك". وتجاوزت الطبيب متجهة نحو السرير وبدأت تتحدث: "لكن من المهم جداً أن نعرف ماذا حصل لك".

تنهدت لورا بحزن، ومسحت دموعها بظاهر كفها، ونظرت إلى جيسيكا بتركيز كما تعدل عدسة الكاميرا البعد المناسب لجسم يُصوّر، ثم اختفت تعابير الصدمة والحزن عن وجهها ليحل محلها قناع من الرعب والفرع. وقبل أن تبدي جيسيكا أي رد فعل ملأ صراخٌ مدوّ الغرفة الصغيرة.

"ماذا..". صرخت جيسيكا باستغراب قبل أن يندفع الدكتور كوزنيتسوف باتجاه السرير مجتازاً جيسيكا.

أخذ صراخ لورا يعلو ويزداد وسقطت عن سريرها، ثم أخذت حامل أكياس الدواء الوريدي وهرعت إلى زاوية الغرفة رافعة يديها إلى وجهها لتحميه.

وصرخت: "إنها هي!".

نظرت جيسिका إلى يوسف الذي ذهل مثلها، وفتح تيو الباب خلفهما.

جثا الدكتور كوزنيتسوف قرب المرأة المتقوِّعة على الأرض وأصدر أصواتا

تبعث فيها الطمأنينة.

صرخت المرأة بأعلى صوتها مشيرة إلى جيسिका: "إنها هي، هي الشيطان،

أتذكر وجهها!"

أحست جيسिका مجدداً، بطعم الحديد على لسانها وشعرت بأن الغرفة أخذت

بالدوران.

نظر إرني ميكسون إلى نفسه في المرآة وقوم ربطة عنقه، ياقة قميصه الرسمي تضغط على عقده اللمفاوية الحساسة، لكن عليه أن يتحمل ذلك الإزعاج. القميص الرسمي الأزرق الباهت كان يناسبه أكثر فيما مضى، وهو واحد من ثلاثة قمصان طلبها إرني من خياط، وهي الملابس الوحيدة، بالإضافة لبضع بناطيل، يرسلها بانتظام إلى المصبغة؛ كان يفترض أن تتحمل هذه القمصان الجميلة والمكلفة البلى بصورة أفضل. تعتمد إرني إخفاء الكمّين المهترئين - اللذين يحملان تطريز حرفي اسمه الأولين إم. بخيط أزرق داكن - تحت كُمّي معطفه البني.

أصدر ميزان الحرارة صوتا على حرارة 37.8. اللعنة.

فتح إرني الباب بسرعة، وكاد يصطدم بمايكل: "ميكي؟".

"من الجيد أنني وجدتك".

"لم أدرك أنني كنت ضائعا!".

'أخبرني يوسف أن رجلا طويلا ونحيفا كان يسأل كوبونين أسئلة غريبة في

قاعة سافونلينا الليلية الماضية".

"ما هو مصدر هذه المعلومة؟".

"رجل اسمه بيف كوسكينين، كان مشرفا على الحدث. بدأت شرطة شرق

فنلندا البحث عن هذا الرجل الغامض، لكن أحدا لم يتعرف إليه". وختم حديثه

بابتسامة يشوبها الغموض.

"لكن؟".

"هناك كاميرا مراقبة ذات جودة تصوير عالية خارج المبنى".

"وهل ظهر هذا الرجل في اللقطات المصورة؟". ازدرد إرني لعابه، لكنه لا يزال

يشعر بالجفاف في حنجرته.

أوما مايكل برأسه: "ويمكننا حتى رؤية السيارة التي يستقلها، ورقم لوحها".
"يا إلهي!"

"من المبكر أن نحتفل فكل ما نعلمه أن الرجل سأل بعض الأسئلة و..".
"أخرس ميكي، السيارة مرخصة باسم من؟".

"تورستين كارلستيدت، يعيش في إيسبو". أصدر مايكل صوتا، ناجما عن ضرب لسانه على سقف حلقه، وأعطى إرني ورقة دافئة خرجت للتو من الطباخة؛ صورة عن جواز سفر كارلستيدت، ولكن الرجل في الصورة ليس نحिला أو أصلع أو حتى غريب المظهر.

"ليس الشخص المنشود".

"لا، لكن ربما كان كارلستيدت يقود السيارة لأن اللقطات تظهر الرجل الأصلع يركب في المقعد الخلفي".

"إذا كانت السيارة في انتظاره؟".

"لاثنتي عشرة دقيقة".

"اللعنة، هذا قد يكون تقدما كبيرا، هل اتصلت بجيسيكَا؟".

"لقد حاولت، إنها في طريقها إلى المستشفى مع يوسف".

"حسنا، أخبر راس بأن يجد كل ما يستطيع إيجادَه حول تورستين كارلستيدت، واحرص أن ينال أي مساعدة يحتاج إليها".

"هل نحضره للتحقيق معه؟".

"ليس الآن، علينا أن نجري مزيدا من البحث، فنحن لا نملك حقا ما يربطه بالجرائم، بل على العكس تماما؛ هو يملك حجة الغياب الأفضل على الإطلاق في قضية مقتل ماريا كوبونين. كلف أحدا بإيجاده، لا يمكن أن نسمح له بالهرب تحت أي ظرف".

دفعت ممرضة سمراء طويلة مريضا عجوزا مضمدا بالكامل تقريبا في الرواق، واهتزت الأطراف المعدنية لسرير المستشفى كلما ارتطمت عجلاته بتشققات الأرضية.

مشت جيسيكا بسرعة في الرواق، بينما عاد يوسف إلى غرفة هلمنين لتسوية الأوضاع مع الدكتور كوزنيتسوف والممرضة التي هرعت إلى الغرفة. سأل تيو شابكا ذراعيه على صدره: "هل كل شيء على ما يرام جيسيكا؟". "لا أعرف". أسندت ظهرها إلى الحائط، يجب أن تهدأ بالرغم من عشرات الأسئلة التي تدور في رأسها.

"من الواضح أن تلك المرأة عانت كثيرا، وكل ما حدث في الداخل...". "توقف.. رجاء توقف". رفعت راحة يدها في وجهه "لا أريد أن يواسيني أحدهم طوال الوقت".

"حسنا". قالها تيو بصوت مكبوت وهو يقوم سماعه أذنه؛ ربما لأنها تحركت من مكانها، لكن على الأغلب لأن نهاية حوارهما الحادة جعلته متوترا. عم الصمت الرواق لبرهة، ثم هزّت جيسيكا رأسها ونظرت إلى الأعلى: "متأسفة، الجميع أعصابهم متوترة".

"أفهم ذلك، بالمقارنة مع عملك يبدو عمل كلب الحراسة هذا مريحا". "كلانا يعرف أن هذا ليس صحيحا". تأوه تيو بتذمر: "حسب القضية على ما أعتقد، كل قضية تختلف عن الأخرى".

فُتِح باب المصعد وتنبه تيو، الممرضة تدفع السرير داخل المصعد. "لم أرك، منذ مدة يا جيسي".

تجنبت جيسيكا نظرات العيون المباشرة: "نعم، كيف الحال؟".

التفت تيو يمينا ويسارا، وكأنه يتأكد أن أحدا لن يستطيع الجري من المصعد إلى باب غرفة هلمنين - على الأقل خلال جملته التالية- "لا بأس، لا بأس" قالها من دون أن يعينها، ورفع إصبعه الذي وضع فيه خاتما: "زوجة وطفلتان توأم بعمر خمسة أشهر".

أخذت جيسيكا نفسا عميقا: "هذا.. هذا رائع".

تنهد تيو، وهز رأسه بطريقة بالكاد تلاحظ: "للصراحة، إنه مرهق جدا، ولا أقصد الطفلتين فحسب، مع أنهما تعرفان كيف... بل أقصد هذه الوظيفة أيضا. إنها غير كافية، واضطر أحيانا إلى العمل حارسا على أبواب النوادي والحفلات، الأسبوع الماضي جرفت الثلوج عن سطوح المنازل في إيبيرا. أنت غالبا تعرفين ما الذي أقصده؟".

عندما تبدأ جيسيكا بالتفكير برد متعاطف، ينتابها شعور غريب وكأن تيو يعرف شيئا ما، قد تكون هناك شائعة في الدائرة عن شرطية فاحشة الثراء لا تستطيع دفع راتبها فحسب، بل رواتب القسم كله لخمسين سنة قادمة، وتحاول ما استطاعت إخفاء سرها هذا.

لا تحتاج شائعة كهذه كي تنتشر سوى إلى محصل ضرائب ثرثار أو مدير أصول أو محام أو طبيب نفسي. "كلما كثرت الأفواه التي عليك إطعامها.."
"يبدو أنني سأضطر إلى لعب اليانصيب مجددا". ابتسم تيو بمرارة.
تجهّم وجه جيسيكا، وأدركت بقرارة نفسها أن حدسها كان صحيحا: "حدث ولا حرج".

"هل لديك؟".

"أطفال؟" تباغت جيسيكا ضحكةً على حين غرة، إذ إنها لم تسمع هذا السؤال منذ فترة طويلة، "لا، ليس لدي أطفال".

هز تيو رأسه وأرجح كتفيه إلى الخلف وقوّم وقفته، كانت جيسيكا تحب عاداته تلك سابقا.

نظرت مجددا إلى ساعتها، لوحت بيدها، واتجهت نحو المصعد. "اسمع،
أخبر زميلي أنني انتظره في المقصف بالأسفل."
"اعتني بنفسك جيسي."
"وأنت أيضا."
وبينما تهتم بنفسك، اهتم بعائلتك أيضا أيها الأحمق ذو الوجهين.

كل طاوولات المقصف محتلة من قبل المرضى وزائريهم.

أنهت جيسيكا كوب الشاي أثناء انتظارها يوسف الذي وصل مسرعا، وجلس على الكرسي المقابل لها.

"هل أنا الآن مشتبه بها أيضا؟". احتضنت جيسيكا الكوب بأصابعها وبالرغم من أنه فارغ، لكنه لا يزال دافئا.

"اختطفت لورا هلمنين من منزلها في لاجاسالو الليلة الماضية قبل ساعات قليلة من مقتل ماريا كويونين. تتذكر أنها كانت تشاهد التلفاز على أريكتها عندما رن جرس الباب، وكل ما حدث بعدها لم يكن بوضوح ما سبق، لكنها قالت إنها أُخِذت إلى مكان مظلم وعَفِنَ وكانت هناك امرأة أخرى".

"المرأة الأخرى هي أميرة الثلج؟".

"نعم، تعرفت إليها هلمنين من صورة، لكنها لم تكن تعرفها مسبقا".

"ماذا أيضا؟".

"الطبيب ذو اللحية قال إننا نستطيع استئناف استجوابها خلال دقيقة، لأن هلمنين لم تستطع وصف المجرمين..".

"لا شيء؟".

"كل ما قالته إنه كان هناك أكثر من مختطف واحد وكانوا رجالا بناء على أصواتهم".

"إذا لماذا خافت مني؟".

صمت يوسف وبدأ بتمسيد غطاء الطاولة. "كانت هناك لوحة معلقة على جدار الغرفة التي استيقظت فيها".

"أي لوحة؟".

"قالت هلمنين إنها لوحه لامرأة ذات شعر داكن..".

"وهذه اللوحة... كانت تحوي رسما لي؟".

ضحك يوسف باقتضاب وارتباك: "جيسيكَا، المرأة مشوشة ولا تزال في حالة صدمة، فكري بالأمر".

"اللعة يوسف! ماذا لو كنت أنا حقا؟ ماذا لو عُرِضت لوحه لي على الضحايا؟ ربما كان كل هذا العرض موجهًا لي وحدي، ربما أراد أحدهم الانتقام مني".

"ما تقولينه لا يقنعني". مدَّ يوسف يده فوق الطاولة، وأمسك برقبة بيد جيسيكَا. "سنحل هذه القضية قريبا، وستقبض على هؤلاء المعتوهين، وستعرفين أن لا علاقة لك بأي شيء".

"ربما يجب أن أطلب من إرني أن ينحني عن القضية".

"ماذا تقصدين؟".

"للمرة الأولى منذ وقت طويل أشعر أنني لا أستطيع تمالك نفسي". نظرت جيسيكَا إلى أضواء الفلورسنت في السقف، تستطيع أذناها التقاط صوت حركة الفلور فيها، وجتاتها تشتعلان، وعيناها ترمشان دون توقف.

"يجب أن تمالك نفسك يا جيسي، نحن نحتاج إليك". أخرج يوسف علبة سجائر من جيبه ثم وقف "سأدخن، وبعدها سأبين حقيقة الوضع مع لورا هلمنين".

"حسنا، ربما من الأفضل أن تقوم بهذا بمفردك".

"في هذه الأثناء تحققي من هاتفك، فالجميع يتصلون بي لأنهم لم يستطيعوا الوصول إليك".

"هل هناك أي جديد؟".

"وجد طيرا الحب دليلا من كاميرات المراقبة في سافونلينا، لا بد أن لها علاقة بالرجل الأصلع المخيف".

قالت جيسيكَا: "حسنا، لا تغادر من دوني".

أجابها: "لن أغادر".

قالت جيسيكا: "أوه محفظتي في معطفي أيضا، لقد قالوا إن بإمكانني أن أدفع عندما يصل أصدقائي إلى هنا".

تمتم يوسف، وأخرج محفظته، ووضع بطاقة ائتمانه على الطاولة وقال: "أنت تعرفين الرمز السري الخاص بها، لا تنفقي كل المال الموجود فيها". ثم توجه بسرعة ناحية المصاعد.

قال أحدهم: "نوك نوك".

نظر إرني إلى الخلف ليرى راسموس سوسيكوسي عند مدخل الباب، يرتدي سترة صوفية ذات ياقة ضيقة رمادية اللون، ويحمل حاسوبه المحمول ومجموعة من الأوراق المطبوعة.

قال إرني: "ادخل يا راس".

بدوره قال راس: "شيء مضحك، يبدو الجو في المكتب اليوم أبرد من البارحة، بالرغم من أن الجو أكثر دفئا في الخارج". جلس وقد ارتسمت ابتسامة غريبة على وجهه.

يستطيع إرني أن يرى فم راسموس يتحرك، لكنّ دماغه يرفض أن يبدأ بالحديث الصغير الذي سيصدر عنه فسأله: "كيف أستطيع مساعدتك يا راس؟".
سأله راس: "أين جيسيكَا؟ حاولت الاتصال بها عدة مرات...".

أجابه إرني: "هاتفها ليس معها الآن، بإمكانك الوصول إليها عن طريق الاتصال بيوسف".

قال راسموس: "حسنا". وبدأ بوضع أغراضه على مكتب إرني، الذي كان يتحسس أنفه. فبغض النظر عن حقيقة أن سترة راسموس السميكة فعالة في إخفاء رائحة العرق المستمرة منه. لم يستطع إرني أن يتمالك نفسه. ففي كل مرة يرى فيها راس يلتقط أنفه رائحة نتنة يتحسس تجاهها، وحتى إن كان الرجل قد خرج لتوه من الحمام.

قال راسموس: "أولا يجب عليّ القول إن الأمور تتحسن بشكل جيد ومريح، فأخيرا لدينا ما يكفي من الأشخاص ليساعدونا، ولو كانت لدينا هذه الأيدي الكثيرة التي تساعدنا من قبل...".

قاطعہ إرنی وسأله: "وماذا عن ثانيا؟".

أجابہ راس: "صحيح، إنني أعمل على مهمتين.. أولا".

قاطعہ إرنی مرة أخرى وقال: "لقد ذكرت أولا للتو".

دخل راسموس بالموضوع فوراً وقال: "استقل روجر كوبونين المفترض المترو إلى ميللوناكي من المحطة الرئيسية في تمام الساعة 8:08، وأطفأ الهاتف بعدها بعدة دقائق، ها هي لقطات كاميرات المراقبة من عربة المترو".

أدار راسموس حاسوبه المحمول باتجاه إرنی كي يستطيع رؤية الشاشة وأكمل: "الباب الأول في الأسفل" مشيراً إلى الباب الذي يفتح في هذه اللحظة.

رفع إرنی نظارة القراءة المتدلية من عنقه، ووضعها على أنفه، واتكأ إلى الأمام لكي يتفحص الشريط المسجل. بعد لحظة صعد روجر كوبونين سيارة، الصورة مشوشة، لكن الكاميرا قريبة جداً بما لا يترك مجالاً للشك حول هوية الرجل، ما لم يكن هذا الرجل هو التوأم السيامي لكوبونين، هذا التوأم الذي لا يعلمون أن له وجوداً حتى الآن.

قال إرنی: "حسنًا، لا بد إنني ملعون... وألا لتعرف أحد عليه".

تعجب راس وأجاب قائلاً: "الشيء المضحك بالنسبة للكتاب أنه إن لم تكن وجوههم على التلفاز طوال الوقت، على برامج مثل لدي أخبار لكم أو أيا يكن، فلن يتعرف أحد إليهم، حتى وإن باعوا عشرات الملايين من النسخ. فهل كنت لتتعرف إلى ج. ك. رولنغ إن رأيتها على اليوتيوب من دون مساحيق التجميل؟".

سأله إرنی: "من؟".

قال راسموس: "لا تهتم".

ثم ضغط على الشاشة لتتسارع اللقطات، في غضون لحظات، فتحت الأبواب وأغلقت عدة مرات، أسرع الناس في الدخول والخروج مثل النمل. لكن روجر كوبونين ظل في مكانه.

أكمل راسموس: "خرج كوبونين من القطار في تمام الساعة 8:16".

سأله إرنی: "في أي محطة؟".

يجيبه راس: "كولوزاري".

علق إرني: "اللعنة، هل كان ذاهبا إلى المنزل حقا؟".

قال راس: "إلى مكان ما في الجوار، في النهاية. لسوء الحظ يتحرك ويخرج من نطاق كاميرات المراقبة هناك في اللحظة التي يخرج فيها من منصة محطة المترو".

سأله إرني: "هل ركب في سيارة مركونة في المنطقة هناك؟".

أجابه راسموس: "لا، كنا لاحظنا ذلك".

قال إرني: "تبا".

راس: "لكن هنالك دورية حراسة واحدة على الأقل خارج مسكن عائلة كوبونين منذ الليلة الماضية، كانوا ليتصرفوا ويخبرونا لو ظهر روجر كوبونين هناك، إلى جانب ذلك، لماذا فعل ذلك... لماذا كشف أنه على قيد الحياة؟".

بدأ إرني بالكلام: "ربما" ثم دفن رأسه بين يديه وأكمل: "ربما لا يعلم بعد أنه ميت".

سأله راسموس متفاجئا: "ماذا؟".

أجابه إرني: "ربما لا يقرأ الرجل الأخبار، بحق الجحيم، لا أعلم، نحتاج أن نفكر بالأمر بتأن. شكرا لك يا راس. يتوجب علي أن أجري بعض الاتصالات".
دفع إرني كرسي مكتبه بعيدا، ونظر خارج النافذة، هنالك طائرة تُحلّق في السماء.

قال راسموس: "لا يزال هنالك الأمر الثاني.. في ما يتعلق بتورستين كارلستيدت" ثم أغلق حاسوبه المحمول، فاستدار إرني باتجاهه متفاجئا.
رطب راسموس إصبعه بلسانه، وقلّب به بين مجموعة الأوراق التي كان يحملها وقال: "قضية مثيرة حقا، فنلندي بعمر الأربعين، ليس لديه سجل إجرامي ويعيش في ويستلاند، لديه ثلاثة أطفال صغار، كما أنه رئيس تنفيذي وعضو في مجلس الإدارة ومالك الحصص الوحيد لشركة تكنولوجيا معلومات تدعى تورس 10 المتحدة، برأس مال 2.4 مليون يورو وتحقق كل عام أرباحا تعادل نصف قيمة رأسمالها".

سأل إرني: "والسيارة التي شوهدت في سافونلينا تعود إليه؟".

أجابه راسموس: "سيارة بورش كايين صنع عام 2018، من أحدث طراز".
قال إرني: "منذ ثوان قلت إنها قضية مثيرة للاهتمام. فحتى الآن يبدو الأمر لي
أنه شخص غني يهدر وقتك".

أجابه راس: "الأمر ليس كذلك. يبدو أن الرجل خبير في الأكلت، فقد نشر
عملين عن هذا الأمر، فمن بين الأشياء المختلفة التي يتحدث عنها الكتابان هنالك
المجتمعات السرية، والماورائيات والسحر وتحديد أعمال السحر، الناشر
الفنلندي لهذه الأعمال هو الناشر نفسه لثلاثية روجر".

قال إرني: "أبطئ قليلا، هل تعني بالأكلت أمرا مشابها للخارق للطبيعة؟".
أجابه راسموس: "لتبسيط الأمر إن هذا المصطلح مشتق من الكلمة اللاتينية
أكولتوس والتي تعني "مخفي". فالأكلتوس تكشف عن عالم موجود خارج الواقع
اليومي، إن هدف هذه الفكرة هو بناء جسر بين عالمين، بين عالما المتحضر وعالم
الأسرار، ومن أجل تحقيق هذا الربط فإن معتنقي هذه العقيدة يستخدمون طقوسا
وأهدافا مختلفة مثل التمام، وأقدام الأرانب التي يطلقون عليها أسماء أو حتى
تعويذات وسحر".

سأله إرني: "ما الهدف من هذه الخرافات؟".

أجابه راسموس: "لا يمكن الوصول إلى معرفة ذلك إلا من خلال قلة لديهم
الكثير من الإمكانيات المذهلة، وهي تساعد الذين يمارسونها على فهم معنى
الحياة، والتأثير في مجراها، وربما الخلود".

قال إرني: "حسنا، إن الهدف من هذا الغموض أو السحر والتنجيم إيجابي؟".
أجابه راسموس: "يكون الهدف من السحر الأبيض خيرا، أما الهدف من
السحر الأسود...".

قاطع إرني وأكمل عنه قائلا: "سيئ وشريـر. أفهم هذا، ما نتكلم عنه هنا هو
عقيدة ما، أليس كذلك؟".

أجابه راس: "هنالك تشابهات بين الأمرين، لكن هنالك اختلافا أساسيا بين
السحر وأي عقيدة سائدة، وهذا هو المكان الذي تكمن فيه روعة الأكلتوس".

سأله إرني: "والذي هو؟".

أجابه راسموس: "يستطيع أي شخص أن يؤمن بالله إن أراد ذلك، فالأديان تتنافس من أجل استقطاب الأعضاء؛ فهم يدفعون بمعتقداتهم إلى الناس على هيئة عمل تبشيري ووجهات نظر أخرى. بينما المعرفة السرية كما يظهر من خلال اسمها، أمر حصري، بتعايير أخرى إن المعلومات معدة من أجل قلة قليلة مختارة".

شد إرني على فمه فبدا كخط رفيع ونظر إلى راسموس وقال: "إذا وبصفته خبيراً في الأكلتوس الغموض، ذهب تورستين كارلستيدت إلى سافونلينا كي يستمع إلى روجر كوبونين وهو يتحدث عن رواياته التي تتكلم عن الأمور ذاتها؟".

علّق راسموس: "أشكّ في هذا، فقد تكلم روجر كوبونين ثلاث مرات في هلسنكي خلال الأسبوع الماضي. في الكازينو، وفي بورسيتالو وفي باسيتورني، فلماذا يقود لأربع ساعات لكي يستمع إلى الثرثرة ذاتها؟".

حاول إرني أن يجد جواباً: "ربما لم يستطع كارلستيدت حضور الأنشطة التي حدثت في هلسنكي وربما هو معجب حقيقي".

قال راسموس: "كان من المفترض أن يتكلم كوبونين في عدد من المكتبات في هلسنكي خلال الأسبوع القادم أيضاً".

قال إرني: "إن كان كارلستيدت يعرف أن كوبونين سيموت، فلا بد أنه علم أنه سيشهد ظهوره الأخير".

أجابه راسموس: "وربما علم أن كوبونين لن يموت حقاً".

قال إرني: "تبا، ما هذه الفوضى، ماذا لو أنه سافر ولم يعد؟ ربما لا يزال في سافونلينا".

علّق راسموس على الفكرة: "إن سيارته مركونة أمام منزله في ويستلاند".

قال إرني: "ربما هو متورط بالحريق الذي حدث بالقرب من جوفاء، إنه أمر ممكن من وجهة نظر منطقية على الأقل".

قال راسموس: "هذا صحيح". ثم سحب عدة أنفاس عميقة، يبدو من سلوكه أنه أكثر راحة مما كان عليه منذ قليل؛ يبدو أن تطور أحداث القضية أشعره ببعض

الراحة، ثم أكمل: "كما ذكرت لقد كتب كارلستيدت كتابين" ووضع ورقتين مطبوعتين تحوي كل منهما على صورة لغلاف كتاب:

المدخل إلى علم الماورائيات، تورستين كارلستيدت (2002)

العلوم المحكمة والسرية، تورستين كارلستيدت وكاي ليتنن (2007)

سأل إرني: "من هو كاي ليتنن؟"

أجاب راسموس: "لم أستطع أن أكتشف الكثير عنه بشكل مباشر، كل ما أستطيع قوله إن هذا هو المشروع الوحيد الذي شارك به كما أنه لم ينشر أي شيء آخر بعد ذلك، اتصلت بالناشر، وسألت عن معلومات عنه، فلم يقل لي أي شيء يستحق الذكر، لكنني تمكنت من الحصول على رقم الضمان الاجتماعي من الناشر."

سحب راسموس الورقة التي في أسفل مجموعة الأوراق، عليها صورة لرجل أصلع يوحى مظهره بتهديد غامض، تبدو عيناه وكأنهما تخفيان شيئاً غير متوقع وغير مريح.

قرأ إرني المكتوب على الورقة: "كاي كالي ليتنن، 48 عاماً، مقاول عام يعيش في فاننا، ليس لديه عائلة" ثم سأل: "إذا هذا هو الرجل الذي سألت أسئلة غريبة ثم صعد إلى سيارة كارلستيدت؟".

أجابه راسموس: "أرسلت الصورة إلى بيف كوسكينين الذي قال إنه متأكد بنسبة 90 في المئة أنه هو".

قال إرني لراسموس وهو يلتقط هاتفه المحمول: "لقد أحسنت العمل يا راس، أعطني عشر دقائق لأفكر في هذا".

فتح باب المصعد على ممر الطابق السادس عشر، شعرت جيسيكا أن أحدهم يحدّق إليها من جانبها: لا بد أن تيو لا يزال يقف أمام غرفة لورا هلمنين. سارت نحو غرفة الممرضات، فانفتحت زجاج الغرفة إلى الورا قبل أن تتمكن من النقر عليه، وظهرت ممرضة سألتها: "نعم؟".

أجابتها: "أنا جيسيكا نيمي من شرطة هلسنكي".

نظرت امرأة ذات وجه عريض إليها بريئة من خلف زجاج مزدوج سميك. أدخلت جيسيكا يدها إلى داخل سترتها، وسحبت شارتها المدلاة في عنقها ورفعتهَا باتجاه الغرفة، فتفحصتها الممرضة بتمعن، الأمر الذي توجب عليها أن تفعله بكل تأكيد.

قالت جيسيكا وهي تلف شريط الشارة القصير حول عنقها مرة أخرى: "لورا هلمنين الغرفة رقم 14 لقد أحضرت إلى هنا بالإسعاف منذ بضع ساعات".

أجابتها الممرضة: "أجل لقد أتت إلينا مباشرة من غرفة الطوارئ".

قالت جيسيكا: "أريد أن أعلم أين هي أغراضها، ثيابها والأشياء الأخرى...".

سألت الممرضة: "ثيابها؟".

أجابتها جيسيكا: "لقد أعرتها معطفي كي أبقئها دافئة...".

قالت الممرضة: "لحظة فقط" أغلقت باب الغرفة كما لو أنها لا تثق بجيسيكا التي قد تسرق كباسة الورق وقلم التعليم منها، نهضت ببطء عن كرسيها، ودخلت بتكاسل إلى الغرفة الخلفية.

نظرت جيسيكا حولها ورشت بعض القطرات من مطهر اليدين على يديها بلا سبب وفركتهما بسرعة. ليس لديها فوييا الجراثيم، لأنها أمضت أوقاتا طويلة في المستشفيات والمشارح بسبب عملها. لكنّها تخاف الآن أن تمرض، وتصاب

بالخمول، وتقف مكتوفة اليدين. أحست منذ البارحة أنها ضعيفة ولا حول ولا قوة لها، وأنها مستهدفة، لهذا لا ترغب بالتوقف بل تريد أن تستمر بالحركة، فمن الصعب إصابة الهدف المتحرك. لقد شابهها كل الضحايا من عدة نواح، فهن نساء شابات ذوات شعور سوداء ونحيلات، وهي تعرف أن لديها أعداء. فلقد عُرِفَت في تشرين الثاني الماضي وتلقت قدرا من الدعاية كونها المحقق الرئيسي في قضية قُبُضَ فيها على عضوين من أعضاء عصابة دراجات نارية بسبب الاشتباه بهما بارتكاب جريمة قتل، لكن كلما فكرت بالأمر أكثر أيقنت أن المسؤولين عن مطاردة الساحرات ليسوا أعضاء عصابات لديهم حقد على الضحايا وعليها، كما أنهم ليسوا أي مجموعة أخرى قد أثارت جيسিকা غضبها بإرسال أفرادها إلى السجن، لكن رؤية ذلك الجسد ذي القرنين على الثلج أعاد إليها ذكرى حادثة تحاول نسيانها من خمسة عشر عاما.

قالت المريضة: "تقول زميلاتي إنهن سلمن المعطف للتو".

غاصت الأفكار تدريجيا في وعي جيسিকা، واستغرقها الأمر لحظات قبل أن تتمكن من صياغة الأفكار على شكل كلمات فقالت: "ماذا؟ لمن سلمنه؟". أجابتها المريضة: "رجل...".

قاطعته جيسিকা: "لماذا بحق الجحيم تعطون هذا المعطف لشخص آخر؟". أحست جيسিকা أنها تفقد صوتها.

أجابت المريضة: "انتظري لحظة، سوف أسأل..".

طلبت جيسিকা وهي تتكئ على نافذة الموظفين: "أخبري زميلاتك أن يأتين إلى هنا الآن، ودعي الكوة مفتوحة".

نهضت المريضة مذعورة عن كرسيها بسرعة أكبر هذه المرة واختفت في الغرفة الخلفية مرة أخرى، التقط أنفها رائحة السائل المضاد للبكتيريا الذي يذكرها بزياراتها الدورية إلى الطبيب، والأشعة السينية، والرنين المغناطيسي، وحقن الكورتيزون، والحملات، والمشابك، والاختبارات العصبية، ومجبر العظام، والعلاج بالوخز بالإبر.

سألت جيسيكا بعصبية وبشكل أشبه بالصراخ العالي: "أين هو معطفي بحق الجحيم؟". ثم ضربت على نافذة الغرفة.
أجابها أحدهم: "هنا يا جيسي، لقد استلمته من أجلك".
استدارت جيسيكا لترى يوسف يحدق إليها بوجه خائف للحظة، فرأت المعطف تحت ذراعه والهاتف في يده في نهاية الممر، استدارت و نظرت إليهما.

أشارت القطرات على نوافذ السيارة إلى أن الجو دافئ، أغلقت جيسيكا الباب، وشغل يوسف محرك السيارة، لقد سارا معا إلى مرأب السيارات بصمت. تفقدت جيسيكا قائمة الاتصالات التي وردت إلى هاتفها ولم ترد عليها.

قال يوسف: "لقد قصدت المساعدة فقط".

أجابته: "أعلم، فهمت ذلك، لم أقصد أن...".

تحركت ماسحتا الزجاج الأمامي بخفة وتناغم على الزجاج الأمامي، لكنها تركت بعض القطرات دون مسحها، يبدو أن جلد الماسحة اليمنى قد أصيب بالبلى.

في النهاية سألته وهي تبعد خصلة من شعرها عن وجهها: "ماذا قالت هلمنين؟".

أجابها: "دعينا نستمع إليها مرة أخرى".

أخرج جهاز التسجيل من جيبه.

يوسف ببيل: "أستطيع أن أوكد لك أن المحققة نيمي ليست متورطة بأي شكل في الجريمة".

لورا هلمنين وهي تبكي: "لقد كانت تلك المرأة... لقد قالوا إنها المسؤولة عن كل شيء".

عم صمت ثم قال يوسف: "سنعود إلى ذلك قريبا، أريدك أن تعلمي أنك بأمان تام الآن، فهناك رجل قوي يحرس باب غرفتك، لن يستطيع أحد أن يؤذيك، هل تفهمين ذلك؟".

انتحبت لورا هلمنين.

يوسف: "هل تستطيعين إخباري بما حدث؟".

لورا هلمنين: "لا أتذكر...".

يوسف: "ما هو آخر شيء تتذكرينه؟".

لورا هلمنين: "لقد كنت في المنزل ثم رن جرس الباب".

يوسف: "هل كنت بمفردك؟".

لورا: "إنني أعيش بمفردتي".

يوسف: "من كان على الباب؟".

لورا: "لا أتذكر.. إن هذا كل ما أتذكره، ثم وجدت نفسي في ذلك المكان

الموحش الذي بدا أشبه بقبو نوعا ما أو..".

يوسف: "إذا لم يكن هنالك أي نوافذ؟".

لورا: "لقد كان المكان مظلما، وكان هناك رائحة عفونة وقذارة".

يوسف: "جيد، أنت تبين حسنا، ماذا رأيت هناك أيضا؟".

لورا: "ثيابي، لم تكن لي".

يوسف: "ثوب سهرة أسود؟".

لورا: "لا أملك مثل هذا.. لم يكن لي".

عمّ الصمت، ثم سأل يوسف: "ماذا تتذكرين أيضا".

لورا: "سمعت صوت نحيب في القبو، هنالك امرأة أخرى، لم أعلم من هي،

لكنها كانت ترتدي ثوب سهرة أسود أيضا وتتعل حذاء باهظ الثمن".

يوسف: "إذا لقد ألبستما كلتيكما بالطريقة نفسها".

لورا: "ثم أتى ذلك الرجل". (تنفجر في البكاء)

يوسف: "هل تستطيعين وصفه؟".

لورا: "له قرنان... بدا مثل حيوان أو شيء ما، ما عزر أو خروف..".

نظرت جيسيكًا إلى يوسف، فانبعث صوت بكاء ومواساة من التسجيل، ثم

سمع صوت خطوات أقدام.

قال الدكتور كوزنيتسوف شيئا ما.

لورا: "كان يتكلم اللاتينية.. أعلم أنها اللاتينية، فقد حضرت فصلا فيها".

يوسف: "هل فهمتِ ما كان يقوله؟".

لورا: "لا لقد كنت خائفة جدا، لكن حينها وبعد لحظة بدأ يرقص.. ويلوح بعصاه أو شيء ما في كل مكان. بدت مثل طقوس مريضة مجنونة. لقد كنا خائفتين جدا، ثم أتى رجل آخر يضع قناعا له قرنان أيضا".

يوسف: "أكملي أرجوك".

لورا: "انزلوا الثياب المعلقة على الحائط، رأيت الرسومات التي خلفها، رسومات لساحرة، الساحرة التي كانت في هذه الغرفة منذ فترة ليست ببعيدة" (لورا تبكي)

عم الصمت لوقت طويل ثم سألتها يوسف: "ماذا قالوا؟".

تابعت لورا بكاءها.

يوسف: "يجب أن تركزي الآن يا لورا، نحتاج أن نحصل على أكبر قدر ممكن من المعلومات وبذلك تتمكن من الإمساك بهم".

لورا: "جرونا إلى الغرفة المجاورة، حيث الحوض الخشبي الكبير مثل أحد أحواض السونا، لكنّه ضخم جدا، سمعت أحدهم يرش الماء بيديه، وقالوا إن الوقت قد حان كي ينفذوا التجربة، وإن لم يكن لدينا أي شيء نخفيه فلا يتوجب علينا أن نكون خائفتين، وحينها... توقفت لورا عن الكلام لفترة ثم قالت: "هذا كل ما أتذكره".

يوسف: "هل تتذكرين أين أخذوك تحت الماء؟ إنه أمر مهم يا لورا".

لورا: "ربما استيقظت تحت الماء... بدا الأمر كما لو أن أحدهم يسبح بي في مياه متجمدة".

تتحب ثم تكمل: "ربما أنا أتخيل ذلك فقط". ثم تبكي قليلا.

أليكس كوزنيتسوف: "حسنا، أعتقد أنه حان الوقت كي تأخذوا استراحة، يبدو أن كل الأسئلة المهمة قد سئلت إلى الآن".

يوسف: "حسنا، شكرا لك يا لورا، إن تذكرت شيئا آخر، أي شيء على الإطلاق، أخبرني الطيب، سوف يتصل بنا". يتوقف للحظة ويوجه كلامه للطبيب

على ما يبدو: "اتصل بي بدورك، هل اتفقنا؟ جيد".

أوقف يوسف التسجيل. مرة أخرى تمسح الماسحتان قطرات الماء. يسقط ثلج كثيف من سطح المستشفى، يصل صوت الجلبة الناتجة عن سقوطه إلى السيارة.

قالت جيسيكا: "لقد قمت بعمل جيد يا يوسف، ما من شيء آخر تستطيع الحصول عليه منها".

قال يوسف، وقد بدت عيناه دامعتين: "إن هذا العمل مؤلم يا جيسي، عندما كنت في الداخل أتحدث إليها، كنت أركز فقط على الحصول على كل المعلومات الأساسية والمهمة، أما الآن وأنا استمع إلى هذا التسجيل علمت وفهمت كم بدت تلك الفتاة مرعوبة، فقد بدت مرعوبة حقاً".

أغمض يوسف عينيه.

نظرت جيسيكا إليه، وقد جلس إلى جانبها يعصر أنفه بين أصابعه. تنسى جيسيكا أحيانا كم هو رجل حساس، فهو لا يتأثر برؤية الجثث والدم والأحشاء، لكن عندما يأتي الأمر إلى المآسي البشرية، ومعاناة الأحبة المقربين منه، والأذى والصدمة التي يتعرض لها هؤلاء الذين يتعرضون لهجوم وحشي، فإن هذه الأمور عادة ما تؤرقه وتزعجه.

في السنة الماضية، أخذ إجازة مرضية ثمانية أسابيع بعد أن عمل على قضية مقتل فتاة في الثامنة من عمرها، كان الأب هو القاتل، عانى يوسف، وأمضى وقتاً صعباً كي يستوعب هذا، وحتى هذا اليوم لا يرغب بالتحدث عن الأمر، لماذا يتوجب عليه أن يتكلم؟

بعد لحظة قالت جيسيكا: "إذا تمكنت لورا هلمنين من اجتياز الاختبار؟".

أجابها يوسف: "لكن ذلك غير منطقي.. أليس الهدف من هذا الاختبار معرفة الساحرة فهي تطفو بينما تغرق البريئات؟".

جيسيكا: "أجل، أعتقد أن هذا ما قاله ميكي".

يوسف: "أنا أشك في أن أي واحدة من المرأتين قد طففت".

جيسيكا: "من غير المحتمل".

يوسف: "إذا عفوا عن لورا لسبب آخر".

قالت جيسيكا بينما انطلق يوسف: "لكنّ أميرة الثلج لم تكن محظوظة مثلها".

درجة الحرارة 37.5 المعدل اليومي 37.5.

جلس إرني ميكسون إلى الطاولة الطويلة يحتسي القهوة الخفيفة التي أعدها راسموس، ويتفحص الصور ويطلق براجمه التي فقدت مرونتها بسبب التقدم في العمر.

قال مايكل وهو يجلس: "جيسيكا ويوسف في طريقهما إلى هنا". كان في الغرفة أيضا كل من نينا وراسموس الذي أخذ جرعة من الحماس، وازدادت طاقته بعد اكتشافاته، فهو يبدو أكثر حماسا وحركة مما كان عليه منذ سنوات؟ قال إرني من دون أن يرفع نظراته عن يديه: "ما الخطب؟".

بفضل سنوات من الخبرة أصبح إرني خبيرا عندما يحدث تغيير في مزاج أعضاء فريقه، كما أصبح خبيرا بالأمر البسيطة والإيماءات والكلمات التي يتفوهون بها، فها هو فريقه مليء بالطاقة سلبية لذلك قال: "حسنا، قل ما لديك يا ميكي".

قال مايكل: "أعتقد أن علينا أن نحضر الرجلين إلى هنا للتحقيق معهما في الحال" ثم فرقع العلكة التي في فمه بين أسنانه، وشبك ذراعيه حول صدره. قال إرني: "أرى ما تقصد". ولم يبد متفاجئا أبدا.

ميكي: "من الواضح أنهما تبعا روجر كوبونين وسانا بوركا من سافونلينا وأحرقا شخصين بالنار، بإمكاننا أن نحضرهما إلى هنا لسبب معقول...". أجابه إرني: "روجر كوبونين على قيد الحياة".

تساءل ميكي: "إذا؟".

أجابه إرني: إذا تتبع كل من كارلستيدت ولينتن السيارة التي كانت بوركا تقودها من سافونلينا وأوقفوها في جوفاء ثم قتلنا شخصين لا نستطيع أن نحدد هوية

أحدهما في ضوء المعلومات الجديدة التي اكتشفناها، فبإمكاننا الافتراض أن روجر كوبونين أكمل رحلته إلى هلسنكي مع الرجلين بعد ذلك".
قال مايكل: "بالطبع".

إرني: "هذا الأمر يجعل من كوبونين مشتبهاً به، وإن أردنا أن نجد كوبونين، يجب أن نبقى أعيننا على كارلستيدت وليتن لفترة من الزمن".
أضاف راسموس رافعا إصبعه للحظة في الهواء: "وآذاننا أيضا".

قال إرني: "لقد تم الاهتمام بهذا الأمر، فقد حصلت على إذن من القاضي من أجل ذلك، لذلك تولّى هذه المهمة يا راس، أريدك أن تستمع إلى كل مكالمة يجريانها، ثم أخبرنا بكل شيء حتى لو كان بعيد الصلة بالقضية أو أي شيء قد يثير ريبتك، بالطبع من الضروري أن تستخدم بيانات الشركة الخاصة بهاتفيهما لتتقن إن كان هاتفا هذين الرجلين قد تحركا من سافونلينا إلى هلسنكي، وإن توقفا لبعض الوقت في موقع جريمة الحرق".

قال راسموس وهو يتسّم راضيا: "حسنا، فهمت".
يعلم إرني من تجاربه مع راسموس أنه يحب التحدي، فعقله معهم اليوم وهو يركز على القضية.

قال إرني: "في هذه الأثناء ميكي، من الضروري ألا يغيب أي من هذين الرجلين عن مجال رؤيتنا، فلا يمكن أن تحدث أي فجوات في هذه المراقبة ولا أي أخطاء غبية".

رفعت نينا يدها، فأوما إرني لها كي تتكلم. فقالت: "إنني لا أختلف معك بهذا يا إرني، أعتقد أنها مقارنة ذكية..." ثم بدأت برسم مربع غير مرئي بإصبعها على جهاز الحاسب المحمول.

قال إرني متسائلا: "لكن؟".
أجابت نينا: "أعتقد أنه علينا أن نأخذ بعين الاعتبار ما حاولت جيسيكا لفت انتباهنا إليه عدة مرات اليوم، أنا أتكلم عن حقيقة أننا وللأسف نخطو خطوة خلف هؤلاء الرجال، وأننا كنا كذلك منذ البداية".

قال إرني وهو ينظر بحزن إلى نينا: "أكملي".

أكملت نينا: "يبدو أن كل الأشياء التي وجدناها واكتشفناها... مجرد أشياء أرادونا أن نجدها".

قال إرني: "أفهم وجهة نظركم، لكن من ناحية أخرى يا زملائي الأعزاء" تكلم هنا بنبرة أشد: "يكمن الخطر هنا في أننا نبالغ في تقدير ذكاء هذه الجمعية السرية وقدرتها على تضليلنا. لنعد خطوة إلى الوراء: لماذا يبدو الأمر وكأننا نُعطى فئات من المعلومات؟".

"بسبب الأخطاء..." عندما قالت هاتين الكلمتين توقفت للحظة ولوّحت بأصابعها لتبته إلى ما ستقوله لاحقاً وهي عادة أغضبت إرني بشكل دائم. ثم أكملت: "هؤلاء المشتبه بهم أغبياء جداً، فلماذا يظهر لنا أن روجر كوبونين ميت إن كان سيرفع فيديو مصور لزوجته المقتولة في الصباح التالي في مكان يوجد فيه مئة وعشرون كاميرا أمنية؟ ليس من المفترض أن تكون شخصاً متعلماً أو خبيراً جداً لتعلم أنه من السهل تعقب الهواتف والأجهزة الذكية الأخرى، إن هؤلاء الحمقى أرادوا أن نراهم".

تدخّل مايكل بشكل قوي: "لهذا نحتاج أن نمسك بهم بالطريقة الصحيحة".
أكملت نينا: "أنا متيقنة أنهم يعلمون بأمر الكاميرا الموجودة في قاعة سافونلينا. رغم ذلك فإن ليتنن سأل سؤالاً من بين الحضور، سؤالاً لم يمضِ دون أن يُلاحظ من قبل كل الحاضرين، ثم خرج أمام الكاميرا، وركب سيارة البورش كايين الجديدة التي لم يتكلفوا أي عناء في تغطية لوحة رخصتها. أخطاء حمقاء بالتأكيد، فمن دون هذا السؤال الاستفزازي لم نكن لنحظى بأسماء هؤلاء السحرة".

قال إرني وهو يقف: "حسناً، إنكما يا صديقي تشعران أننا حمقى وأنهم يقودونا بسلسلة مربوطة حول أعناقنا".

قال مايكل: "بل مربوطة في أماكن أسوأ".

فأوماً الآخرون.

قال مايكل: "الأمر برمته عبارة عن عرض لعين، هذا تماما ما نحاول أن نقوله يا إرني. علينا التوقف عن الرقص على لحن هذه الجرائم المأساوية ونبدأ بخطواتنا". بصق العلكة في منديل ورقي.

تفحص إرني فريق المحققين الجالسين حول الطاولة، لم يكن لديه مشكلة بالأفكار المعارضة، فهو دائما ما حثّ فريقه على التفكير بشكل نقدي، ومن الممكن أن هذا هو السبب الرئيسي الذي جعل من نسبة نجاح الوحدة فوق المعدل دائما.

زرّ الزر الأخير من معطفه الرياضي، وسحب كميته فوق طرفي قميصه المهترئين وقال: "أشكركما على أفكاركما، لا أزال أحتاج أن أسمع وجهة نظر جيسিকা في هذا الأمر، إلى ذلك الحين فإن عملكما يقتضي أن تتأكدا من ألا يفوتكما أصغر حركة أو مكالمة هاتفية يقوم بها هذان الرجلان".
ثم غادر غرفة الاجتماع.

حل المساء في هلسنكي مرة أخرى. أمضت الشمس ساعات قليلة جدا وهي تتوهج من خلال وشاح الغيوم الرمادية في هذه الفترة من العام، فبدا كما لو أن أحدهم أدار مفتاح الإضاءة في اتجاه عقارب الساعة في البداية، ثم بعكس اتجاه عقارب الساعة فزاد وهجها قبل أن يخفضه.

خرج يوسف وجيسيكا من السيارة التي ركنها في مقر مركز الشرطة في باسيلا وعندها رن هاتف جيسيكا.

ردّت جيسيكا: "الرقيب نيمي، نعم أنا، حسنا، جيد، هل تستطيع أن ترسل التقرير إليّ...؟ عظيم، شكرا لك".

شاهد يوسف زميلته وهي تجري هذه المكالمة المقتضبة باهتمام، ثم تنزل هاتفها عن أذنها وتقول: "إنها سار فيلينا، لقد عرفنا هوية أميرة الثلج".

اتكأ يوسف بمرفقيه على السيارة وقال: "حسنا".

قالت جيسيكا: "اسمها هو ليا بلومكفيست، 29 عاما".

سألها يوسف: "من حدد هوية الجثة؟".

أجابته: "يبدو أنه أخوها، فقد أبلغ عن فقدانها هذا الصباح".

يوسف: "هل لا يزال أخوها في المشرحة؟".

جيسيكا: "أجل نحتاج أن نتحدث إليه في الحال".

قال يوسف وهو يضرب باب السيارة: "يريد إرني أن يتحدث إلينا في الحال".

أومأت جيسيكا وقالت: "أعتقد أنه من الأفضل أن نتحدث إليه إذا".

الباب مفتوح، دخل يوسف وجيسيكا إلى مكتب إرني الضيق من دون الطرق

على الباب.

قال إرني وعيناه متمسرتان على شاشة حاسوبه بينما يضغط بإبهامه على الفأرة: "لا بدّ أنه كان يوما شاقا بالنسبة إليكما، أليس كذلك".

قالت جيسيكا بهدوء: "بإمكانك قول ذلك مرة أخرى". ثم فكت سترتها وأكملت: "هل اتصلت سار فيلينا بك أيضا؟".

إرني: "اتصلت، حاولت أن تصل إليك قبل ذلك لكنك لم تجيبي".
جيسيكا: "لقد فقدت هاتفني لبعض الوقت".

إرني: "هكذا إذا، بخلاف عادتك".

جيسيكا: "لقد سمعت أنه حددت هوية أميرة الثلج".

عبس إرني وقال: "عفوا؟ لا أحبذ هذا اللقب".

قالت جيسيكا في الوقت الذي جلس فيه يوسف عند الزاوية: "نحن أيضا، كما أننا لا نحتاج أن نستخدمه بعد الآن".

قال إرني وهو يفلت فأرة حاسوبه: "نحن نعلم الآن هوية كل الضحايا ماعدا الرجل الذي في جوفاً".

أجابته جيسيكا وهي تمسد ربلتيها ببطء: "أجل". هذه النقطة من جسدها تخزها بشكل مثير للشؤم، فقد مضت أشهر منذ جلستها الأخيرة، لكنها لاتزال تتذكر الألم المبرح الذي أبعدها عن عملها لأيام.

سألها إرني: "ما هي خطتك؟".

أجابته: "خطتي أن أتحدث مع أعضاء عائلتي كل من هلمنين وبلومكفيست، ومن المحتمل أن أتحدث مع صديقة ماريا كوبونين المقربة أيضا".

سألها إرني: "لماذا؟".

أجابته: "أنا متأكدة أن هنالك رابطا بين هؤلاء الضحايا الثلاث، شيء آخر غير قصة أن بعض المختلين عقليا أصحاب التفكير الأحمق يعتقدون أنهم ساحرات".

عندها ابتسم إرني. جيسيكا تعرف ابتسامات إرني الثلاث، فالابتسامة التي رأتها الآن هي الابتسامة التي تعبر عن الرضى.

قال إرني: "ممتاز". ثم بدأ بالسعال بطريقة مجنونة، فنظرت جيسيكا إليه بقلق. منذ متى أصبح إرني كبيراً جداً في السن وضعيفاً؟
انتظرت جيسيكا أن تنتهي موجة سعاله قبل أن تكمل كلامها: "هلمنين وبلومكفيست جُرتا وأخذتا إلى قبو، حيث ألبستا ألبسة متطابقة، ثم أجري اختبار الساحرة عليهما، ذلك الاختبار الذي أخبرنا ميكى عنه، فقد أُغرقت المرأتان في حوض خشبي ضخّم أو خزان".

سأل إرني: "كل ذلك مبني على ما أخبرتك به هلمنين؟".
أجابت جيسيكا: "أجل، وقد ادعت أيضاً أن الخاطفين كانا يرتديان نوعاً ما من الأقنعة الحيوانية، مثل ذلك الشكل المخيف الذي رأيته على الثلج". بعدما قالت هذا، نظرت جيسيكا إلى إرني بتمعن ودرست رد فعله، فإن لم يصدق ما قالته من قبل سيتوجب عليه أن يصدق الآن أن الرجل ذا القرنين لم يكن من بنات أفكار جيسيكا.

سأل إرني: "إذا أنت تعتقدين أن ما قالته هلمنين معقول؟".
ارتعدت جيسيكا، فهي مخطئة إن لم يصدق إرني أياً من الأقوال فسألت: "ماذا تقصد؟ لا أفهم لماذا قد لا يكون معقولا؟".
أجاب إرني: "من الممكن أن تخلق المخيلة أشياء كهذه، بل وأكثر بعد الصدمة التي مرت بها".

شدت جيسيكا قبضتها في الجيب الخلفي من بنطالها وقالت منفعلة: "كما قلت للتو، إن ما قالته يتناسب بشكل تام مع الصورة العامة للقضية". ثم نظرت إلى يوسف الذي استغرقه الأمر بعض الوقت ليدرك أنه جزء من هذه المحادثة.
فقال: "اللعنة، صحيح". بالرغم من عدم الثقة الواضح من نبرة صوته. يعمل يوسف في هذه الوحدة منذ بضع سنوات فقط، ولا يزال يخاف من أن يقول شيئاً قد يعارض كلام مديره.

عندها ضحك إرني وردد بأسلوب ساخر لطيف: "اللعنة، صحيح" ثم حوّل انتباهه إلى أوراقه. لاحظت جيسيكا مجموعة سميكة من المطبوعات على حافة

المكتب: (كتب كوبونين وعمل كارلستيدت الذي يدعى "المدخل إلى علم الماورائيات") هذه الكتب التي حصل عليها إرني من مكان ما.

في النهاية عاود إرني الحديث قائلاً: "أنا أتفق مع رأيك أيضاً، وأعتقد أن هنالك شيئاً مشتركاً بين هاتين المرأتين يتجاوز موضوع الشكل والشعر الأسود، وهو أمر يجب علينا أن نتبعه جيداً".

قالت جيسिका: "لم يتسن لي الوقت كي أتحدث إلى ميكي عمّا حصل على الثلج اليوم...". في تلك اللحظة شعرت بالجوع، فهي لم تتناول الطعام اليوم. قال إرني: "هل تريدان أن تعلمي ما علاقة الأمر بثلاثية كوبونين؟". أجابت جيسिका: "بالأكيد".

بدأ إرني: "هنالك قصة مشابهة تماماً في الرواية، إحدى النساء المشتبه بأنها ساحرة تجتاز الاختبار، بمعنى أنها تغرق بدل أن تطفو، فيسحبها الرجال الذين كانوا يحققون معها من الماء ويطلقون سراحها، يبدو أن لورا هلمنين هي من يؤدي دور تلك المرأة المسكينة في هذه القصة المروعة".

"أليس من الغريب أن بعض الجرائم المذكورة في الثلاثية نُسخت بحذافيرها، بينما صلة الجرائم الأخرى بالنص سطحية جداً كما في حالة لورا هلمنين؟". "أنت محقة، ولكن عليك أن تتذكري أننا من افترض أنهم يقلدون أحداث كتاب كوبونين، وحتى إن كان هذا صحيحاً، فالمجرمون ليسوا مضطرين لتقليد حبكة الكتب بحذافيرها".

قالت جيسिका: "فهمت". وسحبت دفتر ملاحظاتها من جيب معطفها، ودوّنت شيئاً ما، ثم جلس الجميع بصمت لبرهة، لا صوت في الغرفة سوى صوت تنفس إرني الثقيل.

قال إرني: "أريدك أن تحسمي أمرك بخصوص شيء واحد، كونك كبيرة المحققين يا جيسي".

نهض بتكاسل من كرسيه. "كارلستيدت وليتنن، ليس لدينا أي معلومات عن تحركات السيارة الليلية الماضية، نظرياً من الممكن أن يكونا متورطين بطريقة ما

بقضية الجثتين المحترقتين في جوفاء، وإن كانا فعلا متورطين فلا يمكننا أن نستبعد احتمال أنهما ينسقان مع روجر كوبونين".

قالت جيسिका وهي تضغط على قلمها: "لكن ليس هناك دليل ملموس؟ سوى السؤال الذي سأله ليتن؟".

"بالضبط، كلاهما تحت المراقبة المستمرة، ولدينا من يراقب السيارات في ويستلاند وفانتا، وحصلنا على إذن للإصغاء إلى هاتفيهما لكنهما لم يستخدماهما، بالرغم من ذلك ميكى وينا يعتقدان بوجود إحضارهما للاستجواب فوراً".

"هل تريد أن تعرف بماذا أفكر؟".

"أكيد".

"أليس هدفنا الرئيسي هو إيجاد روجر كوبونين؟ في هذه الحالة يجب أن ننتظره ليتصل بأحد الرجلين، أو العكس".

قال إرني: "أوافقك الرأي". وبدأ مرتاحا بعض الشيء.

"لكننا لا نستطيع التركيز على كوبونين فحسب، فمن الجلي أنه كان في سافونلينا عندما ماتت ماريا كوبونين وأميرة الجليد...".

"لديها اسم الآن يا جيسिका". خطأ إرني خلف مكتبه ونظر من النافذة.

"... ليا بلومكفيست قُتلت في كولوزاري".

ضغط إرني بأطراف أصابعه على زجاج النافذة. "وحتى إن وجدنا كوبونين، سيبقى القاتل طليقا".

"بالضبط". تنفست جيسिका بعمق. "لذا من الغباء أن نقبض على كارلستيدت وليتن الآن".

"رأت جيسिका رجلا ذا قرنين على الجليد" بدأ يوسف كلامه غارقا في التفكير. "وفي الوقت نفسه، كان هنالك شخص ما يحمل لورا هلمنين تحت فتحة الجليد".

"و؟".

"هل كان كارلستيدت وليتن تحت المراقبة حينها؟".

"لا، لكن بعدها بوقت قصير حددنا مكان كارلستيدت في منزله في ويستلاند، وليتنن في مكان عمله في إيسبو. أفترض أنه ممكن نظريا، لكن من المستبعد جدا أنهما ذهبا إلى كولوزاري في ذلك الوقت. وفي المقابل روجر كوبونين نزل من المترو في كولوزاري الساعة 8:16 صباحا".

أخفضت جيسيكا رأسها وشعرت بالقشعريرة تسري في جسدها.

اتكأت جيسيكا على مكتب إرني، وانحشر كلُّ من نينا وميكي ورasmus في هذه الغرفة الصغيرة أيضا. لسبب ما لا تشعر جيسيكا بضرورة التوقف عن التنفس بالرغم من أن رasmus يقف أمامها، من الواضح أن أحدهم أوصل له رسالة مجهولة تشجّعه على الاهتمام بنظافته الشخصية.

قال مايكل: "حسم الأمر إذا". وصفق.

قبل لحظات، أطاح إرني برأيه بوجوب إحضار كارلستيدت وليتنن على الفور، لكن مايكل لا يبدو ممتعضا على الإطلاق، هذا هو مايكل؛ لديه رأي حول كل شيء تقريبا، ولكن ليس لديه أي مشكلة بالإذعان إلى قرارات رئيسه، لأنه يدرك تماما أن من يتخذ القرارات يتحمل أيضا مسؤولية عواقبها.

"ثم هنالك بعض الأشياء الأخرى". أكمل إرني كلامه جالسا وكل من في الغرفة واقفون.

"أولا وقبل كل شيء، اقترح يوسف وجيسيكا أن نبحث بواسطة مروحية لنرى إن كتبت عبارة مالىوس مالفركاروم في أي مكان آخر".

قالت جيسيكا: "في الواقع كانت فكرة يوسف". لم تكن واثقة إن أدلت بهذا التوضيح بدافع اللباقة أم لتحفظ ماء وجهها في حال كانت فكرة سيئة. سألت نينا: "ماذا يعني ذلك؟". وهي تدلك كتفيها بأناملها.

أوضح إرني: "بناء على اقتراح يوسف، ربما جرى التدرب على كتابة العبارة التي وجدناها على سطح منزل كوبونين في مكان ما، أو ربما كتبت في أمكنة أخرى كتلميح لنا".

هزّ ميكي رأسه: "كتلميح لنا، إذا سنستمر بمجاراة هؤلاء الحمقى في لعبتهم".

قال إرني بحدة: "ربما حدد هؤلاء الحمقى موقع ضحية جديدة بهذه الطريقة، على سبيل المثال، في هذه الحالة من مصلحتنا إيجادها". ولمح الجميع بعضا من إرني القديم الصارم الذي لا يترك أسلوبه الحاسم مجالا للشك أو النقاش.

شابك إرني أصابع يديه على مكتبه: "ثانيا، في الوقت الراهن لن نخبر وسائل الإعلام أن روجر كوبونين حي، فهناك احتمال ضئيل أن مطاردي الساحرات لا يعرفون ما نعرف، فلنجرب ذلك على الأقل حتى هذه الليلة. ثالثا، يجب أن نتحدث إلى أفراد أسر الضحايا وأصدقائهم فورا، جيسيكا ويوسف سيقومان بذلك، وإن لزم الأمر استدعيا أفرادا من مكتب التحقيقات الوطني للمساعدة، ولا تترددا في طلب المساعدة أو طلب عناصر إضافية للمراقبة".

أشار إرني إلى الاتجاه الذي افترض أن عناصر مكتب التحقيقات الوطني يوجدون فيه.

"رابعا، راسموس، أريد تقريرا عن كل ما يمكن أن نفترض حدوثه إذا قرر مطاردو الساحرات هؤلاء تنفيذ كل جريمة مذكورة في ثلاثة كوبونين، وليس فقط جرائم القتل، التي لا نزال نتوقع ثلاثة منها على حد علمي".

أوما راسموس برأسه وعدّ على أصابعه وهو يقول: "سحق امرأة تحت الصخور ورجم رجل حتى الموت وقتل آخر بخنجر".

"... لكن أيضا عن كل الأحداث الأخرى التي تصنف جرائم؛ اختطاف أو اغتصاب أو حتى الدوس في براز كلب، كل شيء، كل شيء في الثلاثية سيحدث بطريقة أو بأخرى".

ساد الغرفة صمت مؤقت.

"نينا ومايكل، حاولا إيجاد كل المباني التي تحوي قبوا في لاجاسالو ومحيطها، فحسب ما أخبرتنا لورا هلمنين، نحن لا نبحث عن مجرد مخزن للدراجات في مبنى سكني، بل عن مكان لا يمكن لأحد أن يتعثر به صدفة، مكان يمكنك أن تحدث ضجة كما تشاء دون أن تقلق من استدعاء الجيران للشرطة؛ ملجأ من القنابل أو مساحة تخزين خاصة أو قبو منزل، وتحققا أيضا مع شركات

استيراد أحواض السونا لمعرفة من اشترى أو استلم أحواضاً خشبية.

تحققاً من المتاجر التي تباع تلك الأقنعة، حتى أصغر الخيوط مهمة الآن، وكما قلت لجيسيكا، استعينا بعناصر مكتب التحقيقات الوطني فهم ينتظرون تعليماتكم.

أوماً جميع من في الغرفة موافقين. تقسيم المهام واضح وفعال، يعطي إرني أوامره مرة واحدة في اليوم ثم يترك أعضاء فريقه يقومون بعملهم من دون تدخل منه.

رفع مايكل إصبعه كما لو أنه يطلب الإذن لقول كلمة أخيرة، فأوماً إرني له بالتحدث: "قالت لورا هلمنين إن الحوض كان كبيراً جداً، ماذا يعني هذا برأيك؟".

استوضحت جيسيكا وهي تنظر إلى السقف: "هل تسأل كم حجم الحوض الخشبي؟".

"نعم".

"إن كان الشخص قادراً على أن يطفو فيه دون أن تلمس أطرافه القاع.. بكلمات أخرى إذا كان من الممكن الغرق فيه..".

تدخل راسموس قائلاً: "ربما ألفان أو ثلاثة آلاف لتر؟ تملك أمي حوض سونا بسعة ألف وخمسمائة لتر على سطح منزلها في هانكو، وتقريباً يستحيل الغرق فيه".

"حقاً؟ هل حاولت السباحة فيه من دون عوامات عندما لم تكن أمك تراقبك؟".

إهانة مايكل تلك أربكت راسموس بشكل واضح فبدأ يفرك إطار نظارته بعصبية. رمق إرني مايكل بنظرة تحذيرية: "كفّ عن ذلك".

"ماذا تقصد يا ميكي؟".

"إذا افترضنا أن سلسلة الجرائم لم تبدأ إلا الليلة الماضية، أليس من المحتمل أن الحوض ملئ مؤخراً؟ تقرير الطبيب الشرعي يفيد أن الماء كان ماء صنبور".

ارتسمت ابتسامة على وجه نينا: "تعجبني طريقة تفكيرك، ما مقدار الماء الذي يستهلكه الفنلندي العادي؟".

"حوالي مئة وخمسين ليترًا في اليوم".

"إذا في منزل عائلة مكونة من فردين، تعبئة ذلك الحوض يعني زيادة باستهلاك الماء بمعدل عشرة أضعاف".

"هل يمكننا إيجاد ذلك؟".

"سأتصل بشركة المياه".

"دعهم يركزوا بحثهم في البداية على كولوزاري ولاجاسالو، ثم يوسعوه إلى باقي مدينة هلسنكي إن احتاج الأمر". صفق مايكل كفيه برضا.

قال إرني: "جيد! أريدك أن تُعلِّمَ جيسيكا بكل التطورات". وتلمس جيب الصدر في معطفه الرياضي، أوحى النظرة على وجهه أن سجائره لا تزال هناك. "و.. تذكرت" قالها بنبرة صوت حادة من الواضح أنها خرجت دون قصد، "تقرير سييسي سارفيلينا عن كل من ماريا كوبونين وأميرة الجليد..".

قالت جيسيكا بهدوء وهي تغمز إرني: "لديها اسم".

".. ليا بلومكفيسست رحم الله روحها". أكمل إرني رامقا جيسيكا بما تفترض أن تكون نظرة غاضبة، ثم وضع نظارته وأمسك بورقة كانت على الطاولة. "أيا يكن الأمر، تم إيجاد بعض المواد القاتلة - إن استخدمت بطريقة خاطئة أو بكميات كبيرة - في دماء كلتا الضحيتين: الثيوبنتال وبروميديال بانكورونيوم وكلوريد البوتاسيوم، ويبدو أنهما أُفقدتا الواعي باستخدام الكلوروفورم".

ملأ الغرفة صوت همهمة منخفضة.

قال مايكل بحماسة: "شراب المحكومين بالإعدام، قرأت للتو كتابا يدعى ملائكة حمورابي حيث استخدم القاتل نفس المزيج، يبدو أن هؤلاء القتلة لا يقرأون كتب روجر كوبونين فقط".

"إذا يمكننا القول إن طريقة القتل كانت إنسانية بطريقة ما؟". قالت نينا وهي تخرج دفتر ملاحظاتها مجددا: "ربما ليست إنسانية، لكنها غير مؤلمة".

قال إرني: "لورا هلمنين خُدرت أيضا باستخدام الكلوروفورم. يبدو أن النساء ألقين في الحوض بعدما فقدن وعيهن، وهذا يعني أن غرقهن لم يكن مؤلما أيضا".

فجأة عم الصمت الغرفة بما يكفي لسماع سقوط دبوس على الأرض.

قال راسموس وهو يضع يديه في جيبه: "إنها فكرة مريحة".

"بارقة إشراق صغيرة من غيمة ظلام هائل، نينا ومايكل، عليكما إيجاد جميع الأماكن في هلسنكي حيث يمكن الحصول على تلك السموم".
"حاضر".

قال إرني: "هذا كل شيء، شكرا لكم". وعادت الهمهمة الخفيفة لتملأ الغرفة. فتحت جيسيكا دفترها، ونظرت إلى اسم بييف كوسكينين ورقمه اللذين سجلتهما في الصفحة الأخيرة، وتحتهما سجلت ملاحظات الاجتماع السابق مع إرني.

عندما قلبت الصفحة لتكتب أسماء السموم التي ذكرها إرني، انزلق القلم من بين أصابعها وسقط على الأرض، رعشة باردة عصفت بقدميها، وفجأة أصبح كل شيء معتما، سمعت صوت أنفاسها الثقيلة، وأصبحت أصوات الآخرين مجرد صدى بعيد في الخلفية.

"هذا غير ممكن!"

"ما الخطب يا جيسي؟". أسرع إرني إلى جانبها، وشعرت بيده على كتفها.

"هذا غير... همست جيسيكا، وهي تضغط بدفتر ملاحظاتها إلى صدرها.

أخذ يوسف الدفتر: "دعيني أرّ" تركت جيسيكا الدفتر، وشبكت يديها خلف رقبتها.

"أنا لم أكتب هذا.."

عبّرت النظرة على وجه يوسف عن كل شيء؛ ماليوس ماليفر كاروم.

مكتبة
t.me/t_pdf

هذا النسيم رائع.

نسيم البحر رطب ودافئ. يترجح القارب على الموج الهادئ المرتد عن جرف ليدو الرملي شرق المدينة، ويمتد قبالتها شاطئ بطول كيلومترين، فكّرت جيسيكا بكلمات أمها؛ تلك من نواذر الأشياء التي تتذكر أن أمها قالتها أكثر من مرة، في مسبحهم في بيل إير حيث لم تشعر يوماً بانتعاش النسيم إلا على جلدها المبتل قبل أن يلفها والدها بمنشفة كبيرة. عادة يكون النسيم تقريبا بدفء الهواء الساكن الثقيل، لكنه بالرغم من ذلك منعش وخصوصا في أيام الحر الشديد صيفا. تتذكر جيسيكا كيف كانت الرياح ترمي سُعف شجر النخيل الطويل، وكيف كانت الجذوع تنحني بشكل يخطف الأنفاس، لكنها لا تنكسر أبدا، ومع ذلك كانت تراقبها وتغطي أذنيها منتظرة صوت الانكسار.

"بماذا تفكرين؟" شعرت بصوت كولومبانو في أذنها وبأنامله الخشنة القوية تتحرك في شعرها وتدلّك فروة رأسها لتحس بدغدغة في معدتها. "لا شيء". أدارت رأسها لترى انعكاس صورتها على عدسات نظارة كولومبانو، بدت جميلة بالرغم من أن الماء المالح قد غسل مكياجها، وألصق شعرها بجلدها.

كان من المفترض أن تترك جيسيكا القطار إلى ميلان منذ ثمانية أيام، لكنها تركت خلفها الحياة القديمة، وقفزت إلى واقع بديل لا مكان فيه لتورينو أو للتزلج في جبال الألب أو للقطار إلى غرونوبل أو العطلة على شاطئ مرسيليا. الصيف في أوج جماله في أوروبا الوسطى، وليست على عجلة من أمرها لتعود إلى المنزل، هل كانت تملك منزلا؟ هل كان لديها مكان تشعر فيه بالأمان والحب؟ المنزل حيث يهوى القلب، ومنزلها الآن مع كولومبانو.

أحيانا تشعر أنها أمضت وقتا أطول بجانب كولومبانو: خلال تلك اللحظات عندما تجلس على كرسي فخم في قاعة الحفلات وتسمع مقطوعة الفصول الأربعة، وعندما يحضّران الفطور أو يمشيان على مهل في أرجاء المدينة، وعندما تنتظر عودته وحيدة في شقته، وعندما يتبادلان القبل وتلاطف بشرة أحدهما الآخر ويقومان بعلاقة حميمة، أو عندما يطعمان الحمام في بيازا سان ماركو. خلال كل لحظتهما تلك يزول شعورها بالغربة الدائمة عن الحاضر وتحتضنها حالة من السكينة.

قال كولومبانو: "هل تريدان السباحة؟". وداعب خدها بأصابعه.

"بالتأكيد". ابتسمت وعدّلت من جلستها، ثم خلعت نظارتها الشمسية، وأغمضت عينيها إذ كانت الشمس تتوسط كبد السماء، ثم أمسكت بمنزحة الماء التي كانت تضغط أسفل ظهرها عندما كانت مستلقية ورمتها إلى مقدمة القارب.

القارب ليس شيئا مميزا، وهو بعيد كل البعد عن الرفاهية، لا يشبه شيئا من ترف سانت تروبيه الذي جرّبه الصيف الماضي، عندما أمضت بضعة أسابيع في الريفيرا الفرنسية، وهذا بالضبط ما يجعل هذا القارب مثاليا.

شاهدت جيسिका كولومبانو يخلع قميصه الأبيض ويغوص في الماء بسلاسة كدلفين، تاركا القارب الصغير خلفه يترجح ككرسي هزاز. انزلق جسمه الرياضي تحت سطح الماء البلوري، ثم ظهر رأسه وكتفاه فوق السطح على بعد بضعة أمتار. ناداها وهو يبعد شعره المبتل عن عينيه: "تفضلي أيتها الأميرة".

"أنا قادمة". طفا كولومبانو بطريقة تشبه إلى حد ما السباحة على الظهر، ثم اختفى تحت الماء مرة أخرى. وضعت جيسिका أصابع قدميها على حافة القارب لتقفز إلى الماء، ولكنها شعرت بألم حاد في أخمص قدمها، نظرت إلى أخمصها ورأت حلقة معدنية اخترقت الجلد واستقرت في الأخمص، أمسكت بها وأخرجتها بحذر، إنه خاتم، خاتم زينة ذهبي فارغ التاج -الذي يفترض أنه كان يحمل ماسة ذات مرة- أصبحت حوافه كرؤوس رماح حادة وصغيرة.

جلست جيسيكا على أرضية القارب، وتحسست الخاتم المكسور بأصابعها،
ودلكت جرح أخمص قدمها في الوقت نفسه، نزف الدم، واختلط مع الماء والعرق
وواقى الشمس الذي يلمع على بشرتها.
سمعت كولومبانو يخبط الماء بشكل صاخب.
"انزلي!".
قلبت الخاتم في يدها، هناك نقش على الجهة الداخلية.

"إن عبث أحدهم بأشياءك، يمكننا أن نرى ذلك من خلال كاميرات المستشفى. راس سيطلع على ذلك".

"ماذا تقصد بكلمة إن؟ سحقا، ألا ترى ذلك؟". فتحت جيسيكا دفتر ملاحظاتها على الصفحة التي كتب عليها باللاتينية. قلبت الصفحات إلى الأمام والخلف لعدد لا يُحصى من المرات، لتتأكد من عدم وجود أي كتابات أخرى. كانت الصفحات الأخرى نظيفة.

قال إرني وهو يحك أنفه: "كل ما أريد قوله، ربما سبق لأحدهم أن عبث معك، تاركا بعض الصفحات البيضاء عن قصد حتى لا تكتشفي ذلك وقتها".

"لا أدري، يا إرني. لا أعرف حقا. لكن حاليا أشعر أنني جُذبت إلى لعبة مريضة لعينة. ففكر بهذا: لقد رأيت القاتل مرتين. يوم أمس في منزل آل كوبونين. واليوم على الجليد. والآن ها هو يترك لي رسالة في دفتر ملاحظاتي".

"ذلك لا يجعل الأمر شخصا. أنت المحققة الرئيسية في هذه القضية. الرسائل كان من المحتمل أن تكون لأي محقق يتولى القضية لا لامرأة اسمها جيسيكا نيمي". سار إرني ببطء حول المكتب وجلس. راقبت خلسة ملامحه، إرني مريض، وتعرف ذلك، بالرغم من رفضه أن يتحدث عن ذلك، حتى معها.

"هناك المزيد، يا إرني. لم يكن هناك وقت لنخبرك كل شيء عن زيارة المستشفى بعد. لورا هلمنين كانت غاضبة جدا عندما رأيتني". نظرت مباشرة إلى إرني، الذي بدا حذرا أكثر فجأة.

"ماذا تقصدين؟"

"اللوحة التي رأيتها في القبو...".

"ما بها؟"

"قالت هلمنين إنها كانت لوحة تحمل رسما لي".

كاد إرني أن يقول شيئا، لكنه استهجن بدلا من ذلك.

"قالت إنها واثقة من ذلك".

"لورا هلمنين كانت في حالة صدمة معروفة الأسباب...".

"لكنك إن أخذت بعين الاعتبار كل ما حدث، لا أظن أن هناك شيئا مستبعدا،

أنا الهدف".

"أنا أرى أن تفكيرك يجعلك تظنين أن الآخرين يفعلون أعمالا شريرة؟".

"حسنا، برأيك ما الذي حمل هؤلاء السفلة على تعليق لوحة تحمل رسما لي

في القبو؟".

تنهد إرني، تعرف جيسيكا أن ذلك التذمر ليس مناسباً الآن. الوضع مربك

للجميع.

"هم يعلمون يا إرني. هم يعلمون ما فعلت".

قطب إرني حاجبيه وسأل: "ما الذي تتحدثين عنه؟". لكنه فهم لاحقا. "لا

يا جيسيكا. إنك مذعورة. ليس علينا أن نفكر بذلك مجددا. أو أن نتكلم عنه".

"لكن...".

"امرأة جميلة ذات شعر أسود. ذلك ما قاله يوسف لهلمنين واصفا المرأة في

اللوحة. نعم، الوصف ينطبق عليك. لكنه أيضا ينطبق على ماريا كوبونين، وليا

بلومكفنيست، ولورا هلمنين نفسها. وربما على آلاف النساء في هذه المدينة". يقدر

إرني أن يكون مقنعا، إنه عمله. اكتشفت جيسيكا ذلك منذ سنوات عدة.

"حسنا". تنهدت جيسيكا، وهمت بالمغادرة.

"ولكن حتى لو". قال إرني في الوقت الذي وضعت فيه جيسيكا يديها على

مقبض الباب. "أريد أن أجرب شيئا".

"ماذا؟". شاهدت جيسيكا إرني ينهض من كرسيه، ويقترّب منها ببطء، ويدها

خلف ظهره.

وجهه الآن جدي.

"أريد أن أفحص نظرتك".

"كيف؟".

"أريد منك أن تبقي بعيدة عن الميدان لفترة، على الأقل حتى الغد".

حدّقت جيسيكا إلى الراية على مكتب إرني، إنها ترفرف بشكل ملحوظ الآن: مشيرة بوضوح أن تكييف الهوائي يعمل. اقترح إرني مريح ومزعج في الوقت نفسه. من الواضح أنه خائف عليها، وهذا يعني أنها ليست الوحيدة التي تفكر بتلك الطريقة. وهذا ليس بالضرورة أن يكون شيئاً جيداً.

"حتى يوم الغد؟ في هذه الفترة ماذا أفعل؟ أذهب لتسلق الصخور؟".

"ابقي في منزلك. دعي رأسك يهدأ. ستبقيين ممسكة بزمام الأمور، سيظل هاتفك وحاسوبك معك".

"أتريدني أن أذهب إلى المنزل؟".

"أجل".

"إرني؟ هل تستبعدني عن القضية؟".

صاح إرني: "بالأكيد لا". وحرك عينيه بالطريقة التي يفعلها الكاذبون السيئون المليئون بالهراء. لكنه لم يكن بكاذب سيئ ولا بمتفوه بالهراء. "أنا لا أستبعدك عن القضية. على العكس أنا أعطي نظرتك فرصة".

"تريد أن ترى إن كان المجرمون سيتبعون تحركاتي؟".

"أنت فضولية أيضاً".

"ولكن ماذا سيحصل إن كنت محقّة؟".

إن كنت محقّة والجنّة يريدون أن يثيروا انتباهك، فهم إما سيتوقفون عن قتل الناس أو سيقترّبون منك بطريقة أو بأخرى".

"إذا أنا طعمٌ الآن؟".

"إن كنت تريدين رؤية الموضوع بتلك الطريقة. من الأفضل أن تكوني طعاماً على أن تكوني هدفاً. أنت آمنة في منزلك، سأجعل رجال الأمن يحضرون عربّة المراقبة إلى تولونكاتو".

حدقت جيسيكا إلى مديرها، كأنها بتحديقها إليه ستقنعه بتغيير رأيه ببساطة.

"لا أعرف، ذلك سيء حقا يا إرني".

قال إرني: "اعملي من المنزل. لدينا الكثير من الناس الآن، ولن يمانع يوسف في متابعة العمل من دونك. سنعيد تقييم الأشياء منذ الصباح". بدا أنه سيضع يده على كتفها، لكنه يعرفها جيدا ليمتنع عن ذلك. بدلا من ذلك فرك برامجه. "أنت تعرفين أن هذا هو الصواب يا جيسيكا".

هزت جيسيكا رأسها، دفعت الباب لتفتحه، وخطت إلى الممر.

جلست جيسيكا على كرسي مكتب متين، شابكة ذراعها على صدرها. لا يملك الفراغ المعروف "بالغرفة الهادئة" أي نوافذ، فقط رفوف فولاذية تكاد تغطي كل إنش في الحائط، بالإضافة إلى طاولة وكراس.

قال مايكل وهو يضع مسدس جيسيكا على الطاولة: "يا له من مسدس جيد".

وضعت جيسيكا المسدس في قرابه. "جيد، لو أن أحدا لم يفرغه من الرصاص عندما كنت أنقذ تلك الفتاة من الجليد..".

"إرني لا يريد أن يقوم بأي مخاطرة. لم عساه يفعل ذلك؟" دفع مايكل علكته بلسانه. "أيا يكن الأمر. لقد تم فحصه الآن".

"يا لسعادي".

"هل هاتفك، محمي بكلمة سر قوي؟".

"أجل، أعتقد ذلك".

"هل يعلمها أحد غيرك؟".

"هل يمكنني الإجابة من دون التلعثم بخصوص قوّة كلمة السر؟".

"إذا لا؟".

"بالطبع لا".

"حسنا. هل يمكنك فتح الهاتف لأطلع عليه؟". مسح مايكل الغبار غير المرئي عن أصابعه. فعلت جيسيكا ما طلبه منها مايكل، وسلمته الهاتف النقال. راقبته ينقر على الهاتف بتركيز لعدة دقائق.

"إن معرفة المرة الأخيرة التي استخدم فيها الهاتف شيء صعب، لكننا نستطيع تفقد شيء آخر... إعدادات... عام... " قال مايكل، وهو يضغط على شاشة هاتف جيسিকা. "تخزين... حسنا، هنا يمكننا أن نرى ما التطبيقات التي استخدمت مؤخرا. هل تمانعين أن ألقى نظرة، أو..".

"تفضل، لا أعتقد أن تطبيق تندر سيزعجك".

"آه، إذا أنت من مستخدميه أيضا... هل..".

"ميكى، تفقد إن كان أحدهم قد استخدم هاتفى وليس أي شيء آخر".

"لا أظن أننا نحتاج إلى تندر".

ابتسم مايكل وهو ينقر على شاشة الهاتف. ألقى جيسিকা نظرة على ساعتها. فأخر ما تريده هو المكوث في هذه الغرفة الصغيرة مع ميكى. منذ البداية، لم تكن علاقتهما العابرة في محلها. والآن، إنها تبدو الخطيئة الكبرى في العالم، هفوة تركتها تعاني من صراع أخلاقي مريع، فهي تعرف من خلال نظرة نينا إلى ميكى كم تبدو سعيدة بعلاقتها.

"كل شيء يبدو كما ينبغي".

في الحقيقة، لقد استخدمت تطبيق تندر للمرة الأخيرة خلال فترة عيد الميلاد تقريبا، وقتها ظهر فابو في حياتها.

"يبدو طبيعيا".

"جيد. لكن تفقدي الرسائل والمكالمات الصادرة قبل استخدامه". دفع مايكل الهاتف نحو جيسিকা عبر الطاولة. "لا أريدك أن تعثري على مالىوس مالفيركاروم آخر عندما تكونين وحدك في المنزل".

"رائع. شكرا، ميكى،" وقفت جيسিকা. "و..."

"انسي الأمر. فلتخطه، جيسى".

ركن يوسف سيارته إلى جانب الرصيف في المكان نفسه الذي سبق له أن ركنها فيه مرات لا تُعد ولا تحصى.

قال: "هل ترين ذلك الفان؟". وأشار إلى تويوتا هائس قديمة ذات لون رمادي داكن مع شعار شركة نقل على جانبها.

"هذا رائع. أنا متفاجئة أنهم لم يختاروا شركة إبادة الحشرات".
 "هنالك شخصان وكاميرات. كما أن الدوريات ستكون هنا في غضون دقائق إذا احتجنا إليها".

"أظن أنني أستطيع تدبّر الأمر".
 قال يوسف وهو يفتح الباب: "إنه تدبير وقائي فقط. سنلقي القبض على الجناة".

"ماذا تف..."
 "وعدت إرني أنني سأوصلك إلى باب منزلك".
 "هل ستأكد من عدم وجود وحوش مختبئة أسفل سريري أيضا؟".
 "سأقوم بكل ما يجب عليّ القيام به". همهم يوسف ووضع سيجارة في طرف فمه، أشعلها، وسحب منها نفسا طويلا.

الآن، في وهج ضوء الشارع الأصفر والسيجارة معلقة في فمه، بدا يوسف في غاية الوسامة. في لحظات كهذه، تتساءل جيسيكا إن كان يوسف مخلصا لعشيقته. يمكن لهذا الرجل أن يحصل على القدر الذي يريده من المتعة، ربما ستتغاضى يوما ما عن تعاليها، وستفصح عن رأيها فيه، وتترك بعد ذلك الأمر ليوسف ليتصرف.

"هل تريدان سيجارة؟".

أومات جيسيكا برأسها: "إنها لا تليق بك، يا بطل الهوكي".
"سمّ لي شخصا واحدا تليق به".

شاهدا المرأة التي تعيش في الطابق الثالث تخرج من المصعد، حاملة كلبها
البنّي بين ذراعيها.

إيدلوييس هو كلب صيد يبلغ من العمر عشر سنوات، نباحه العالي يتردد عبر
الدرج كل صباح عندما تصطحبه الجارة في نزهة. تلقي المرأة تحية ودودة على
جيسيكا، وتنظر بشك إلى يوسف، الذي يتسم بهذيب من دون أن ينال أي رد.
سألها يوسف: "هل تعلم أنك شرطية؟". في الوقت الذي عبرت فيه المرأة باب
المبنى إلى ظلام المساء.

"بالطبع، يوقفني الجيران على الدرج عندما يشاهدون شيئا مريبا. عندما يقوم
أحدهم بإثارة المشاكل في موقف التكسي مثلا، ولكن لماذا تسأل؟".
"لقد رمقتني بنظرة كأنها كانت ستتصل بالشرطة إن لم تكن تعرف أنك واحدة
منهم".

ابتسما.

أغلقت جيسيكا باب المصعد، وضغطت على الزر الأعلى. بدأ المصعد
القديم بالصعود ببطء، مصدرا أزيزا وطقطقة مشؤومة وهو يعبر الطوابق.
"متى كانت آخر مرة زرتك فيها؟".

"في عيد العمال؟".

"أجل هذا صحيح، عندما أتينا لترتشف الشمبانيا..".

"أجل". نظرت جيسيكا إلى انعكاس صورتها في المرأة، إنها تبدو أكثر تعباً مما
كانت عليه صباحا، لقد ترك هذا اليوم غير العادي بصمته عليها.

أصدر المصعد صوت أزيز عالٍ عندما توقف في الطابق الأخير. فزعت
جيسيكا لوهلة؛ لم يكن عليها قول أي شيء عن الوحوش أسفل السرير.

أمسكت باب المصعد ليوسف، في الوقت الذي كانت تفتح فيه باب
الاستوديو. ما من بريد على الأرض، في البدء نظر يوسف إلى الدرج متفقدا إياه

بحذر، وكأنه يتوقع أن تكون هناك مفاجأة غير سارة بانتظارهما.

سألها يوسف بينما كانت تنير المصباح: "هل لديك جهاز إنذار؟".

أجابته: "لا". أقصد أجل لدي، لكن ليس هنا.

"حسناً". أشار يوسف إلى حذائه.

"لا تخلعه". دخلت جيسيكا، وألقت بنفسها على الأريكة من دون أن تخلع معطفها، بدت وكأنها معتادة على ذلك في كل مرة تعود فيها إلى المنزل. لكن الحقيقة لم تكن كذلك، فهي لم تجلس عليها منذ وقت طويل حتى أن نعومتها فاجأتها.

جال يوسف بسرعة في الأستوديو، وألقى نظرة على الحمام والنوافذ، قبل أن يقف في وسط الغرفة شابكا ذراعيه على صدره.

سألته: "أترغب بشرب شيء؟". إنها تبقي ثلاثتها مليئة بالكحول، وبذلك تحاكي الثلاثجات الصغيرة للفنادق، كما تضع فيها قليلاً من زجاجات الصودا والبيرة.

"لا، شكراً".

قالت: "حسناً" خلعت حذاءها، وبدا بوضوح أنها تُمثل، وأنها تريد أن تلفت نظره إلى أنها في منزلها.

سألها: "هل كان هذا الباب دائماً هنا؟".

شعرت جيسيكا برغبة في الضحك، لكنها كبحت ضحكتها، وقطبت حاجبيها وردت: "لا، لقد ظهر بالأمس".

وقف يوسف أمام الباب الأبيض، وضع يده على المقبض. "إلى أين يؤدي؟".

"إلى الدرج الآخر".

"هاه. أهو الأستوديو الوحيد في هلسنكي الذي يمتلك مدخلين".

"ربما". حاولت جيسيكا ألا تعبر عن استيائها. هذا ما كان ينقصها؛ أن يأتي محققون وأدلة جنائية وشخص من وحدتها يحقق بملكية الشقق في المبنى. عندما فكّرت أنه من الممكن لهم أن يكتشفوا الحقيقة تسارعت ضربات قلبها. لقد بنت

لنفسها حياة طبيعية، عادية: فراتب موظفة حكومية يظهر في حسابها كل شهر، وهي تسافر مرة في السنة لتمضي عطلتها في إسبانيا، وهي تشارك مع زملائها الآمال والمخاوف بشأن الرفاهية المستدامة في فنلندا.

إن عُرف أي كلمة من شقتها ذات الثلاثمائة متر مربع، فستنهار واجهة حياتها التي بنتها بدقة كبيرة، وستعود وحيدة تماما مجددا. لا لأن الناس سيتجنبون ثروتها، بل لأنها كذبت عليهم، ليس على زملاء عملها فقط، بل على أصدقائها المقربين أيضا.

فجأة سألها يوسف: "هل هناك أي معبر للشرفة من الدرج الثاني؟". أثار انتباهه للتفاصيل جنونها، لقد رأت مقدار دفته الآن أكثر من العادة؛ عندما يكونان في مهمات مشتركة ويتفحصان الأشياء ذاتها.

"أجل. والطريقة الوحيدة للوصول إلى الشرفة هي عبر الرواق المرئي من الشاحنة" قالت جيسيكا، وهي تقف.

"أنا آمنة هنا، صدقني".

سألها يوسف: "هل تمانعين إن ألقيت نظرة؟". وفتح الباب من دون أن تحظى جيسيكا بالوقت للإجابة. وأطل برأسه إلى الدرج المظلم.

"اسمع، يا صائد الأشباح. أنا أقدر اعتناك بي، لكنني أريد منك المغادرة ومتابعة التحقيق".

"بالتأكيد". أغلق يوسف الباب وهمهم. "إرني... وأنا. قلقان بعض الشيء حيال هذه القضية. وخصوصا بشأنك". تقدم ببطء نحوها، عضت شفقتها واستدارت، لقد اعتادت أن تهتم بنفسها، وها هم جميعا يقتحمون حياتها من دون دعوة.

فجأة أصبح الرجال يحكمون عالمها. غرباء، رجال غرباء، يخيفونها. ورجال تعرفهم يفتحون الأبواب لها، يعتنون بها، يهتمون بها، الآن تشعر بأنه من الصعب أن تفرق بين الاثنين. كل شيء مرهق جدا، كأن الجميع يتحكمون بأفعالها إلا هي. لكن يوسف ليس عدوا، ولا إرني. هزت رأسها ببطء لتصفي رأسها من الأفكار.

"شكرا، يوسف. عندما نقبض على الجناة لن يشعر أحد منا بالقلق على الآخرين، لا سيما عليّ".

رنّ هاتف يوسف النقال. ألقى نظرة على الشاشة قبل أن يكتم الرنين.

"رجاء ابقني في المنزل، اليوم فقط يا جيسي. سأذهب للقاء أخي ليا بلو مكفيست وسأبقيك مطلعة على آخر المستجدات". لكم يوسف جيسيكا بطريقة ودية على كتفها. ثم أجاب على هاتفه، وخرج إلى الدرج، مغلقا الباب خلفه. مرحبا عزيزتي.

شعرت جيسيكا بالراحة تغمرها. انتهى الخطر. هل هذا صحيح؟ أم أنها ليست سوى البداية؟

أغلقت جيسيكا الباب الداخلي، وأصغت لصدى وقع خطواته على الدرج. اختار يوسف النزول مستخدما الدرج بدلا من المصعد، ثم سمع صوت نباح من الدرج، فابتسمت جيسيكا، وهي تتخيل الجارة تمسك كلبها بقوة وقد مر بالقرب منها رجل أسمر على الدرج المظلم، ليس هذا وحسب، بل إنهما بمفردهما. علّقت جيسيكا معطفها، وأخرجت هاتفها من جيبتها. هناك رسالة من فوبو. كيف حالك، أيتها المحققة؟ هل أنت مشغولة بالقبض على الرجال الأشرار؟ أم لديك وقت لي اليوم؟

نظرت جيسيكا إلى الرسالة. ثلاثة أسئلة كتبها فوبو لها مرات عديدة. الإجابة ستؤدي إلى موعد سريع وعلاقة حميمية قصيرة. لقد تحول فوبو إلى منقذ حياة لجيسيكا؛ ساعدتها جلساتها على إراحة نفسها من قضايا صعبة، فمعه تنسى مؤقتا بشاعة حياتها والأشياء الوحشية التي تصادفها في عملها. حقيقة أنها لم تطور أي مشاعر رومانسية للشباب، بغض النظر عن العلاقة الحميمية العابرة والانجذاب الجسدي الواضح، هو معجزة بحد ذاتها. هناك سبب لذلك، لأن كلا منهما مختلف عن الآخر كل الاختلاف.

هو أصغر منها ببضع سنوات، وهو هادئ الطبع وبارد وهما ميزتان لا يمكن لمحققة جنائية تحملهما. قد تجد المتعة معه لعدة مرات في الشهر،

لكنها ستشعر بالسوء لو أنهما معا طوال الوقت.

أنا لا أعمل، يمكنك القدوم الليلة إن أردت.

أرسلت جيسيكا الرسالة النصية، وراقبت فقاعة الرسالة على الشاشة للحظة، ثم أطفأت هاتفها. ستعد لنفسها بعض الشاي المركز، وستدوّن كل معلومة تعرفها عن أولئك الجناة. ثم ستنتظر الأخبار من الميدان، الجيدة منها والسيئة. التقطت مفاتيحها من جيب معطفها واتجهت إلى الباب الخلفي.

أصدرت لوحة المفاتيح صوتا عندما كانت جيسिका توقف عمل جهاز الإنذار. أغلقت الباب، وضبطت النظام على وضعية في المنزل. أطفأت مستشعرات الحركة داخل الشقة، لكنها تركت المستشعرات المغناطيسية الموضوعة عند الباب قيد العمل. الآن تستطيع النوم بسلام موقنة أن أحدا لا يستطيع اقتحام شقتها من دون إطلاق جهاز الإنذار.

خطت عبر الغرفة، ألقت نظرة خاطفة على الطاولة الطويلة، وتوجهت إلى المطبخ. شغلت الغلاية الكهربائية ومدت يدها إلى خزانة الأكواب. كان حوض غسل الأطباق المصنوع من الكروم محتشدا بالأكواب البيضاء المتشابهة، والملطخة من الداخل باللون الوردى من أثر شاي الورد الذي تشربه. نظرت إلى الأكواب والحوض والمغسلة والبلاط المحيط بها، فاجأتها حقيقة تشابه مطبخها ومطبخ آل كوبونين، ولم يبد لها الأمر مجرد صدفة غريبة، لم تستطع التفكير أن أحدهم سيقوم بكل هذا ليلفت انتباهها، فتحت غسالة الأطباق، عندما شممت الرائحة الكريهة للمياه الراكدة بسبب الدهون المترسبة، وضعت الأكواب المتسخة على الرف العلوي. أصدرت الأكواب أصواتا بينما تحاول حشرها لتتسع على الرف. بدأت الغلاية الكهربائية تصدر همهمة.

بعد ذلك، جلست إلى طاولة المطبخ، تنظر إلى شاشة حاسوبها. ووضعت أصابعها على لوحة المفاتيح، وتركت مسدسها بالقرب منها. إنه الظلام مجددا. فتحت صورة اللوح خشبي مليء بالملاحظات وصور أشخاص وأماكن متعلقة بطريقة ما بالقضية، مزقت جيسिका ورقة من دفتر الرسم، وبدأت تدون على الورقة الخريطة الذهنية التي أعدتها الوحدة.

فكرت في المحادثة التي أجرتها هذا الصباح مع إرني، هل هناك جرائم أخرى سيقدم عليها الجناة وعليهم الحيلولة دون تمكنهم من تحقيق مآربهم؟ أم أنهم انتهوا من كل جرائمهم؟ لكن الشرطة لم تعثر حتى الآن على كل الجثث؟ كبرت جيسिका الصور. ماريا كوبونين الضاحكة بشكل هستيري، ليا بلومكفيست الهادئة جدا. يبدو جليا أنهم حصلوا على صورة لورا هلمنين من مواقع التواصل الاجتماعي: إنها تظهر مرتدية بلوزة صفراء مكشوفة الصدر، وتحمل بيدها كاسا لامعة تحتوي على النبيذ. إنها لا تزال على قيد الحياة، ويمكنها أن تقوم مجددا بما قامت به عندما التقطت لها هذه الصورة، أما كوبونين وبلومكفيست فلا تستطيعان. كلما تأملت وجوه تلك النساء ذوات الشعر الأسود اللامع، أدركت بجلاء أنها نفسها واحدة منهم. يمكنهن جميعا أن يكن شقيقات. الفكرة مطمئنة ومخيفة معا. مطمئنة لأن هلمنين، بعد أن خطفت وعذبت في القبو، يمكن أن يكون الأمر قد التبس عليها، فمن المستحيل أن تكون واثقة من أن اللوحة التي رأتها كانت لها، وهذا ما أشعر جيسिका بالغيثان. إنها تشعر أنها متورطة بأمر لا تريد التورط به، يبدو أنها جسديا ومعنويا دخلت دوامة الخطر الآخذ بالتشكل سريعا.

عادت جيسिका بأفكارها إلى قرون ماضية، فكرت بالمجموعات التي حوكت باسم الحقيقة التي ثبت لاحقا أنها لم تكن حقيقة. فكرت بالزنادقة، والساحرات، والمشعوذين، وفكرت بالدول والشعوب التي جعلت أهدافا للتنكيل، وفكرت بأولئك الذي عانوا من مصير مروع بسبب لونهم أو أصلهم أو معتقدتهم الديني. صحيح أن الإبادة جريمة لا يختلف عليها اثنان وهي تختلف كل الاختلاف عن حالات العنف الفردية، ولكن جرائم القتل المتسلسلة يمكن أن تترك تأثيرات نفسية في المجتمع ويمكن أن يكون لديها نقاط التقاء وتشابه كثيرة مع الإبادة الجماعية.

إن المطاردة تثير الريبة والخوف، وتجبر الناس على إخفاء حقيقة هويتهم، وتجعلهم يهربون بحثا عن الأمان، على أمل أن تعود الأمور إلى سابق عهدها يوما ما.

نظرت جيسيكا إلى ساعة الحائط الكبيرة المعلقة على جدار مطبخها؛ يدان طويلتان مزودتان بالكوارتز تخرجان من مركز الحلقة المكونة من نقاط مثبتة على الجدار. تشيران إلى أن الساعة 5:30.

رن الهاتف الذي تضعه على الطاولة.

ردت على الاتصال: "أنا حيّة، يا إرني". قفزت فزعة عندما سمعت قرقعة غامضة من عمق جدرانها. هياكل بنائها القديم حيّة أيضا.

بدوره ردّ إرني: "أنا واثق أنك كذلك". ازداد البحة في صوته. "بعض الأشياء...".

سعل إرني منظفا حلقه، أبعدت جيسيكا الهاتف عن أذنها. بدا صوت سعاله كفأس يضرب صخورا.

"تفقد راس كاميرات المستشفى. المسعف سلّم معطفك مباشرة إلى غرفة الممرضات حيث استلمه يوسف. من الواضح أن هناك بعض المواقع التي لا تغطيها الكاميرات. لكن يوسف تحدث إلى الممرضة وقالت إنها لم تترك الغرفة أبدا".

"ألم يكن باستطاعة أحد الوصول إلى غرفة الممرضات؟"

"هذا مستبعد تماما".

"لكن أحدهم كتب ذلك، ولا أزال متأكدة أنني لم أكتبه".

قال إرني: "لقد انطلقنا من فرضية أنك ستتذكرين إن كنتِ قد كتبتِ أي شيء بنفسك".

لم تجد جيسيكا أي نوع من السخرية في كلامه، بدا من كلامه إن الفرضية الأخرى مرفوضة وليست مرجحة. سمعت جيسيكا صوت إغلاق إرني لباب مكتبه وإلقاء نفسه على كرسيه، وزفره للهواء.

"أيعقل أن أحدهم دخل شقتك؟"

شعرت جيسيكا بألم في ربله ساقها. مع أن إرني هو الوحيد الذي يعلم أنها لا تعيش في استديو صغير، لا تزال جيسيكا تجد مناقشة الموضوع معه محرجا.

قالت جيسيكا وهي مدركة أنها ربما لا تقول الحقيقة: "أنت تعلم أن جهاز الإنذار يبقى قيد العمل ليلا ونهارا، فضلا عن أنني لا أترك دفتر ملاحظاتي في المنزل أبدا. إنه إما في المقر أو معي في الميدان".

"حسنا. لنبتعد الآن عن الاستنتاجات المتسارعة". أصغت جيسيكا لما قاله إرني، لكن سؤاله بقي يجول في رأسها، فلا أحد يستطيع دخول شقتها من دون إطلاق جهاز الإنذار باستثناء المرأة الفيليبينية التي تنظف الشقة مرة في الأسبوع وهذا ما قامت به منذ سنوات خلت، ولكن أسبوعا مرّ على تنظيفها للشقة، كما أن كل زيارتها مدونة في السجل الأمني.

"هاتفنا كاي ليتن وتورستين كارلستيدت لم يشيرا إلى أنهما غادرا منزلهما في إيسبو وفانتا يوم أمس".

"لكننا واثقون أن ليتن كان في سافونلينا".

"في سيارة تورستين كارلستيدت. الذي ربما أدى دور السائق".

"هذان السافلان ترك هاتفيهما في منزلهما".

"إنهما محترfan يتجنبان ارتكاب أخطاء المبتدئين".

"في الوقت الحالي، لا نملك دليلا على أن تورستين كارلستيدت كان في سافونلينا بالأمس؟".

"صحيح. نظريا يمكن أنه أعار سيارته لليتن. وإن أكد ليتن ذلك، فلا يمكننا القيام بشيء، فلا شيء لدينا ضده".

"ربما تلك هي الحقيقة".

"ما هي؟".

"أنه أعار سيارته لليتن. ولم يكن في سافونلينا".

"أحدهما كان يقود".

"على حد علمي يمكن أن تُصدر أكثر من رخصة قيادة في فنلندا".

"نقطة جيدة، ساجا نورين".

"هل من شيء آخر؟". سألت جيسيكا وهي تقرّب الصورة إلى وجه ماريما

كوبونين الضاحك. هناك شيء يجعلها لا تكف عن النظر إليها، نظرت إليها بتركيز كما لو أنها تحاول أن تحل لغز وهم بصري. اللعنة، ما هو الشيء المضحك إلى هذا الحد؟

قال إرني: "تورستين كارلستيدت يتحدث على الهاتف كثيرا. لم يقل شيئا له دلالة جنائية حتى الآن". ثم سعل مجددا.
"تبا".

لكن مايكل لفت نظري إلى نقطة مهمة. كارلستيدت لم يذكر أي كلمة عن الجرائم، بالرغم من أن كل وسائل الإعلام تحدثت عنها اليوم. إنه لأمر ملفت حقا، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار أنه كان، أو بتعبير أدق، كانت سيارته مع ليتنن في سافونلينا الذي شارك في اللقاء مع روجر".

"هذا دليل لنا، وإن لم يكن بالمعنى القانوني دليلا على تورطه".

قال إرني: "كارلستيدت أجرى اتصالا مع كاي ليتنن أيضا، منذ عشرين دقيقة". سمعته جيسيكا يقلب كدسة من الأوراق "لقد سألت ليتنن إن ترك قبعته في السيارة". تنهدت جيسيكا وفركت جبينها: "هل تركها؟".

"من الواضح أنه تركها. المحادثة بأكملها كانت مختصرة وعادية جدا. اللعنة، لو استطعنا الحصول على دليل مادي".

"لنتنظر ونرى كيف ستتطور الأمور". لاحظت جيسيكا أن اتصالا يردها من رقم غير معروف فقالت: "إرني أحدهم يتصل بي، سأعاود الاتصال بك". وأنهات المكالمة.

حدقت إلى الرقم الظاهر على الشاشة، ولكنها لم تعرف صاحبه. هل الأمور بدأت تتطور الآن؟ عندما تفتح الخط ستسمع الصوت نفسه الذي سمعته في منزل آل كوبونين ليلة أمس؟ شعرت وكأن قلبها يغوص في معدتها.

ردت جيسيكا: "نيمي تتكلم". ثم حبست أنفاسها. صدر صوت من النوافذ بفعل الهواء.

"دخل رجل المبني".

صاحت جيسيكا: "اعذرني؟ من معي؟". نهضت واقفة، وأحكمت قبضتها بقوة حول المسدس الموضوع على الطاولة".

"أولفي. من رجال الأمن. نحن موجودون في فان التويوتا أمام المبنى الذي تقطنين فيه".

"حسنا". مشت جيسيكا في غرفة جلوسها، ممسكة بمسدسها".

"رجل، في العقد الثالث من العمر، يرتدي معظفا سميكا... وقف خارج الباب لبرهة، ثم انسل إلى الداخل عندما خرج رجل عجوز. بدا كأنه لا يملك مفتاحا للبوابة".

"كيف تعرف أنه قادم إلي...؟"

"نحن لا نعلم. لقد رنّ الجرس مرات عديدة. هل رن في شقتك؟".

حبست جيسيكا أنفاسها. اللعنة. إنها لا تملك أدنى فكرة إن كان قد رن في الأستديو، ولم تحضّر أي كذبة لمثل هذا الاحتمال.

"لست متأكدة، كنت في دورة المياه".

قال أولفي بعفوية: "هل تمانعين أن نبقي الاتصال مفتوحا، لنعلم إن كنت بحاجة إلى تدخلنا؟".

وقفت جيسيكا في وسط غرفة الجلوس، فكّرت بخطوتها التالية. إنها آمنة هنا، لكن إن كان الرجال الذين في الفان سيتبعون الدخيل المحتمل إلى الأستديو، لن يأخذ الأمر وقتا طويلا قبل أن يدركوا أنها ليست هناك. وسينكشف كل شيء.

قالت جيسيكا: "بالطبع". محاولة أن تبدو واثقة من نفسها. ضغطت الهاتف إلى صدرها، وفكّرت. إنها مدربة ومسلحة. كل ما عليها فعله هو العودة إلى الأستوديو والنظر خارجا عبر العين السحرية للباب لترى إن كان الرجل الذي انسل إلى المبنى سيطرق بابها. هذا كل ما في الأمر. هي تعلم كيف تدافع عن نفسها إن تطلب منها الأمر.

أسرعت جيسيكا نحو الردهة، فتحت الباب، وأغلقت خلفها. وقفت لبرهة عند الدرج المظلم. أصدرت مفاتيحها خشخشة عالية في الفراغ بفعل الصدى. ثم

انزلت حزمة المفاتيح من يدها ووقعت أرضا بجانب قدميها. انحنت لتلتقطها، وهي تنظر إلى أعلى وأسفل الدرج. يمكن لأي كان أن يختبئ في الظلام. أي أحد. زر الضوء بعيد قليلا عنها. اللعنة. كان بإمكانها البقاء في قصرها المحمي بأجهزة الإنذار. ربما كان الموضوع بأكمله فخ. ربما الشخص الذي يتحدث ليس من رجال سوبو حقا، ربما...
"مرحبا؟"

تحركت جيسিকা عندما سمعت الصوت على الهاتف. عثرت على المفتاح الصحيح، وشعرت بالقشعريرة تسري في عمودها الفقري.
"مرحبا؟ نيمي، هل أنت هنا؟"
حبست أنفاسها وهي تضع المفتاح بالقفل. فتح الباب، واندفعت إلى الأستديو.

في تلك اللحظة، طرق أحدهم الباب.
قالت جيسিকা بصوت خافت: "أنا هنا". وهي تصوّب مسدسها نحو الباب.

سألها أولفي: "هل كل شيء على ما يرام؟ سنكون عندك في غضون دقائق إن كان ذلك ضروريا. لكننا لا نريد أن نفسد التخفي إن كان ذلك إنذارا خاطئا".
همست جيسিকা: "أحدهم على الباب".

"هل أنت مسلحة؟"

"أجل".

"هل يحاول الدخول؟"

"إنه يطرق الباب...".

"حسنا. نحن قادمون".

سمعت جيسিকা باب الفان الجانبي ينزلق منفتحا.

قالت جيسিকা: "لا! انتظر". وهي تخطو ببطء نحو الباب. مزيد من الطرقات، متناغمة لكن ليست ملحّة، همست: "لديّ عين سحرية في الباب".

"استمعي لي يا نيمي. أريد أن أسمع أن صديقا قد مر للزيارة خلال نصف دقيقة من الآن، وإلا سنصعد".

همست جيسيكا: "روجر". منخفضة الهاتف إلى مسند ذراع الأريكة. مشت على رؤوس أصابع قدميها الحافيتين، حبست أنفاسها، وانحنت لترى عبر عين الباب السحرية. ثم سمعت ذلك الصوت المألوف الثمل ينادي اسمها. فوبو.

طوى يوسف يديه على الطاولة، وانتظر بصبر أن يجمع الشاب الذي يجلس أمامه أفكاره. جمع تيمو بلومكفيست شعره الأشقر الكثيف إلى الخلف.

"لا أصدق. من يمكنه أن يفعل ذلك... ليا ألطف إنسان على وجه الأرض..". قال يوسف: "أنا آسف حقاً". كان ينظر إلى السجادة القبيحة، ويشعر أنه يفرق في الكرسي المنجد بالمخمل الأزرق بالغ النعومة. الأستديو في حي كاليو الشعبي مرتّب لكنه مؤثث بطريقة سيئة. الجدران الخضراء الداكنة يتناقض لونها بشكل فاضح مع الستائر الحمراء القانية والسجادة القبيحة أيضاً.

"أنت تفهم أنه من الضروري ألا نؤجل هذه المحادثة". جهّز يوسف آلة التسجيل ووضعها على الطاولة.

سأله بلومكفيست بذهنٍ شارد عندما وقف: "هل تريد بعضاً من القهوة؟". "لا شكراً". ألقى يوسف نظرة على مظهر الرجل وهو يمشي مشياً متثاقلاً نحو المطبخ الصغير. "هل لديك أي فكرة من بإمكانه فعل ذلك بشقيقتك؟".

"لا. كما قلت، ليا كانت ودودة ومرحة... وواقعية. لا أستطيع أن أفهم لماذا يقدم أحدهم...". فتح بلومكفيست الصنبور وملاً إبريق الإسبريسو.

"هل كان هناك أي علاقات جديدة في حياة ليا مؤخراً؟ أصدقاء؟ شريك؟". نظر بلومكفيست إلى يوسف وقد لمعت عيناه، "ليا ظلت... ثم مسح أنفه وعاد إلى إبريق الإسبريسو، ووضع كبسولة البن في المصفاة. ارتجفت اليد التي تحمل الملعقة... عزباء لعدة سنوات. لا أظن أنها وجدت أحداً. إن كانت قد فعلت ذلك. فهي لم تخبرني عن ذلك".

"هل كنتما مقربين من بعضكما؟".

"عائلتنا تعيش في إسبانيا...".

"ماذا يعني ذلك؟".

"أجل، كنا نتكلم في معظم الأحيان. ولكننا مؤخرًا لم نتحدث كثيرًا. كان من المفترض أن نلتقي هذا الصباح في منزلها في لاجاسالو. رننت جرس الباب لفترة طويلة..."

"هل من سبب محدد للقاء؟".

"بدا بلومكفيست متفاجئًا "ماذا؟"

"من منكما اقترح اللقاء؟ أنت أم هي؟".

"لا أتذكر. لم يكن هناك جدول مواعيد للقاءات. كنا نتبادل الزيارات بضع مرات في الشهر لشرب القهوة أو..."

"حسنًا. هل خطر ببالك أي شيء غير طبيعي؟ هل قالت ليا إنها تُعد شيئًا خاصًا، أو تقابل أحدا؟".

"صادف أننا لم نتواصل منذ أسابيع. لقد حددنا الموعد هذا الصباح على الواتساب".

عاد الرجل المتفاجئ ببطء إلى طاولة القهوة.

أراق القهوة على أصابعه، لكن يبدو أنه لم ينتبه.

قال يوسف: "ليا كانت باحثة علمية".

"أجل. لقد عملت في الجامعة".

"حصلت على شهادة الدكتوراه في علم النفس منذ سنوات عدة؟".

"كانت تركز على موضوع محدد جدًا. بالكاد تكلمنا عن العمل، لأن أيًا منا لم يكن يفهم ما الذي يفعله الآخر". افترت عن شفتي بلومكفيست ابتسامة حزينة.

قال: "لكن... لدي نسخة هنا..."، وضع كوب القهوة على الطاولة بسرعة. ثم خطا إلى خزانة الكتب ذات اللون الخشبي وأخرج مجلدًا رقيقًا.

"ما هذا؟".

"أطروحة ليا".

سلم بلومكفيست المجلد إلى يوسف.

قلّب يوسف صفحات المجلد ورقي الغلاف: "عن ماذا يتحدث؟".

"لا أدري". عض بلومكفيست على شفته؛ من الواضح أنه لن يمضي وقت طويل قبل أن تنهمر دموعه.

"هل يمكنني استعارة المجلد؟".

نهض يوسف عن الأريكة، بينما أوماً بلومكفيست برأسه موافقاً، ودفن وجهه بين كفيه. اقترب يوسف من الرجل، فكّر بوضع يديه على كتفه. لكن لسببٍ ما بدت البادرة غير مناسبة.

أخيراً قال: "أنا آسف". واتجه نحو الباب.

فتحت جيسيكا الباب، ورأت أمامها شابا ثملا، فمه مقوس بابتسامة مغالطة.
 قالت جيسيكا: "ماذا تفعل هنا بحق الجحيم؟". وهي تحديق إلى المسدس
 الذي دفعته بسرعة فوق مشجب القبعات منذ ثوانٍ معدودة.
 "آسف، أيتها المحققة. كنا نحتسي المشروبات في الحي... قلت لي يمكنك
 القدوم الليلة...". فجأة تذكرت أنها لم تنه الاتصال مع أولفي.
 نظرت إلى الدرج المظلم، ودعت فوبو للدخول، وأمسكت بهاتفها.
 "لقد جاء صديق لزيارتي". وهي تراقب فوبو يخلع معطفه الرطب ويعلقه على
 مشجب المعاطف.

حوّل.

قالت جيسيكا قبل أن تنهي المكالمة: "أقدر اهتمامك".
 "العمل؟" خلع فوبو حذائه، تجول في الغرفة كأن البيت بيته، وألقى بنفسه على
 الأريكة.

"لقد قلت لك إنني أعمل". جلبت جيسيكا كوبا من الخزانة وملأته من الصنبور.
 قال فوبو وهو يضحك بارتياح: "لقد أضعت هاتفني".
 "لقد أرسلت لي رسالة منذ ساعات قليلة".
 "أعرف ثم اختفى... ربما سرقه أحدهم. لا أعلم".
 قالت جيسيكا: "أين حصل ذلك؟". وهي تشرب المياه من كوبها.
 "في ذلك البار في شارع كامبي. كان مليئا بجميع أنواع البشر السطحيين. بحق
 الجحيم..."

"وقررت أن تأتي إلى هنا. أنت تعلم أنك لا يمكنك أن تقدم شكوى في منزلي،
 أليس كذلك؟".

ضحك فوبو: "كنت أفكر أنه ربما بإمكاننا تقديم موعدنا".

"على الأقل أنت في مظهر أفضل من المرة السابقة". قالت جيسيكا وهي

تجلس إلى طاولة الطعام الصغيرة.

"لقد كنت أشعر بالإثارة".

"يمكنك قول ذلك مجدداً".

"ما الأخبار؟"

"ماذا؟".

"هل يمكنني البقاء؟"

"لديّ عمل عليّ إنجازه".

"يمكنك إنجازه. بينما أشاهد التلفاز أو أي شيء. أشاهد نيتفلكس أولاً، ثم

نلهو". ابتسم فوبو ابتسامة عريضة. لا تزال قبعة مونتريال كانادايانز الحمراء والزرقاء

ذات الكرة الصوفية على رأسه. أكمام البلوزة المطويان يكشفان عن ذراعين

نحيلتين مليئتين بالشرايين مع القليل من الوشوم عديمة الذوق.

وضعت جيسيكا كوبها على الطاولة، ودلكت جبينها. كانت الساعات الأربع

وعشرون الماضية مُرهقة. وكل خلية في جسدها تعلم أن المزيد قادم. لم تنتهِ

محاولات ترهيبها بعد، وجسدها وعقلها يصرخان طلباً لاستراحة، هروب صغير

من الواقع. لهذا السبب فوبو هنا. خمسة عشر دقيقة، وتدعه يغادر ليست بحاجة

إليه لوقت أطول، لكن هنالك شيئاً يبدو خاطئاً. لقد رأت الكثير من الموت خلال

الأربع وعشرين ساعة الماضية حيث يبدو الحصول على المتعة أمراً خاطئاً.

"أسفة". نهضت جيسيكا، ووضعت يديها على وركيها: "عليك الذهاب. لديّ الكثير

من العمل".

انحنت زاويتا فم فوبو إلى الأسفل، كتعبير مبالغ فيه عن الحزن، مثل تعابير

مهرج تراجيدي، ثم صفق راحتي يديه، ووثب عن الأريكة بنشاط مفاجئ.

"حسناً، ما هذا بحق اللعنة. أظن أنني سأذهب للهو مع أحد آخر". توجه نحو

المدخل. هذا بالتحديد ما هو جذّاب جداً بفوبو. إنه واثق من نفسه، إنه يلح حتى

يبدو وقحا، لكنه لا يشتكي أبدا ويتقبل الرفض. لقد اعتاد أن يُرفض.. وكنتيجة لذلك، اعتاد الحصول على أشياء أخرى أيضا.

قال فوبو فجأة وهو يجلب حذاءه: "بالرغم من أنني لا أفهم الأمر".
"ما الذي لا تفهمه؟".

"لماذا تقاومين؟ ما الذي سيحدث إن بقيت؟".
شعرت جيسيكا أن صبرها يكاد ينفد، فوبو إنسان متدمر.
"اذهب".

"مم أنت خائفة؟".
"الآن! تبا!"

ابتسم، وأوما برأسه وانتعل حذاءه. "حسنا. لكن تذكري، أيتها المحققة، عندما أصل إلى ستوريفيل وأحتسي بعض الكؤوس، سيكون الأمر سهلا وسريعا... وامرأة تقاربك في المستوى ستدعوني إلى منزلها، ستشعرين بالأسف وقتها، وعندها ستقضين وقتك بمفردك تشاهدين برنامجا عن محقق ألماني أو شيئا ما..".

ردت جيسيكا مبتسمة: "سأجرب حظي".

أخيرا قال فوبو بجدية: "اتصلي بي إن غيرت رأيك". ثم صفع جبينه بعد أن فتح الباب. "لكنك لن تستطعي الاتصال لأنني فقدت هاتفي".

التقطت جيسيكا قلما عن الطاولة، ومزقت جزءا من جريدة قديمة، كتبت رقمها عليه، ثم سارت نحو الباب، قرصت أنف فوبو، وحشرت الورقة في ياقته.
"لا تستسلم أبدا".

اختفى فوبو في الدرج. اتكأت جيسيكا على الباب المغلق، وأحست بضربات قلبها. تنفست بعمق. عليها جمع أفكارها؛ لديها عمل لتنجزه.

لكن في هذه اللحظة، وللمرة الأولى منذ سنوات، بدت العودة إلى الشقة المجاورة للدرج أمرا خاطئا. بدت الشقة الفخمة غريبة بطريقة ما، كبيرة جدا عليها لتتحكم بها. ستذهب إليها لتجلب حاسوبها، وستمضي الليلة في الأستديو، في الموقع الذي يعتقد الجميع أنها فيه.

سلم كولومبانو قائمة الطعام للنادل، وعاد لينظر إلى الساعة على معصمه. انتظرت جيسيكا بصبر كي يرفع عينيه ويركز عليها. كل ما كانت تسعى خلفه كلمات جميلة أو غير ذلك، لم تكن العلاقة الحميمة ضرورية على الدوام. لقد بقيت وحيدة لسنوات عديدة، وتعلمت منذ وقت طويل أنه كلما قل ما تتوقعه من الآخرين، أصبحت الحياة أسهل. أبعده عن عينيه عن ساعته، ونظر إلى الثنائي الجالس إلى الطاولة المجاورة. إشارة صغيرة ما، تعبير دافئ، هل ما تصبو إليه كثير في مثل هذا اليوم الجميل؟ شعرت جيسيكا بضيق في صدرها.

منذ عدة ليالٍ، شعرت أنه يريد أن يكون وحيدا، شعرت أنه بحاجة إلى مساحة فارغة ليتنفس فيها، أراد أن يكون بعيدا عنها، لقد شعرت في الأسابيع الأخيرة أن حياتها مفعمة بالنشاط والحيوية، هذا ما أرادت أن تبقى عليه حياتها المشتركة، بالرغم من الإعجاب والمشاعر الأولية من المحتم أن تتلاشى تدريجا، مع تلاشي تفاصي كل واحد منهما عن أخطاء الآخر. شعرت جيسيكا أنه خلال أيام قليلة، نقلت من فئة إلى أخرى، تخيلت أنه لم ير أنها أنثى جميلة وحسب بل مُحدثة فذة ممتعة ومثقفة، ولكنه الآن ينظر إليها كأنهما مجبران على تمضية الوقت وهما يتبادلان النظرات في فراغ بدون أي منبهات أخرى. لكنها تعلم أيضا أن سلوكه الغريب لا يعني أنه لا يحبها، أمها كانت تتصرف بالطريقة نفسها، وقد أحبت جيسيكا من كل قلبها. أخيرا سألته: "هل كل شيء على ما يرام؟". ونظرت إلى ياقة فستاها الأحمر القاني.

لحسن الحظ، رماد السيجارة الذي وقع عليها من رجل هرم يمشي بجانبها لم يترك أي أثر.

لم ينظر كولومبانو إليها: "لماذا تسألين؟".

"لا أعلم". رمقته جيسيكا بنظرة وابتسامة غير واثقتين. عندما يسعى أحد الطرفين وراء الآخر سيؤدي ذلك إلى تدمير العلاقة، إنها تعلم ذلك عن خبرة: كلما أرادها الشبان في المدرسة الثانوية أكثر، قلت رغبتها بهم. عضت شفتها وتركت أصابعها تتقدم باتجاه يد كولومبانو.

قال: "عزيزتي جيسيكا، استمعي إليّ"، وحرك عينيه ببطء نحوها. "كما تعلمين، سنبداً الثلاثاء بالعمل على مؤلفات جديدة كلياً... هناك مقطوعة كمان ثنائية سيستغرقني التمرن عليها وقتاً طويلاً".

قالت جيسيكا: "بالطبع". في تلك الأثناء وضع النادل كأسين من النبيذ على الطاولة، نزع سداة الزجاج، وسكب عينة ليتذوقها كولومبانو، تفحص كولومبانو لون النبيذ، قرب أنفه الكبير من الكأس ذات العنق الطويل، حرك النبيذ ليطلق العبير، من الواضح أن النبيذ لم يترك لديه انطبعا جيداً: شرب كولومبانو العينة، وبدا عليه أن النبيذ سيء جداً.

بعد برهة أكمل: "أنت لا تعلمين كم أتوق لأقضي وقتاً مع أميرتي، لكن عليّ أن أتقن المقطوعة بشكل ممتاز"، رفع كأسه، التي مלאها النادل. الطريقة التي يقول بها كلمة أميرة غير مغرية على الإطلاق.

قالت جيسيكا: "أنا واثقة أن الأمر سيسير على مايرام"، أصدرت كأساهما صوتاً، طعم النبيذ مقبول بشكل مثالي.

"هل هناك أي شيء تريدان أن تسألني؟".

فاجأها سؤال كولومبانو في الوقت الذي كانت تحدد إلى عينيه.

"ماذا؟".

"أعلم أنك تريدان سؤالني شيئاً". هناك خبث خفيف في ابتسامة كولومبانو،

لعلها حركة تشفي.

"ليس لديّ أي شيء...".

"دعينا ننه هذه المسرحية. كوني صريحة، هل تستطيعين؟ شاهدتك تتسللين

حول الشقة، تبحثين بشكل محموم عن أصغر المعلومات". ضغط كولومبانو

إصبعه على وسط سطح الطاولة. بالرغم من صرامته، لم تكن الكلمات بحد ذاتها عدوانية. إنها تفتقر إلى الغطرسة. لقد جعلته كلماته يبدو غير مبال، وهذا أسوأ. "أسلّل؟"

"أجل. تتسلّلين وهذا أمر طبيعي. من الطبيعي أن تكوني فضولية. هذا مهم بالنسبة إليك. لأنك لا تزالين هنا، بالرغم من أنك خططت للمغادرة من أسابيع عدة".
"أنا جادة..."

ضرب الطاولة بقوة براحة يده، فاهتز كأس النبيذ. "أنا جادة، أنا جادة. توقفي عن كونك موافقة دائما، هل تستطيعين ذلك؟"

شعرت جيسيكا بالصدمة، لم تعرف كيف تستجيب. نظرت إلى وجهه الحازم، والجدّي، والهادئ في الوقت نفسه.
تابع: "العالم مكان سيئ".

تلمست جيسيكا كأس النبيذ. النظرة التي تآقت لها منذ برهة أصبحت مذلة ومهينة. للمرة الأولى، فارق العمر بينهما لم يكن في صالحها. شعرت بالغباء، ليس لأنها تعرف ببساطة أن كولومبانو محق على الأقل بشكل جزئي. لكن لأنها علقت آمالا عريضة على هذه الأمسية. اشترت لنفسها فستانا جديدا من مارينا رينالدي، وصدفت شعرها بالطريقة التي اعتقدت أن كولومبانو يحبها، وأغرقت عنقها بعطر جديد.

سألها كولومبانو: "هل أعجبك النبيذ؟". تغيير الموضوع بشكل مفاجئ جعل جيسيكا تشعر بالراحة وخيبة الأمل في آن معا.
"إنه جيد".

ضحك كولومبانو. "بالطبع".
شعرت جيسيكا بالألم في معدتها، مجددا عاود النظر بعيدا، إنه ينظر إلى الأشخاص الذين يأكلون على التراس.

أخيرا قال: "سنتمرن في شقتي غدا". وضع كأس النبيذ على الطاولة. "إذا أردت استئجار سيارة واستكشاف البر... سيكون يوم غد يوما جيدا".

سألت جيسيكا: "داء المقوسات؟". أسندت هاتفها بين كتفها وأذنها وهي تمزق منديلا من ورق المرحاض. الآخرون الذين على المكالمات الجماعية هم يوسف، راسموس، وخبيرة الفحص الطبي الطيبة، سيسي سارفيلينا.

استطاعت جيسيكا سماع مهمة سيارة يوسف وراسموس يكتب بحماسة في الخلف؛ تخيلت سارفيلينا تقف بلا مبالاة بسماعتها حرّة اليدين وحولها صناديق الجثث المصنوعة من الكروم.

سألت سارفيلينا بعفوية، معززة الصورة في رأس جيسيكا. "هل تتصورين أن دافع القاتل مرتبط بطريقة ما بموضوع أطروحة الضحية؟".

"لأكون صريحة، ليس لدينا أدنى فكرة. لكن إن كانت ليا بلومكفيست قد أمضت سنوات وهي تدرس الموضوع، فنحن لا نريد أن نستبعد الاحتمال". نهضت جيسيكا عن كرسي المرحاض، أخفضت الغطاء، وقررت أن تنتظر قبل أن تسكب ماء المرحاض حتى لا يسمع الآخرون.

"لم تكن ليا بلومكفيست طيبة، لذا لا أفهم حقا لم اختارت موضوع...". "أرجوك، سيسي، دعينا لا نهدر وقتنا". ندمت جيسيكا فورا على ما قالته. مرت ثوان معدودة. أرغمت جيسيكا نفسها على التأكد إن كانت خبيرة الفحص الطبي لا تزال على الخط. "مرحبا، هل أنتِ..".

"داء المقوسات هو عدوى طفيلية". قالت سارفيلينا، كأنها كانت تنتظر مقاطعة جيسيكا. "في الحقيقة، هو العدوى الأكثر انتشارا، يمكن أن ينقل، على سبيل المثال، من اللحوم غير المطهية وبراز القطط".

قال يوسف: "اللعنة. لا يبدو أننا سنحصل على أي شيء من هذا".

وقفت جيسيكا أمام المرأة، الهاتف على أذنها. ورأت انعكاس صورة حوض الاستحمام والستارة السوداء المعلقة هناك. بإمكانها تخيل نقشة الدش، وتخيل نفسها تجلس في قاع الحوض، شعرها المبلل ملتصق بوجهها، شهقت بسرعة مستنشقة الهواء.

"ما علاقته بالعدوانية؟"

أجابت سارفينينا: "لست متأكدة، لأكون صريحة. يجب أن ألقى نظرة على الأطروحة". وكل من على الخط علم أنها تمزح.

"هل يمكن أن يسبب العدوانية؟"

"حسب علمي، العدوى تشكل خطرا على الأجنة والذين يعانون من ضعف في المناعة، والإيدز، على سبيل المثال. أتذكر مرة كنت أقرأ في مكان ما أنه إن انتقل المرض خلال مرحلة الطفولة، يمكن أن يؤدي لنشاط دماغي شاذ. لكن الكثير من الأمراض الأخرى يمكن أن تؤدي إلى ذلك".

خطت جيسيكا عدة خطوات نحو حوض الاستحمام، أمسكت بالستارة وفتحتها.

قالت: "حسنا، شكرا، سيسي". بعد برهة، شاهدت جيسيكا اسم المرأة يختفي عن شاشة هاتفها.

"لا يبدو للبحث صلة بما نحن فيه". هذا أول شيء تفوه به راسموس خلال المكالمة الوجيهة.

تنهدت جيسيكا: "حتى الآن لا يمكننا الجزم إن كان ذا صلة أم لا. أين أنت، يوسف؟"

"في الطريق إلى كولوزاري. أريد الاطلاع على تقرير استجواب الجيران".

مدت نينا روسكا يدها إلى رأسها باتجاه عظم الكتف، وضغطت على مرفقها باليد الأخرى. ممددة بذلك عضلتها ثلاثية الرؤوس، فهي لا تزال تعاني من التيبس في ذراعيها وعنقها من مباراة أول من أمس. لقد مضى سنة منذ آخر مرة ضُغَطَ خدها باتجاه حصيرة القتال ومعصم خصمها كان على رقبته. بالإضافة إلى ألم وتيبس العضلات، بدت نينا محبطة من حقيقة أنها خسرت المباراة أمام شرطية أصغر منها بعشر سنوات من قسم شرطة فنلندا الشرقية. ولم تكن حتى قريبة من الفوز.

قال مايكل وهو يدير كرسيه: "المادة التي نبحث عنها ليست الثيوبنتال". كان يمسك بسماعة هاتف خط أرضي قديمة جدا، ثم أخفضها إلى الطاولة.

"ما الذي تعنيه؟".

"تحدثت مع المختبر. ما نبحث عنه هو صوديوم الثيوبنتال. إنه يتحول إلى ثيوبنتال في الجسم".

سألت نينا وهي تخفض يدها تدريجيا: "ماذا قالوا أيضا؟".

"كُتبت كل شيء، لحظة"، التقط مايكل مفكرته عن الطاولة. "ثلاث مواد... أولا، صوديوم ثيوبنتال يفقد الضحية وعيها. ذلك يحدث بأقل من دقيقة..."

"ألا يفعل الكلوروفورم الأمر نفسه؟".

"أجل، سبب استخدام كلتا المادتين على الضحية ليس مؤكدا مئة بالمئة، لكن المختبر كان لديه نظرية جيدة جدا".

"ما هي؟".

"الكلوروفورم يدخل أجسام الضحايا عبر المسالك التنفسية، لكن المواد الأخرى كانت تنقل مباشرة عبر الدم. اكتشفوا في المختبر أن الكلوروفورم قد استخدم كي يصبح التعامل مع الضحايا أسهل. من الصعب إقحام المغذي

المستخدم لإعطاء المواد الأخرى إن قاوم المريض".

قالت نينا بينما كان مايكل يسحب علبة العلكة من درج مكتبه: "ذلك منطقي".
بعدها حقن الضحايا بصوديوم ثيوبنتال، الذي ضمن بقاءهن فاقدات الوعي.
ثم البنكور... "نفخ مايكل مجموعة من فقاعات العلكة بلسانه، ثم اتكأ ليلقي نظرة
أقرب على ملاحظاته". "بروميد البنكوروبيوم. إنه مرخّ عضلي يسبب شللا
لأجهزة التنفس. وأخيرا أعطوا كلوريد البوتاسيوم، الذي يوقف القلب."
وهذه المواد الثلاثة الأخيرة حقنت في دماثهن بواسطة أنبوب مغدّ؟".
"أجل، ذلك واضح من خلال الكدمات على الجهة الخلفية للأذرع."
"ذلك يتطلب بعض المهارة. وربما نوعا محددًا من المعدات... منظم وأشياء
من هذا القبيل: تقطير وريدي وحامل؟".

"تماما. لم تحقن المواد بشكل عشوائي؛ لقد حددت النسبة بدقة، نسبة المواد
التي وجدت في دم ماريا كوبونين وليا بلومكفيست تكاد تكون متطابقة، وهذا يعني
أن الجرعات أعطيت وفقا لوزن الضحايا. لا بد أن النساء جرى وزنهن لكي يعطين
الجرعة الدقيقة التي تثبت أنها فعالة، لم يكن الفاعل يعلم كيف يدخل أنبوب
التغذية فقط، بل كان يعلم كيف يحتسب مقدار الجرعة لكي تكون مميتة".

"هل ستقولين ذلك، أم ينبغي عليّ ذلك؟".

"الجاني طيب؟".

"أو ممرض؟".

"أو طبيب بيطري؟".

للحظة حدق كل من نينا ومايكل أحدهما إلى الآخر بالطريقة التي يتبادلان بها
النظرات بعد أن ينهيا علاقة حميمة، وبدوا تائهين، من دون أن يقولوا أي كلمة.
لكنهما الآن يفكران فقط بالقضية التي يحققان بها.

أخيرا قالت نينا، وهي تضم ذراعيها إلى صدرها: "أو ربما لم يكن كذلك...
الطريقة لا تتطلب سنوات من التخصص. على الأغلب أنه يمكنك إيجاد تعليمات
عنها بوقت قصير من خلال البحث عبر الإنترنت".

"لماذا قد يحتفظ مستشفى بسموم قاتلة؟".

"أي من هذه المواد لا تعتبر قاتلة بمفردها. يستخدم الثيوبنتال كمخدر وأيضا البانكور... بروميد البانكورونيوم يستخدم في العمليات البسيطة جدا التي لا تستلزم التخدير، يمكننا إيجاد هذه المواد في أي مستشفى".

"ماذا عن كلوريد البوتاسيوم؟".

"E508".

"ماذا؟".

"إنه تابع. ستجده في البييتزا المجمدة في متجر البقالة المحلي، ليس له أي خطورة إلا إذا كانت جرعته كبيرة، أما الجرعات الصغيرة، فيمكن أن تكون مفيدة للصحة".

"هذا غير معقول. ربما لن يكون تعقبهم سهلا جدا بعد كل هذا".

"ربما، وربما لا. لكننا الآن نعلم أن الجناة لم يكونوا مضطرين للذهاب إلى السوق السوداء. في حالة المركبين الأولين، المستشفيات تبقي سجلات مفصلة عنهما وعن أي دواء متعلق بهما".

"ماذا عن مكان عمل ماريا كوبونين؟ نيروفارم؟ إنهم يصنعون الأدوية...".

مرر مايكل لدينا ورقة مطبوعة كانت على الطاولة: "يمكننا استبعاد ذلك، فالشركة تُنتج مضادات الذهان، التي تُباع للشركات التي تصنع حبوب الدواء. هذه هي قائمة زبائننا".

نظرت نينا لبرهة إلى الورقة، ثم تنهدت بخيبة أمل.

"ماذا عن تورستين كارلستيد وكاي ليتن؟". وقفت نينا وسارت باتجاه الجدار المغطى بفوضى منظمة من الصور، وورق الملاحظات الصغيرة، وشرائح من الأوراق. ضغطت الورق اللاصق الذي يثبت صور الرجلين في مكان أكثر ازدحاما مقابل اللوح. "أحدهما رائد في تكنولوجيا المعلومات والآخر متعهد بناء. هل لأحد منهما صلات مع المستشفيات أو مخازن الأدوية؟".

قال مايكل: "علينا البحث عن ذلك حالا".

مرة أخرى رفع سماعة الهاتف الأرضي إلى أذنه، لكن قبل أن يطلب الرقم، نظر إلى نينا. في تلك اللحظة بدا من الواضح على وجهها أنها لا تفكر بالقضية. تحب نينا عملها. عندما تكون منغمسة بقضية ما، غالبا ما يظهر على وجهها تلك النظرة كطالبة في المدرسة الثانوية تهدف إلى الحصول على أعلى مجموع في فحص دخول الكلية: عميقة التفكير ومُصمّمة. لكن الآن بدا أن الهم يسيطر على وجهها. سأل مايكل معيدا السماعَة إلى مكانها: "هل تفكرين بجيسيكا؟".

أومأت نينا رأسها بالإيجاب، ووقفت أمام الخريطة الذهنية، واضعة يديها على وركيها.

أكمل مايكل: "بإمكان جيسيكا الاعتناء بنفسها".

"ليس لديّ أدنى شك في ذلك، لكن... هناك أحد قريب جدا. ذلك رهيب".
"سنحل هذه القضية".

"هل فكرت يوما بأن فرصة التحقيق في جرائم القتل من وجهة نظر شاملة هي ترف الأنواع؟ إنها امتياز لحل المشاكل غير... التفاعلية. غير الديناميكية. مشاكل لا تتغير بينما تتبع الدلائل".

"لا، لكنني أفهم نقطتك. للأسف هذه القضية ليست من ذلك النوع".

"لا، ليست كذلك، إنها مثل بكتيريا خارقة تستمر بالعيش والتغيير مهما فعلت

المضادات الحيوية"

"هل نحن مضادات حيوية؟".

"يا للعجب، لقد فهمت الاستعارة"

"لقد فهمت الاستعارة؟". صوت مايكل غليظ ومتملّق بينما يقوّس أصابعه

ليشكل إشارة إيحائية.

قالت نينا: "إنك مهرج، يا ميكي. أجرِ الاتصال". ثم اختفت في الممر.

رفع الرجل ذو البذلة يديه ليحمي عينيه من ضوء السيارة. مدّ يوسف يده ليلتقط علبة السجائر الموضوعة في وسط وحدة التحكم، لكنه فكّر بإرني، وبالأزيز الخشن الذي يصدر عنه كما لو أنه أنبوب بلاستيكي ينظف بفرشاة معدنية. ربما دخن ما يكفي لليوم.

لم يوقف يوسف محرك السيارة عن العمل، بينما جال بعينيه في أرجاء منزل آل كوبونين، وفي فناءه الأمامي، وأراضي الجيران والأراضي المقابلة. بعض المنازل قديمة، لكن معظمها بُني حديثاً، غالبية المباني الفاخرة من الخرسانة والزجاج. لا أحد من المقيمين في هذا الشارع يبيع ملكيته بأقل من مليون يورو، ولا بد أن منزل آل كوبونين كلف بضعة ملايين.

نظر يوسف إلى سفح التلة الطويل. على القمة ترعب منزل العجوز المبني من الخشب، الذي ذكّر يوسف بمومينهاوس: ليس البرج الأزرق المؤلف في الرسوم المتحركة اليابانية تلك، بل النسخة الأشبه بالفيلا التي بنت توف جانسون نموذجها المصغر منه بنفسها. شاهدها يوسف في متحف تامبير للفن عندما كان في أكاديمية الشرطة؛ أمضى يوم سبت مشمس في المتحف مع أخته ذات التسعة أعوام. نزهة الآن بعمر السادسة عشرة ولم تعد مهتمة بالمومينهاوس، أو بأي شيء بذلك الخصوص. في الحقيقة، لم يملك يوسف أي فكرة عما تحبه نزهة وعما تتوقعه من الحياة، لقد مضى وقت منذ أن حظي بمحادثة لاثقة مع أخته. لم يعد يوسف يعرف نزهة كما كان يعرفها سابقاً، ولا يذكر المرة الأخيرة التي حصل فيها على جواب صادق عندما سألها عن أحوالها.

مرحباً. استيقظ يوسف من حلم اليقظة. اقترب عنصر يرتدي بذلة زرقاء من باب السيارة من دون أن يلاحظ يوسف. طرق العنصر على النافذة، ففتح يوسف الباب.

"أجل؟".

"هممم... أنت من قسم جرائم القتل، أليس كذلك؟".

"أجل". أظهر يوسف شارته من باب الاحتياط والتأكيد.

"حسنا، لقد أتيت لأتأكد...".

قال يوسف: "لست شابا أسمر متهورا يقود سيارته إلى مسرح جريمة".

وأوقف عمل المحرك.

تلعثم العنصر: "لا، أنا...". يحتج، لكنه يصمت عندما يرى ابتسامة

يوسف.

"إنني أصعب الأمور عليك فقط. أنا أفهم ذلك. كثيرون هم الغرباء الذين

يتجولون حول مسرح الجريمة". قرر يوسف أن يجلب علبة السجائر ويخرج من

السيارة. الرياح القوية جعلت درجة الهواء دون الصفر.

مدّ العنصر يده وقال: "كوفواهو".

"بييل". أشعل يوسف سيجارة، ثم رفع اليد التي تحمل السيجارة، وأشار إلى

الرجل باستفهام: "كوفواهو؟ ألم تكن أنت في عداد الدورية الأولى التي وصلت

إلى مسرح الجريمة بالأمس؟".

"أجل". سحب كوفواهو ففازيه بشكل مريح أكثر. "وقمت مع المحققة نيمي

بجولة في الجوار. هل هي قادمة؟".

"هل لديك تقرير عن استجواب الجيران؟".

"أجل. لكن لم يطبع بعد". مدّ كوفواهو يده إلى جيب الصدر في بذلته

وسحب حزمة أوراق مطوية. أكمل ببرود: "لقد زرت كل المنازل التي تقع على

شعاع مئة متر من مسرح الجريمة. ولكن منزلا واحدا لم نجد فيه أحدا، لقد جمعنا

بعض الإفادات يوم أمس. كما هي السيدة أدليركرواتز". ثم مسح أنفه وأشار إلى

المنزل الخشبي عبر الشارع. المومينهاوس، حيث نظر يوسف وجيسيكا من خلال

نافذة الطابق العلوي منذ أقل من أربع وعشرين ساعة.

ابتسم يوسف لا إراديا: "هل قلت أدليركرواتز؟".

أوما كويفواهو وأخذ السيارة التي قدمها له يوسف. بعد دقائق، اشتعلت اللفافتان الصغيرتان بين أصابع الرجلين.

سأله يوسف: "هل من أشياء مهمة؟". وهو يمج من سيجارته. الهواء المتجمد يكثف الدخان.

"لم يلحظ أحد أي شيء غير طبيعي، أو شخصا مشيرا للريبة، لم يتذكر أحد رؤية ماريا كوبونين طوال اليوم، أو حتى روجر كوبونين يخرج بسيارته يوم أمس صباحا. كل الشارع كان مستغرقا في النوم".

"لا يمكنك لومهم على ذلك". أخذ يوسف الأوراق التي سلمه إياها كويفواهو. عنصر الدورية أقصر من يوسف لكنه أضخم بمقدار الضعف. لحيته الخفيفة تبدو خشنة جدا لدرجة أنه يمكن أن تلتصق حشوات قطنية بها. يجب أن يكون كويفواهو أكبر من يوسف بحوالي عشر سنوات، وأكثر خبرة في الشرطة، حتى وإن كان يعمل في الدوريات. يعرف يوسف أن أكثرهم غير مهتمين بالترفع إلى مرتبة مدير أو حتى محقق، لكن لم يتوقف عن إثارة دهشته أن العديد من زملائه لا يمانعون بقيادة سيارة، وتسجيل المخالفات والغرامات المرورية. لكن لا يوجد أي أثر للمرارة أو الحسد في عيني كويفواهو.

"شكرا. سألقي نظرة على هذه". أشاح يوسف بنظره إلى منزل السيدة أدليركرواتز: "مهلا، في أي منزل لم تجد أحدا؟".

تمتم كويفواهو: "إنه مشار إليه هنا. الرقم 12". علقت السيارة بزواوية فمه، وأشار بعيدا، خارج حدود طوق الشرطة. "بيت كبير وقديم من الطوب. على البوابة اسم فون بونسدورف".

يبعد المنزل رقم 12 عدة مئات من الأمتار. قرر يوسف الذهاب سيراً على الأقدام. خلال الجلوس في سيارة دافئة، لم يكن هناك من حاجة إلى قبعة الصوف والقفازين، لكنه بعد أن خضع لرحمة الرياح الباردة لمدة خمس دقائق، بدأ يتوق إليهما جداً. كان تركهما بين لوحة السيارة والزجاج الأمامي غلطة.

من الجهة الأخرى، دنا رجل سمين يرتدي معطفاً قصيراً أسود وأحمر؛ يلف رباطاً حول معصميه مقيداً كلباً صغيراً معه. على يمين الطريق، هناك أرض كبيرة شديدة في الجزء الخلفي منها منزل من الطوب، وقف يوسف ورفع يده بينما عبر الرجل مع كلبه.

"معدرة". أخرج يوسف شارته مجدداً. "شرطة".

سحب الرجل الكلب باتجاهه، وعبس، وأخذ الشارة التي يحملها يوسف. أمعن النظر إليها لوقت طويل. لا، أيها الأخرق. إنها ليست مزورة.

قال الرجل: "في ظل ظروف طبيعية، ما كنت لأقف لأتحدث، لكنني سأجري استثناء هذه المرة". لم يفهم يوسف سبب الاستثناء الذي أشار إليه الرجل: حقيقة أن يوسف رجل شرطة، أو جريمتي القتل اللتين حدثتا في الشارع؟ "ذلك مريع. هل لديك أي أدلة؟".

أعاد يوسف شارته إلى جيبه: "هل تعيش قريباً من هنا؟"

قال الرجل مديراً وجهه إلى الجهة التي جاء منها: "قريباً جداً".

"هل تتابع الأخبار؟".

"كولوزاري مكان صغير. ولكن لم يعد هناك إحساس بالانتماء الاجتماعي كما كان من قبل، فالمحظوظ وحده هو من يلقي عليه أحد الجيران التحية هذه

الأيام، لكن الجميع كانوا يعرفون آل كوبونين. كان المنزل فارغا حتى ابتاعوه. متى كان ذلك؟ منذ سنتين؟ ثلاثة؟"
"كم بقي فارغا؟".

"منذ أن بُني. معماري محلي سيده، لكنه طلق زوجته فورا بعد الفراغ من تشييده. عُرض المنزل للبيع. أرض ساحلية كبيرة في موقع كهذا، منزل كبير... كان الثمن المطلوب كما أذكر، مرتفعا جدا. ربما أربعة".
"ملايين؟".

"لا، آلاف" ضحك الرجل بسخرية، وسحب الكلب صوبه أكثر. "بالطبع ملايين. ثم خفضوا السعر بما يقارب نصف مليون. ثم انخفض أكثر لاحقا. لا أظن أن آل كوبونين دفعوا أكثر من ثلاثة، هذا مجرد تخمين ليس لدي معلومات...".

"أنا أرى". فكر يوسف إن كان عليه كتابة ملاحظة بشأن هذا التفصيل. بدا الرجل ذو المعطف شخصا ذميما، ومن النوع الذي يظن أنه يعرف كل شيء، لكن في الواقع - ومن سوء حظ يوسف - لا يبدو أنه يعلم أي شيء ذي فائدة.

"هذا رقم الشرطة. اتصل به إن تذكرت أي شيء. أي شيء على الإطلاق".
سلم يوسف الرجل بطاقة عمله. إنها ما قبل الأخيرة في مجموعته.

نظر الرجل إلى البطاقة، وانفجر ضاحكا. يمكن ليوسف أن يخمن السبب. قبل أن تعود الجدية إلى وجهه، أخرج كيس البراز الخاص بكلبه من جيبه، وتمنى ليوسف أمسية هائلة بشكل مهذب ومفاجئ.

اللعنة، أولئك الناس مجانيين. يجب إبعادهم عن كامل الجزيرة.

فون بونسدورف

رَنَ يوسف الجرس الكهربائي عدة مرات من دون أن يحظى بأي جواب. مدَّ يده إلى المقبض المزخرف ليتأكد أن البوابة المعدنية، بطلائها الأخضر الداكن المتشقق، لم تكن مقفلة، خلفها كان هناك حاجز آلي وإلى جانبه كاميرا أمنية قديمة الطراز. على نحو مفاجئ بدأ الفناء الأمامي شاسعا، وقد زُرِعَ صف كثيف من الشجيرات على طول السياج. مشى يوسف على الطريق المرصوف، وراقب المنزل الحجري يعلو أمامه، بناوذه ذات الأطر البيضاء، وسقف جملوني مائل بشكل حاد تعلوه أخشاب سوداء، ومدخنة طويلة، عدة درجات تقود إلى الباب الأمامي. لا يشابه المنزل أماكن السكن في وسط هلسنكي؛ إنه يشبه قصرا من قصور الطبقة الأرستقراطية في مكان ما في الريف الإنكليزي. تحف جانبي الطريق أشجار تفاح مشدبة، ويظهر خلفها مرأب سيارات كبير ليتسع لسيارتين على الأقل. لا يوجد أثر للعجلات، لكن طبقة الثلج الخفيفة تحت قدمي يوسف تشير إلى أنها نظفت بعد عاصفة أول من أمس. لا بد أن أحدهم كان في المنزل مؤخرا. ربما هناك أحد في المنزل في هذه اللحظة؛ على الأقل الضوء الساطع في الدور العلوي يشير إلى ذلك.

صعد يوسف الدرجات القليلة، ووقف أمام الباب. النصف العلوي من الباب قوسي الشكل، والإطار بأكمله مزخرف بأحجار زينة، وهناك رأس أسد حديدي بحجم قبضة اليد يحملق إلى وسط الباب، علقت مقرعة الباب في فمه، إنها للزينة، فلا حاجة لها لأن الزوار سيرنون الجرس الكهربائي عن الباب الخارجي. أمسك يوسف بالمقرعة المثبتة بأسنان الأسد وطرقها على الباب ثلاث مرات، انتظر، ولكن ما من جواب.

في تلك الأثناء، شعر باهتزاز في جيبه. إنها رسالة نصية من جيسيكا. اتصل بي عندما تستطيع. أقفل يوسف الهاتف ووضعه على ذقنه. آل فون بونسدورف ليسوا في المنزل، يمكنه العودة غدا أو إرسال أحد غيره أو العثور على رقم الهاتف والتحدث إلى مالك المنزل عبر الهاتف. على الأرجح أنهم لم يروا شيئا، فالمنزل بعيد نسبيا عن منزل آل كوبونين، والشجيرات الكثيفة تحول دون رؤية الشارع. وضع يوسف يديه في جيبه ونزل الدرج. إنه على وشك الاتصال برقم جيسيكا لكن عينيه رأتا شيئا لم ينتبه له قبلا.

أعاد هاتفه إلى جيبه، وأرخى أصابعه. ما هذا بحق الجحيم. في الفناء، هناك مجموعة من الأحجار الطويلة، كأنها ستونينج مصغر. وهناك تمثال بقرنين قليل الارتفاع ينتصب في الوسط. خطأ يوسف عبر الطريق الذي جرف عنه الثلج إلى الفناء، المغطى بقشرة سميكة من الثلج، ذاب سطحها قبل أن يتجمد من جديد؛ صوت السحق تحت قدمي يوسف جعله يشعر مع كل خطوة أنه يغرق في كريم كراميل عملاق.

بعد دقيقة من المشي في الثلج، ألقى أمام الأحجار، ونظر إلى التمثال الذي يقارب ارتفاعه المتر، وتبين له أنه نافورة وأن قرني التمثال المعقوفين موصولان برأس ماعز؛ القسم الأسفل هو جسد بشري عارٍ، ترتفع ذراعه وتشكل إصبعها السبابة والوسطى زاوية قائمة، وتدلى من العنق نجمة خماسية، واستبدل بقدمي التمثال حافرا ماعز.

أمسك يوسف التمثال من قرنيه، هزّه، فتبين له أن محكم التثبيت، نظر إلى عيني التمثال المتجهمتين، والنجمة المتدلّية من عنقه، ف شعر بالقشعريرة تسري في جسده. نظر حوله. لقد كان التمثال منتصبا في وسط الفناء تماما.

فكّر بجيسيكا، وبكل الأشياء التي صادفتها خلال فترة التحقيق القصيرة، لو أن إرني لم يطلب منها البقاء في المنزل كانت الآن هنا مكانه، إنه يعلم أنه ما من شيء اسمه صدفة، ولا سيما في جرائم القتل، ولا سيما في متاهة جهنمية كهذه.

لقد أنير الفناء حيث ألقى من خلال انعكاس أضواء الشارع على الثلج، فشعر أنه مكشوف. نظر إلى النافذة في الأعلى، فرأى مصباحاً مضاءً. بعدها عاود النظر إلى التمثال، أو بالأحرى إلى الشيطان، المصنوع من الحجر، والذي كانت عيناها تحدقان إلى المنزل بشكل مباشر.

شعر يوسف بالدقائق وكأنها دهر، سمع يوسف صوت مزلاج البوابة، ورأى عنصرين بزي موحد يدخلان الملكية، بدوا متنبهين. تعرف إلى العنصر في المقدمة، إنه كويفواهو. تقدم كويفواهو وقد بدا منحنيا بعض الشيء إلى الأمام، كلاعب هجوم مشاكس ينتظر بدء المباراة.

سأل كويفواهو عندما وصل إلى يوسف: "ما الوضع؟". بقي العنصر الثاني على الطريق وهو الآن يخطو بحذر باتجاه المرأب.

"لست متأكدا. لكن هذا التمثال أشعرنى بالسوء". وقف يوسف، وشعر بالألم في ساقه لأنه ألقى وقتا طويلا على قدميه، كما أن الرياح الباردة خدّرت أذنيه. نظر كويفواهو إلى التمثال الحجري: "أرى السبب".

قال يوسف: "هل اكتفيت في السابق برن الجرس الكهربائي عند البوابة ولم تدخل الملكية" عندما أوما كويفواهو، أكمل: "هل انتهت إن كان المصباح مضاء في الطابق العلوي؟".

"لا. لا يمكن رؤية المنزل من الشارع. إلى جانب أن الوقت كان نهارا..."

"حسنا". مسح يوسف أنفه بقفا راحة يده، وطلب من كويفواهو أن يتبعه. مشيا بتناقل عبر الثلج إلى المنطقة المجروفة أمام المنزل.

همس كويفواهو: "هناك من جرف الثلج مؤخرا".

"هذا ما كنت أفكر به".

نظر يوسف حوله، ولاحظ أن هناك كاميرا أمن أخرى فوق الباب مشابهة لتلك التي رآها عند البوابة. إن كان هناك أحد في المنزل، فهناك سبب لعدم رغبتهم بدخول الشرطة إلى المنزل، لا يزال الشرطي الشاب في المرأب، يستطلع المكان.

سأل كويفواهو: "ماذا يجب أن نفعل؟".

"لا أعلم. هذا التمثال لا يخولنا اقتحام المنزل".

"كلا، لا يخولنا".

"أخبر مرافقك أن يبقى هنا، ولنذهب إلى الخلف".

شعر يوسف بانقباض جراء الصوت الذي أحدثته خطواته على الثلج الجاف، احتوت واجهة المنزل على العديد من النوافذ، لكن ستائرهما كانت مُسدلة. أخيراً استدار ناحية الفناء الخلفي.

همس كويفواهو: "انظر، يا للهول!".

تمثال ذو قرنين آخر ينتصب وسط الفناء.

فكر يوسف بالاحتمالات البديلة. لقد انتهكوا ملكية خاصة من دون سبب ليجمعوا المعلومات عن الجريمة. ولكن التماثيل ذات القرون دلالة واضحة على أن المقيمين متورطون في القضية بطريقة أو بأخرى. ما من شك في ذلك بالنظر إلى المعطيات المتوفرة.

نظر يوسف إلى البيت والأبواب الزجاجية الكبيرة التي تقود من الفناء الخلفي إلى الداخل. تقدم بحذر شاهراً مسدسه. لم تكن ستائر الأبواب مسدلة، لكنه وجد صعوبة في رؤية ماذا يوجد في الداخل، كانت القاعة الكبيرة معتمة، ولكن الأبواب الزجاجية بدت غريبة بعض الشيء، وبدا عليها نمط قريب من شبكة العنكبوت، وكأن أحدهم حاول تحطيم زجاجها، قرّب رأسه من الزجاج، ووضع يديه بالقرب من عينيه ليرى ماذا يوجد في الداخل، بدت له الأرض رخامية بيضاء، وعليها أشياء سوداء توحى للوهلة الأولى أنها مسطحة، ولكن عند التمعن بها تبدو ثلاثية الأبعاد، مختلفة الأشكال والأحجام.

صخور.

صرخ يوسف: "كويفواهو!". وسمع صوت الحذاء العسكري الخاص بالرجل يشير إلى تحركه السريع على الثلج. تذكر يوسف القائمة التي وضعها راسموس لجرائم القتل في سلسلة كتب روجر كوبونين. يمكنه تذكرها في نومه.

الجزء الأول

امرأة، غرقت

امرأة، سُممت

رجل، رُجم حتى الموت

قال يوسف: "مصباح كاشف"، ومدّ يد مثل طيب أسنان يوجّه مساعده.

سحب كويفواهو مصباحاً أسود من حزام عدّته.

تسلل الشعاع القوي إلى الصالة الأرضية المنثورة بالصخور، هناك أريكة أمام المدفأة. وكُرسي أخضر حيث جمعت معظم الصخور. لمح يوسف الآن شيئاً في شعاع الضوء يمكن أن يكون تاج رأس أحدهم بسبب لمعانه. إنه يعلو الجانب الآخر لظهر الكرسي.

"اطلب دورية أخرى، وأدوات لاقترام المنزل". همس يوسف وهو يخفض يديه ويمسك بمقبض الباب الحديدي. إنه مقفل، وألواح الزجاج ضد الكسر، وضد الرصاص. توصل يوسف إلى هذه النتيجة بسبب النمط الذي خلفته ضربات الصخور على الوجه الداخلي للزجاج.

أمسك كويفواهو بجهاز اللاسلكي.

ضم إرني ميكسون ذراعه بقوة أكثر إلى أضلاعه، لكن كومة الأوراق غير المدبسة بدأت بالانزلاق على الأرض. إنها تسقط على التوالي بشكل لا يمكن السيطرة عليه.

شتم إرني بصوت عالٍ: "كورات! اللعنة!"، لو لم يكن الوضع فوضويا جدا، كان لبيتسم بسبب ما تفوه به من كلام ثنائي اللغة. ركع وجمع الأوراق. كلما انحنى أكثر شعر بالضغط على رتيه يزداد، وتدفق الدم إلى رأسه بشكل أسرع مما كان عليه سابقا. كل الأحاسيس تختفي من أطراف أصابعه.

قال مايكل: "مهلا، دعني أساعدك". بينما كان يسرع الخطوات في الممر. لقد خرج للتو من دورة مياه الرجال.

قال إرني: "لا!". دافعا مايكل جانبا. "توقف، ميكي".

"حسنا، حسنا". تراجع مايكل واضعا يديه على وركيه.

جمع إرني أوراقه في كدسة عديمة التنظيم، وضمها تحت ذراعه.

سأله مايكل بعد أن أعطاه وقتا ليجمع أنفاسه: "هل من خطب ما؟".

"أجل. استدعي نينا وراس إلى قاعة الاجتماعات فوراً".

"هل أنت محموم؟".

"لماذا تسأل؟".

أشار مايكل إلى ميزان الحرارة الموجود على الأرض بالقرب من المكان الذي ركع فيه إرني منذ لحظات.

شعر إرني بالقشعريرة تسري في جسده. "لا، اللعنة، ليس لديّ. نسيتته في جيبي

فقط..."

قال مايكل: "حسنا". وغادر.

في الوقت الذي كان فيه راسموس يغلق الباب قال إرني: "اتصل يوسف منذ قليل، وجدنا الجثة الخامسة. رجل عجوز في كولوزاري، مقيد إلى كرسي ومرجوم حتى الموت. على بعد مئات الأمتار من منزل آل كويونين".

قطب مايكل حاجبيه وسأل بتعاطف: "من هو؟".

"ألبيرت فون بونسدورف".

"لا يبدو اسمه مألوفاً، يبدو أرسطوقراطياً أو ما شابه".

تنهد إرني: "تماماً". ثم ركز على تنظم كدسة أوراقه.

كان مايكل، نينا، وراسموس في غاية التوتر وهذا ما حال دون جلوسهم.

سألت نينا: "ما الذي نعرفه عن الضحية أيضاً؟".

"أرمل سبعيني. طبيب محترم. متقاعد، متخصص بالطب النفسي. الرابط

الذي يجمعه بالقضية، تمثالان ذوا قرنين في الفناء الأمامي والخلفي لمنزله".

وجد إرني بعض الصور المطبوعة للتمثال الحجري. أعطى الصور للثلاثي

ليتفحصوها.

قال راسموس بهدوء: "بافوميت".

"ماذا؟".

"كما شككت. قالت جيسيكا إن الشكل الذي شاهدته في الثلج رفع يدا إلى

السماء. لكن يده كانت مقبوضة؛ إنه لا يشبه اليد في هذا التمثال. لم تتمكن جيسيكا

من رؤيته، لأن الشكل كان بعيداً جداً...".

سأل مايكل بصورة فظة: "انتظر انتظر انتظر... تمهل قليلاً، راس. سيبيمد؟".

"بافوميت. كائن إلهي قديم. رفض الإيمان، ليس له أي علاقة بعبادة الشيطان.

ولكنه ملحد بالطبع، يمكننا الافتراض أن فون بونسدورف قد عوقب بسبب

عبادته".

عم الصمت الغرفة.

قال إرني: "هناك تمثالان واحد في الفناء الأمامي والآخر في الخلفي. وضعهما

بطريقة ليبدو أنهما ينظران إلى المنزل".

أصدر أحد الجالسين على الطاولة تدمرا تعبيراً عن قلقه.

قالت نينا: "أحضرهما الجنة...".

"فكر يوسف بذلك، مرتكزا على الآثار، لا بد أن التمثالين كانا هناك منذ عدة

أيام على الأقل، ربما وُضعا قبل العاصفة التي هبت منذ يومين".

"كم مضى على مقتله؟".

"سنعلم ذلك عما قريب. لكن حالة الجثة المتيسة جدا تدل على أن الضحية

قُتل خلال التسع إلى الأربع وعشرين ساعة الماضية".

"إذا كان يمكن للتماثيل أن تنقل بسهولة...".

تحدث راسموس بصوت حاد أجش، مقاطعا مايكل، فنظر الجميع إليه،

ولاحظوا أن قشرة شعر رأسه قد غطت كتفي سترته.

قال وهو يفرك صدغه: "اللعنة، ألم يسمعي أي منكم؟".

نظر إرني إلى نينا، التي ابتسمت لا إراديا. للمرة الأولى في حياته المهنية

كمحقق، يظهر هذا الرجل أن له رأيا خاصا به. نبضا فعليا.

قال إرني ليرضيه: "تفضل، راس"، نظر الجميع إلى راسموس. "نورنا من

فضلك".

"إنك تحفز فكرة خاطئة بتفكيرك. الجنة لم يحضروا تماثلي بافوميت إلى فناء

فون بونسدورف. بل بالعكس هو الصحيح هذان التمثالان هما من جلبا الجنة إلى

منزل بونسدورف وتسببا بقتله".

"اجلسوا، جميعكم". أو ما إرني لراسموس: "أكمل".

رأس الماعز يرمز للخصوبة بشكل تقليدي. حياة جديدة. بافوميت، بجسده

البشري ورأس الماعز، هو إله خصوبة من نوع ما. هل تفهم ما أقصده؟".

"هل تقصد أن فون بونسدورف قُتل لأنه عبد إلهها وثنيا؟".

"ذلك قد يفسر غضب معارضي الإلحاد. على سبيل المثال، في القرن الرابع

عشر في فرنسا، سُجن فرسان المعبد لأن ملكهم اعتقد أنهم يعبدون بافوميت. لقد

عذبوا، والجميع اعترفوا تحت الضغط".

"إذا فرسان المعبد عبدوا الشيطان؟".

"كلا. كما قلت، بافوميت ليس له علاقة بعبادة الشيطان. هذه الفكرة شاعت في ستينيات القرن الماضي بسبب النجمة الخماسية المرتبطة ببافوميت، وفكرة رأس الماعز دمجت مع تلك الفكرة. من هنا جاء الرمز الشيطاني. وثمة ملاحظة: الشيطانية هي شيء مختلف عن عبادة الشيطان".

ضحك مايكل: "كيف ذلك؟". لم يستغرقه الأمر وقتا طويلا حتى لاحظ أنه الوحيد الذي يضحك.

"كما يوضح اسمها، عبادة الشيطان تلتزم بإمانا بقوى شريرة، الشيطان. من ناحية أخرى الشيطانية ترمز إلى الجانب الحيواني من الإنسان، الرغبة الطبيعية للجنس والمتع التي سعت الكنيسة على مدى قرون عديدة لمحاربتها. كأن الشيطانيين يرفضون الفكرة المسيحية للمبادئ الأخلاقية بدلا من الإيمان بوجود الشيطان".

سمعت ضحكات رجال شرطة يمرون في الرواق، عندما هدأت الضجة، سألت مايكل: "حسنا. هل تقصد أن طبيبا نفسيا نصف سويدي ونصف فنلندي كانت يتبع مذهبا شيطانيا وهذا ما أدى إلى مقتله؟".

دفن راس وجهه في يديه وتنهد، كأنه يشير إلى أن مستوى السؤال قد تدنى كثيرا. "ليس شيطانيا، لكنه نصير لبافوميت. لسبب أو لآخر، اعتبر الجناة أن ماريا كوبونين وليا بلومكفيسست ساحرتين، واعتبروا أنفسهم دعاة مناهضين للإلحاد ويمتلكون ما يكفي من السلطة للتصدي للكفرة. لذلك عانى فون بونسدورف من المصير ذاته".

قالت نينا: "هناك شيء غير منطقي في هذه الفكرة". وهي تنظر إلى أظفار أصابعها المسنفرة بعناية.

"إننا نفترض أن الجناة يؤمنون بمسائل السحر والتنجيم، والآن راس يتحدث عنهم على أنهم معادون للإلحاد، على الأقل في العصور الوسطى، أرادوا قتل أولئك المتهمين بمسائل السحر والشعوذة. إذا أي منهما؟".

قال إرني: "نقطة جيدة، يا نينا"، وهو يغطي فمه أثناء تثاؤبه.

سأل مايكل، عندما بدا أن أحدا لا يمتلك جوابا على سؤال نينا: "كيف قتل فون بونسدورف في الكتاب؟".

أجاب راسموس: "الضحية رجمت حتى الموت. مثل فون بونسدورف".
سألت نينا: "من وجهة نظر الجناة استحق فون بونسدورف الموت نظرا لمذهبه الشيطاني المفترض، فما علاقة ماريا كوبونين وليا بلومكفيست في ذلك؟ هل كانتا تعتقدان مذهبا شيطانيا هما الأخريان؟ أم صُنفتا ساحرتين ببساطة بسبب مظهرهما؟".

بدا الغضب على وجه راسموس؛ شعر أن شره قد ذهب سدى.
"سؤال مثير. هذا هو الافتراض الذي كنا نعمل عليه الآن. الشيء الوحيد المشترك لدى المرأتين هو مظهرهما".
"والحظ السيئ".

"ماذا لو استند الجناة إلى فلسفة ما، شيء مشترك بين ماريا وليا، شيء يساعدنا على أن نتقدم في تحقيقنا هذا".

"لقد تحدثنا إلى أقرب أصدقاء آل كوبونين، ولم نجد شيئا من هذا".
"قطقت نينا براجمها: "ربما لم نطرح عليهم الأسئلة الصحيحة".
"هذا وارد". تنهد إرني بعمق لدرجة أن رثيته فرغت تماما "هل يرى أي منكم ما أراه؟"

"وماذا ترى؟".

نظر إرني بشكل مباشر بلا مبالاة. "كانت ليا بلومكفيست عالمة نفسية تدرس العدوانية، وألبرت فون بونسدورف كان طبيبا نفسيا متقاعدًا، وماريا كوبونين عملت مديرة لتطوير المنتجات في معمل للأدوية يصنع مضادات الذهان".

حكّ مايكل رقبته: "بما أنك وضعت الأمور بتلك الطريقة..."
"الرابط واضح، لكنه ليس محددًا جدًا. في هذه الحالة، كل ما يمكننا الحديث عنه هو نمط يربط الضحايا ببعضهم من خلال عملهم المتعلق بالروح البشرية".

"تماما. أمر محير. في الواقع، أعمالهم كانت مختلفة تماما. أماكن عمل الضحايا لم يكن لها علاقة ببعضها البعض. جامعة هلسنكي، شركة نيروفارم، وقيادة فون بونسدورف، التي أدارها بين عامي 1968 و2009".

"حسنا ليس هناك شيء مشترك؟ زبائن؟ أعداء؟ أي شيء...؟".

"زبائن نيروفارم هي شركات دواء كبيرة. حيث إن..."

أطلق إرني صرخة تعب: "اللعنة". ونظر بشكل حاد إلى نينا.

"في قضية فون بونسدورف، دعونا ننظر إليها على أنها قضية قتل منفردة. نينا ما هو الشيء الأول الذي يتبادر إلى ذهنك؟".

"الجاني مريض سابق".

"تماما. اجلبي لنا قائمة بجميع مرضاه. وابتكروا فكرة عن الشيء الذي يمكن

أن يربط هؤلاء الناس. على سبيل المثال، هل كان ألبيرت فون بونسدورف متخصصا بنوع معين من الأمراض النفسية؟".

"سأقوم بذلك".

"أخيرا وليس آخرا، بما أننا تحدثنا الآن إلى كل من يعيش في شارع

آل كوبونين، أحتاج إلى ملخص يجمع كل المعلومات. قائمة بالمقيمين وأي رابط ممكن لآل كوبونين".

قال مايكل: "يمكنني القيام بذلك".

"أقدر مبادرتك. الآن أنا بحاجة للتحدث إلى جيسिका. ثم إعلان خبر صحفي

عن الجريمة الأخيرة". أخرج إرني علبة السجائر. "حسنا، عودوا إلى العمل".

استيقظت جيسिका على ضجة في الخارج. الستائر المنسدلة على الشرفة الفرنسية تتحرك بكسل. كانت أولى ليالي شهر آب حارة بشكل لا يطاق. اتضح أن الجلبة القادمة من الشارع تسببت بها مجموعة من السياح البريطانيين الثملين يغنون بنشاز. تردد صدى أصواتهم للحظة، قبل أن يتلاشى. نهضت جيسिका وجلست، ولاحظت أن الجهة الأخرى من السرير خالية، لقد طلب منها كولومبانو ألا تنتظره، لأن الحفلة الأخيرة لفصل الصيف عادة ما تتبع بعشاء يجمع العازفين على إحدى الجزر شمال البلدة القديمة.

مضت ثلاثة أسابيع ونصف الأسبوع منذ أن التقت بكولومبانو في المقبرة في سان ميشيل. بحسب مخططها كان يجدر بها العودة إلى هلسنكي بالأمس، ولكنها لا تزال في البندقية، ولم تزر المدن والشواطئ التي خططت لزيارتها. ولكنها بدل الجولات السياحية تعرفت إلى رجل موهوب وواثق بنفسه، وكأنه آتٍ من عالم آخر. لقد أحببت طريقته المباشرة في الاقتراب منها، ولمساته وقبلاته، فهو يبدو واثقا من لمساته ولا يشعر بخجل المراهقين، شعرت معه أنها آمنة ومرغوبة.

لكنها في بعض الأحيان شعرت بغموضه، لقد كان متقلبا، شأنه شأن سماء ممطرة مرعدة تتحول فجأة إلى صافية مشمسة. في مثل هذه الأوقات، يصبح تصرفه غير متوقع ومتهور. لمساته الناعمة تصبح فجأة قبضة قاسية على العنق، أظفار تمسك بشعر رقبتها الأزغب، أصابع تلف حول ذقنها لدرجة تجعلها تشعر أن فكها سيخرج من مكانه. إنه رجل وسيم، مفتول العضلات؛ يمكنه الحصول على أي أنثى، لكنه يريد لها، لذلك، عندما يحدث هذا، تفعل ما يريد. إنه أقل شيء يمكنها القيام به: القبول برغبته الفطرية الخالية من القيود كما هي، كما عناه التطور أن يكون، تعلمت أن تعرف ما يريد من خلال نظرة عينيه البنيتين، إنهما تكشفان ما هو

آتٍ، لكن قبل لحظة واحدة من تحول السكون إلى عاصفة كبيرة.

ما سعت إليه جيسिका هو أربعة وعشرون يوما من المتعة والإثارة، ولكن الأمور انقلبت إلى شيء آخر؛ حب وعاطفة، وما أثار في البدء غريزتها، يثير الآن شيئا آخر تماما، إنها تسعى الآن لإرضاء كولومبانو، تريد أن تتيح له التعبير عن الغضب والإرهاق اللذين يرافقان حياة الفنانين، إنها تعرف أن أولئك الذي يسعون وراء الكمال ينتهي بهم المطاف وحيدين، لأنهم يسعون وراء قمر السماء. تريد جيسिका أن تراه في ثورة غضبه، وترويض طبيعته غير المتوقعة. وعلاوة على ذلك، تريد أن تفهمه.

أمسكت جيسिका بظهرها وهي تنهض من السرير. الشيء الوحيد الذي تشتاق إليه في منزلها هو فراش سريرها السميك الذي لا تفوح منه رائحة العرق والشعر المدهن، فهو بخلاف سرير كولومبانو الحديدي وفراشه القاسي، والذي يتسبب بألم في عمودها الفقري.

مشت ناحية باب الشرفة، فتحت الستارة قليلا لترى القناة الضيقة ونوافذ البناء الوردي المقابل، القريب جدا لدرجة أن أحدهم يمكن أن يرمي طائرة ورقية من نافذة إلى أخرى. لفت أصابعها على السياج الحديدي، شعرت بالطلاء المتقشر يخزها، ثم توجهت إلى الطاولة، حيث الصور التي تخبر قصة حياة كولومبانو. اختفت واحدة من الصور منذ أسابيع مضت: الصورة ذات الوجهين المبتسمين، وجه رجل ووجه امرأة، ينظران إلى الكاميرا. كولومبانو وتلك المرأة السمراء التي لم تعد جيسिका تستطيع تذكر ملامحها. نظرت إليها بتمعن مرة واحدة، في الليلة التي نظرت فيها إلى الصورة اختفت. عندما لاحظت ذلك، ظنت أن ذلك حصل مراعاة لمشاعرها، لم يرد كولومبانو أن يعرض ماضيه أمام حبه الجديد، فعندما تتعمق علاقتهما، سيخبرها عن تلك المرأة، من كانت، وكيف ماتت.

من وقت إلى آخر تشعر جيسिका بشوق عميق إلى منزلها، في النهاية، أكثر من مجرد لهفة حنين خفيفة، التي لا تبلغ أوجها في أي مكان أو وقت محددين. بعد أن توفي والدها بالتبني، لم يعد لديها في هلسنكي أحد تعتمد عليه، سوى الابتسامات

المتكلفة للمحامين، والمصرفيين كانت تمتلك ثروة كبيرة جدا لدرجة أن بإمكانها شراء مبنى كولومبانو بأكمله والمباني التاريخية المحيطة.

وتينا، بالطبع، خالتها، التي تحاول دخول حياتها بعد كل هذه السنوات. لا تريد جيسيكا رؤيتها، كانت أمها تكرهها. ربما كانت منافسة بين الأختين، ربما كانت تينا ببساطة تافهة جدا، ولم ترد أن تتقبل مواهب أختها، وفرصتها ببدء مسيرة مهنية في هوليوود.

فكرت جيسيكا بلوس أنجلوس. ذكرياتها عن المدينة مختلطة بقوة بما رآته بالأفلام وعلى التلفاز. عندما حصل الحادث، كانت تبلغ من العمر ست سنوات. بالرغم من ذلك، فهي تتذكر النخيل يعلو في السماء، والرياح الصحراوية الدافئة، وفصول الشتاء المعتدلة الفواحة برائحة زيوت الشمس. فكرت في غسق هوليوود الغربية، واختفاء الشمس الحمراء وراء المحيط الهادئ في سانتا مونيكا. تذكرت أمها وأباها يتشاجران، والوريد في صدغ أبيها يلتوي كدودة سميكة، أصابع أمها البيضاء تمسك المقود. كيف يبدو كل شيء وكأنه انتهى، حتى قبل وقوع الحادث. ضغطها على يد أخيها؛ لقد سئما من الصراخ والجدل. تتذكر كيف نظرت في تلك اللحظة إلى أخيها الذي يصغرها بعامين، ورأت خوفه من الموت، كما لو أنه شعر في صميمه بأن السيارة ستتحرف إلى المسار الآخر في أي لحظة.

تدحرجت دمعة على خدها، لقد حفزت الوحدة وعدم الانتماء جيسيكا على القيام بجولة في أوروبا بمفردها. ولم تدع أحدا يعرف أين هي. في التاسعة عشرة، لم تعد جيسيكا مسؤولة أمام أي شخص. إنها ليست ملكا لأحد، ولا حتى ملكا لكولومبانو. بالرغم من أنه وفقا لسلكه خلال الأيام القليلة الماضية، قد يعتقد المرء ذلك.

فُتح الباب، قفزت جيسيكا مبتعدة عن المكتب، وهو المكان الوحيد الذي لا يريد كولومبانو أن يراها فيه.

قال: "زيسيك"، ثم أخذ يتحدث بالإيطالية. لم يكن بمفرده وبدا ثملا.

قالت جيسيكا: "أنا نائمة". ثم قفزت إلى السرير واختبأت بسرعة بين

الملاءات.

قال كولومبانو: "يكفي نوما". ومن مكانها سمعت صوت تحرك السائل في الزجاجة التي يحملها عند الباب. "هل سبق لك أن قابلت ماتيو؟".
وقف عند الباب ببذلته وتدلّت ربطة عنقه غير المربّوطة، وحمل زجاجة نبيذ أحمر في يده.

تلعثمت جيسيكا: "ماذا؟" وانفجر كولومبانو ضاحكا. ورأت رجلا أصلع، أقصر من كولومبانو وأسمن منه، يقف خلفه.
قال الغريب: "مرحبا". وهو يأخذ الزجاجة الذي يقدمها له كولومبانو بدون تعبير. فك كولومبانو زري كميّه، وجلس عند حافة السرير. "يا أميرة. أنا أبلّي بلاء حسنا معك أليس كذلك؟".

شعرت جيسيكا بضيق في صدرها. "أريد أن أنام يا كولو".
"ماتيو هنا... إنه أخي. ليس بالمعنى التقليدي للكلمة؛ ليس لدينا نفس الأم، لكن... أنت تعرفين. أفضل صديق لي".
أوما الرجل الأصلع بفخر، وأخرج سيجارة من العلبة، ووضعها بين شفّتيه. "أريد خدمة منك".

قالت جيسيكا: "لا". وسحبت يدها بعيدا قبل أن يتمكن كولومبانو من إمساكها.

"يا أميرة أنت لا تعرفين حتى ما سأطلب منك".
"أريد أن أنام. دعنا نتحدث غدا".
التحرك مستحيل. سرى الألم من ركبتيها إلى أسفل ساقها نحو أصابع قدميها، وهذا ما جعلها تشعر بالشلل.
"ماتيو يريد أن يشاهدنا ونحن نقيم علاقة حميمة". رفع كولومبانو كميّه إلى مرفقيه. نظرت جيسيكا إلى النافذة.

إنها تسمع الرجل الذي عرّف عنه باسم ماتيو، شقيق كولومبانو وأفضل صديق له، وهو يسحب الكرسي من تحت المكتب. قوائمها تحتك بالأرضية الخشبية غير المستوية.

أرادت جيسيكا أن تصرخ. أن تضرب على الحائط.

قال بجفاء: "لا، جيسيكا". شعرت أنها ميتة في الداخل. إنها تعرف الظلام الذي يخطو داخل كولومبانو، والذي أحرق جزءاً من روحه، ظنت أنها يمكن أن تشفيه. لكنها تعرف أيضاً أنه لا كلمات أو أفعال ستحقق أي فائدة بعد أن أصبح ثملاً. استلقى كولومبانو إلى جانبها. "ماتيو لن يمك. أعدك، ما دمت تفعلين ما أطلبه".

همست جيسيكا: "كولومبانو، لا!". لكنها شعرت بأصابعه الخشنة وراء عنقها. رائحة أنفاسه: النبيذ الأحمر والسجائر. سمعت صوت ولاعة ماثيو تفتح. ثم تغلق. انبعثت رائحة دخان السجائر في الغرفة. لسان كولومبانو على عنقها وأسنانه تعض شحمة أذنها. كيف يمكن أن يكون الشيء مختلفاً في ظل ظروف مختلفة، مثل الليل والنهار. الجنة والجحيم. أصابع كولومبانو بين ساقها. عيناها مثبتتان على السقف ذي الطلاء المتقشر.

سوف تغادر غداً، عند الفجر.

69 مكتبة

t.me/t_pdf

جيسيكا أسيرة، ولكنها ستغادر في الصباح، وتتابع حياتها كأن شيئاً لم يحدث، ستعود إلى العمل، وإلى مقر الشرطة، وستذهب إلى أي مكان تريده، ولن تعير اهتماماً لغريبي الأطوار الذين يسعون لإخافتها.

نظرت إلى سقف الأستوديو الأبيض، حيث أخذت التشققات بالتشكل، بالرغم من أن فوبو طلاه في كانون الثاني. أمضى ذلك المتسكع يومين وهو يطليه. بالرغم من أنه لم يطالب بأي أجر سوى البييتزا والجنس، أرغمته جيسيكا عندما انتهى على قبول بطاقة هدايا ستوكمان بقيمة مئة يورو، ادعت أنها فازت بها في مسابقة يانصيب في مكان عملها. في نهاية المطاف، ما قام به فابو ألحق ضرراً أكثر مما نفع.

رن الهاتف؛ قرر إرني إعادة الاتصال أخيراً.

"ماذا بحق الجحيم يا إرني. لقد اتصلت بك أربع مرات على الأقل..."

قال إرني بصوت منخفض بدا عليه التعب: "كان عليّ أن أقوم بالقليل من اللقاءات الصحفية حول قضية فون بونسدورف. هل تحدثت إلى يوسف؟"

"نعم، سيصل قريباً."

"هل لديك شيء جديد؟"

أجابت جيسيكا، وهي تنهض عن الأريكة: "كان لديّ بعض الوقت لأفكر، إرني، إذا كان تيبس جسد الضحية في ذروته في لحظة العثور عليه، فهذا يعني أنه قد مات منذ..."

"ماذا يعني؟"

"وجد يوسف الضحية في السادسة والنصف. غادر كوبونين محطة مترو كولوزاري في 8:16 صباحاً."

"هل تقولين إن كوبونين رن جرس الباب ورجم فون بونسدورف حتى الموت؟".

"من يعلم؟ ربما تحول الحديث إلى حديث سياسي".
"هذا دائما محفوف بالمخاطر".

"كوبونين على قيد الحياة، اللعنة، ومتورط في هذه القضية. من يمكنه أن ينفي أنه ليس هو من مارس خدع الهالويين في الثلج أو أُرهب لورا هلمنين في ذلك القبو؟".

"أنت محقة. وربما كان كوبونين يعرف فون بونسدورف. لقد عاشا على بعد أمتار طيلة سنوات".

"ربما لهذا السبب سمح له فون بونسدورف بالدخول".
"بالرغم من أنه تم الإبلاغ عن وفاته هو وزوجته في أخبار الصباح".
"وفقا لأحدث النظريات لدينا، طبيينا النفسي المهم آمن بإله الخصوبة ذي رأس الماعز. أنا لا أعرف لماذا لم يؤمن بالأشباح أو الملائكة، أو جمعية كتاب الموتى".

"يبدو إيقاع ما قلته مثل الشعر، ولكن لديك وجهة نظر". بالرغم من أن جيسيكا لا تستطيع رؤية وجه إرني، إلا أنها تعرف أنه يفرك جبهته برفق: "ماذا عنك؟ هل كل شيء على ما يرام؟".

تنهدت جيسيكا وتوجهت إلى النافذة. سمعت إرني وهو يخطو خارجا، شعرت بصوت الهواء عبر سماعة الهاتف.

"لم يكن هناك أي مشاهدة لرجل ذي رأس ماعز في تولونكاتو، إن كان هذا ما تطلبه".

"هذا تماما ما أطلبه".

"يمكنني العودة إلى الميدان الآن".

قال إرني: "لكنك لن تعودى". صوت ولاعة السيجارة. غطاء الولاة يغلق.

أغمضت جيسيكا عينيها: "لا تبدو أنك على ما يرام يا إرني".

"أنا لا أبدو على ما يرام؟ هل أنا في برنامج ذا فويس الفنلندي أو شيء من هذا القبيل؟ أألن يستدير كرسي جيسيكا نيمي؟
"أنا أخبرك ما أراه. سأتصل بك مجددا قريبا".

شغلت حاسوبها وفتحت موقعين إخباريين، انبثقت الإعلانات المزيفة محاولة لفت انتباه جيسيكا بذلك.

الساحرة ستكون التالية... القاتل المتسلسل يضرب مرة أخرى... حصري!
طائفة سحرة في كولوزاري؟

كمية الهراء لا يمكن أن تصدق. من ناحية أخرى، إذا فكرت في الجرائم التي ارتكبت على مدار الأربع وعشرين ساعة الماضية، فيمكنك القول إن هناك كثيرا ما زال مخفيا عن عامة الناس.

مزقت جيسيكا صفحة من مفكرتها، وشحذت قلمها. بالرغم من أن أجهزة الأياد وغيرها من أجهزة تدوين الملاحظات الإلكترونية حققت نجاحا كبيرا في مجال التحقيق، إلا أن جيسيكا لا تزال تثق بالأدوات التقليدية. لقد طبعت للتو الأطروحة التي أرسلها يوسف عبر البريد الإلكتروني لها. وضعتها على الطاولة وقلبته لترى عدد الصفحات.

230. اللعنة.

رن الجرس، صوت مشابه لنعيق الغراب. تساءلت إذا كان الرجال في فان التويوتا سيتعرفون إلى يوسف، هل سيرن هاتفها مرة أخرى في هذه اللحظات. أم أنهم قد قيدوه بالفعل، وألقوا به أرضا على الأسفلت؟

مشت جيسيكا عبر الغرفة باتجاه الجرس. "مرحبا؟".

"ماليوس ماليفركاروم، أيتها الساقطة".

صدح الصوت الهامس بالضحك قبل أن تتمكن جيسيكا من فهم ما سمعته.
قالت: "فاشل". وضغطت على الزر لتفتح الباب.

جلس ووضع مجلدا من البلاستيك الأخضر على الطاولة، ونظر إلى راحة يده. بدا متعبا ومشتتا.

سألته جيسिका: "هل كل شيء على ما يرام؟" وهي تضع كوبين إلى الطاولة: قهوة ليوسف وشاي لها.

قال يوسف: "لا، ألقى نظرة على هذا". فتح المجلد. مدت يدها إلى الصور ونشرتها على الطاولة. أظهرت كرسيًا بذراعين وشخصًا يجلس عليها مضرجا بالدماء من رأسه إلى أخمص قدميه. لقد شوه الوجه حتى أصبح من المتعثر التعرف إليه.

همست جيسिका: "يا إلهي". لأن هذا ما المفترض قوله عندما تشاهد شيئًا مروعا كهذا. في الحقيقة، لم تكن صورة الرجل بالنسبة إليها مروعة بل جزءا من الصور القبيحة التي لا تقتصر على سلسلة الجرائم التي بدأت بالأمس بل جميع جرائم القتل التي قامت جيسिका بالتحقيق فيها على مر السنين.

ارتدى الرجل ذو الوجه المحطم عديم الشكل رداء حمام أزرق داكنا. تظهر بعض الصخور بين الكتف ومسند الظهر. لم تكن الطاقة الحركية للارتداد من جمجمة فون بونسدورف قوية بما يكفي لدفعها إلى الأرض.

"من أين الصخور؟ من الفناء؟"

"من الصعب التحديد، لأن الثلج غطى الأرض. لكنني أعرف مكانا يمكنك أن تجمعني منه هذا القدر من الصخور."

"شاطئ آل كوبونين. إن لم يكن مغطى بالجليد."

قال يوسف وهو يميل على كرسيه: "تماما".

"ماذا يقول حدسك، هل روجر كوبونين هو من رجم الرجل حتى الموت؟"

"هذا أول ما خطر بذهني. شوهد كوبونين في كولوزاري في صباح ذلك اليوم،

الأمر الذي جعل منه أحد المشتبه بهم المحتملين."

"الشيء الذي ما زلت لا أفهمه هو السبب". ارتشفت من شايها. "ما الذي

يسعى إليه روجر كوبونين من هذا؟ إنه يعلم أنه سيقبض عليه، فهو لا يستطيع ادعاء الموت فقط، ولعب الغمضة معنا، فهو شخص مشهور، وسيكون من السهل التعرف إليه حتى خارج فنلندا."

"ربما ليس له خيار آخر ربما يبتزه الجناة بشيء ما".

"لقد قتلوا زوجته. أود أن أقول إنها استراتيجية سيئة للغاية إذا كنت تخطط لابتزاز شخص ما".

"ماذا بشأن النقود؟ كوبونين رجل ثري".

"كيف؟ إن لم تقم برفع الرجل العجوز في الشارع، فعليك أن تدفع لنا مليون يورو؟".

"لا أدري".

قالت جيسيكا: "هل تعتقد أن شخصا مثل كوبونين وضع تأميننا على حياة زوجته تفوق قيمته المليون يورو؟"، ثم توقفت مؤقتا للتأمل في ما قالته للتو. لقد تحدثت للتو عن المال كما لو كان امتلاكه يجعل الشخص أقل إنسانية. إنها تفعل ذلك كثيرا. إنه جزء لا يتجزأ من تمويتها، ولكنه حتما يجعلها تشعر وكأنها منافقة. "أعتقد أنه لا يزال لدينا بديلان هنا. إما كوبونين هو الجاني، وإلا هناك شخص آخر مسؤول".

"بعبارة أخرى، إنه متورط. سواء بشكل إرادي أو غير إرادي".

"وإلا لكان اتصل بالشرطة".

قالت جيسيكا وهي مستغرقة في التفكير: "ما من شك في ذلك، ما لم يكن ينتقم لمقتل زوجته؟".

"حسنا، تقولين إن فون بونسدورف قتل ماريا كوبونين؟".

"نعم". وبطريقة ما عرف روجر بذلك، ودخل منزل الرجل و...".

أغمضت عينيها، وبدا أن يوسف فعل مثلها. جلسا بصمت لدقائق، يفكران ويشربان شرابيهما. كتبت جيسيكا أسماء الضحايا، مواقع الجرائم، وتفاصيل عشوائية أخرى خطرت لها. رسمت يدها خريطة خطوط مستقيمة بشكل ملحوظ، ودوائر متناظرة ومستطيلات.

في النهاية قال يوسف: "لقد بدأت أميل إلى رأي مايكل".

أخفضت جيسيكا قلمها إلى الطاولة وسألت: "ما الذي تعنيه؟".

"ربما ينبغي لنا أن نجلب كارلستيدت وليتنن".

"لا يوجد أي سبب لقلقنا من ذلك. إنه قرار يمكن لإرني أن يتخذه".

"أو، في هذه الحالة، لن يتخذه".

"إرني ليس بشخص لا يتخذ قرارات بل العكس تماما. لقد اتخذ القرار بالانتظار. ربما سنكتشف شيئا من مراقبة الهاتف".

هز يوسف رأسه بطريقة بالكاد تلاحظ، من الواضح أنه غير موافق. مرت فترة أخرى من الصمت، بينما كانا يطلعان على الصور وينقران أصابعهما على الطاولة ذات الخشب المصقول. سحب يوسف مجموعة من الوثائق من أسفل المجلد: التقارير ونسخ من استجواب أهل الضحايا.

سأل يوسف: "هل حصلت على أي شيء من هذا؟". وأوماً إلى أطروحة بلومكفيست.

"من الغريب، نعم... أعتقد". راجعت جيسيكا إحدى الصفحات التي حددتها. كل شيء في هذه الأطروحة ينتهي إلى القلط".

ضحك يوسف: "القطط؟ لماذا لم أفكر في ذلك؟".

"وفقا لهذه الدراسة، هناك علاقة ملحوظة بين الأسر التي لديها أطفال والمشخصة بمشاكل صحية خطيرة وامتلاك قط بمثابة حيوان أليف".

"أقصد، أنا شخص أميل لحب الكلاب أكثر، لكن القطط لا تدفع الناس للجنون، أليس كذلك؟".

"إنها معادلة بسيطة. ينتشر طفيلي التوكسوبلازما من براز القطط إلى البشر، وهذا قد يزيد من احتمال معاناتهم من الفصام، على سبيل المثال".

"الفصام؟".

"وهو مرض يعالج بمضادات الذهان المصنعة بشركة نيروفارم".

"الرابط يزداد قوة. لكنه لا يزال هشا. هل قام ألبرت فون بونسدورف بعلاج مرضى الفصام؟".

"لا نعلم، لكن علينا أن ننظر في الأمر".

"كنت أفكر بناء على ما أخبرنا به راس أن قضية ألبرت فان بونسدورف، مع تمثالي الماعز... أن الدافع كان الإلحاد. لكن لا يبدو أن ماريا كوبونين وليا بلو مكفيست لديهما أي اهتمامات أو معتقدات غير عادية. ناهيك عن ذكر أن سانا بوركا من سافونلينا كانت في المكان الخطأ في الوقت الخطأ. بناء على المظهر وحده، لا تتوافق بوركا مع الضحايا الآخرين".

بحث يوسف في جيب المجلد، وسحب المزيد من الصور، هذه المرة لشخصية متفحمة مربوطة بشجرة.

"ماذا عنه؟".

"السيد (إكس)".

"وفقا لتقرير سارفيلينا، إنه ذكر في الأربعين من العمر".

"هذا الذي لم يُبلغ أحد عن فقدانه؟".

"لم يمر سوى يوم واحد وهذه مدة ليست كافية. خاصة إذا كان الشخص المعني يعيش وحيدا".

"أشك في أن السيد 'إكس' كان في المكان الخطأ في الوقت الخطأ". حدثت الجريمة في مكان بعيد، ومن ينتهي به الأمر في ذلك المكان النائي لحظة وقوع الجريمة لا بد أن يكون قاطف التوت الأقل حظا في العالم".
"والأغبي. لأن التوت البري قليل في هذا الوقت من السنة".
"بالضبط".

قال يوسف: "لا بد أن ليتن كان مع كارلستيدت طوال الوقت".

ردت جيسيكا: "أو في صندوق سيارة روجر كوبونين". بدا أن هذه الفكرة أزعجت يوسف.

"السبب المحتمل لوفاة السيد إكس" تابعت جيسيكا بعد تفحص تقرير سارفيلينا، "هو سكتة قلبية، في هذه الحالات غالبا ما تحدث السكتة بسبب زيادة الأدرينالين الناجم عن الألم. بالإضافة إلى ذلك، هناك أثر للدخان في رئتيه. لذلك كان على قيد الحياة عندما وصل إلى الموقع وأحرق على قيد الحياة. يبدو أنه تمت إزالة الأسنان بعد حرقه".

"ربما ما حصل له كان مفاجئا. ربما كان يجلس في الكابين مع كارلستيدت ولينتن طوال الوقت معتقدا أنهم سيقضون على كوبونين معا".

لكن بعد ذلك قرر قائد الأوركسترا تغيير مواقع الموسيقيين. من يدري، ربما كانت مفاجئة لكوبونين كذلك".

مدت جيسيكا رقبته: "هذه الفكرة ليست مستبعدة. ربما اضطر كوبونين إلى ربط بوركا والسيد "إكس" بالشجرتين وحرقهما. ربما كان مقتنعا بالانضمام للعبة بتأكده أن نفس المصير ينتظره إذا لم يلعب".

"لقد حولوا كوبونين إلى دمية متحركة تفعل ما تؤمر به. هذا يفسر لماذا لم يتجنب كاميرات المراقبة في محطة المترو. ربما كان خائفا، ولم تخطر له فكرة أن الشرطة يمكنها تتبع موقع هاتفه ببساطة".

"هذا منطقي، لكن كوبونين يبدو هادئا في الكاميرا. يدها ثابتتان، ووجهه مثل وجه الموناليزا". فتحت جيسيكا مقطع الفيديو من نفق المترو ببضع نقرات.

"أنت محقة، جيسي. يبدو الأحمق بارد الأعصاب جدا بالرغم من أن زوجته قتلت للتو، حتى وإن افترضنا أنه شاهد عن كذب جريمة القتل-الإحراق-المزدوجة في جوفاً".

"من ناحية أخرى، هذه هي تماما الطريقة التي قد يتصرف بها شخص في حالة صدمة". تتذمر جيسيكا بإحباط. تميل إلى الخلف، وتمد ذراعها بشكل مستقيم فوق رأسها. ترتفع سترتها إلى سرتها، وبعيدا عن محيط رؤيتها، تلتقط جيسيكا يوسف يختلس النظر إلى بطنها العاري.

بعد لحظة سألته: "هل ستعود إلى باسيلا؟".

تثاءب يوسف: "لا أعلم؟".

دفعت كرسيها بعيدا عن الطاولة: "تحدث إلى راس؛ فهو الشخص الذي يستمع إلى تلك المكالمات. أريد أن تكون لديّ معلومات أكثر عن تورستين كارلستيدت وكاي لينتن".

سحب يوسف نفسه ببطء إلى قدميه. نظر إلى أشياءه المنتشرة على الأريكة. "مهلاً. بطاقة ائتماني".

تلعثت جيسيكا: "ماذا؟" إنها تعرف ما الذي يتحدث عنه، ولكن محفظتها، حيث وضعت البطاقة، ليست في الأستوديو بل على طاولة المطبخ في شقتها المجاورة. اللعنة.

"لقد نسيت أن أستعيدها".

قالت جيسيكا: "تبا... آسفة، يوسف..."، وهي تشعر بأن الكذبة التي جاءت بها بسرعة تبدو سخيفة جداً.

ضحك يوسف: "إنها معك، أليس كذلك؟".

"تركتها في المقر. أعتذر. على الأرجح إنها على مكثبي".

"سحقاً. أنا أريد أن أملأ خزان الوقود في سيارتي و... كنت أفكر في الحصول على شيء أتناوله".

عضت جيسيكا على شفيتها. إذا تمكنت من جعل يوسف يخرج لدقيقة واحدة، يمكنها أن تقفز وتجلب له بطاقته الائتمانية، ثم تتصل به وتدعي أنها وجدت في جيب معطفها.

"إن كنت لا تنوين الذهاب إلى أي مكان، يمكنني أن أستعير.."

مجددا شعرت جيسيكا بالقشعريرة تسري في جسدها. "لا".

"ماذا؟".

"يبدو هذا جنونيا، لكن... بطاقتي لا تعمل. لا أعرف ماذا جرى لها".

"لا تعمل؟".

"لا. لقد طلبت واحدة جديدة".

"هل تحملين نقوداً؟".

"كلا".

عبس يوسف، ثم هز كتفيه من دون مبالاة، والتقط معطفه من كرسيه. لم تكن جيسيكا واثقة إن كانت كذبتها يمكن أن تُصدق، لكنها لا تستطيع أن تفكر بأي

سبب يجعل يوسف يعتقد أنها تكذب أيضا. لن يخطر على باله أن لديها شقة في
الجهة المقابلة من الجدار، سار يوسف ببطء إلى الباب وسحب حذاءه.

سأل أخيرا: "هل هناك خطب ما؟"

"بماذا؟"

قال يوسف: "محفظتك". السؤال منطقي ومعقول ويمكن أن يعني مشكلة.
أخذت نفسا عميقا وقالت: "كنت سأقول لو كان هناك أي خطب يتعلق
بمحفظتي، يا إلهي".

"هل ألقيت نظرة جيدة؟ لأنه إن كان شخص ما قادرا على الكتابة في
مفكرتك...".

أجابته بغضب: "أجل"، ونبرة صوتها تحقق ما لم تضطر إليه منذ وقت طويل،
خاصة مع يوسف، تذكره بسلسلة القيادة.

"حسنا". فتح يوسف الباب واختفى في ردهة الدرج.

أغلق يوسف باب السيارة، ونظر إلى فان التويوتا ذي اللون الرمادي الداكن المكون بالقرب من الرصيف، الخاص برجال المراقبة من سوبو. جُهِز الفان بأجهزة تسجيل وثمانى كاميرات فائقة الوضوح توفر رؤية 360 درجة، وهناك رجلان يجلسان فيه. وبما أنهما يراقبان على مدار الساعة فإن أحدهما ينظر إلى الشاشة بينما يقوم الآخر بإراحة عينيه، والفان مجهز بالمياه والطعام ودورة مياه ومصدر طاقة احتياطي، حتى يتمكننا من المراقبة المتواصلة ولأيام، إنه ليس بالعمل الممتع جداً: يعرف يوسف أن الاندفاع الأولي للتشويق الرومانسي المستوحى من أفلام مثل "تساينا تاون" يتحول بسرعة إلى رهاب الأماكن المغلقة.

شغل يوسف محرك سيارته. لقد جعلت هذه القضية جيسىكا المسكينة تفقد صوابها. عادة ما تكون حذرة للغاية وواعية، والآن بدأت تفقد أشياءها: هاتف هنا، وبطاقة ائتمان هناك. يمكن ليوسف أن ينسى أحلامه السعيدة عن شراء البيتزا من مانالا.

تراجع بالسيارة لمتراً أو اثنين، ثم حرك السيارة واتجه من تولونكاتو إلى حديقة إسبيريانويستو. عاود الثلج الهطول، ووضع الناس الذين يمشون على الأرصفة قبعات معطفهم السميك ليحموا رؤوسهم.

بدأ هاتفه، المتصل ببلوتوث السيارة، بالرنين. ظهر رقم مايكل على الشاشة، تنهد يوسف. إنه لا يحب مايكل، ليس لأنه آذاه بل لأنهما مختلفان. إلى جانب ذلك، مايكل زير نساء ونذل مغرور، ونيينا ستدفع ثمن ذلك إن استمرت علاقتهما. مع أنها لا تستحق ذلك.

"ما الأمر يا ميكي؟"

"لقد كنت على حق، اللعنة". توقف مايكل لبرهة.

"بماذا؟".

"مالْيوس ماليفر كاروم. رصدت الكلمات من الجو. هذه المرة بحروف ملتبهة".

شعر يوسف بحرقه في عضلة الحجاب الحاجز. "ماذا؟ أين؟".

"حقل في هالتيل".

قال يوسف: "أنت تمزح". رفع قدمه عن دواسة الوقود، ولثانية، انزلت السيارة نحو التقاطع. "لقد رصدتها مروحية...".

"المروحية التي أرسلها إرني كانت تحوم فوق شرقي هيلسنكي. لكن هالتيل قريبة جدا من المطار بحيث رأتها عددا من المرات. نقل التقرير إلى إدارة الإطفاء على أنه حرائق تضاريسية. هناك بعض سيارات الإطفاء في الموقع الآن، ولكن تم التقاط بعض الصور الجوية للنص. لا مجال للخطأ بما أقوله".

ألقى نظرة على ساعته: "أنا في طريقي إلى هناك".

"جيد. فريق الأدلة الجنائية في طريقه إلى هناك أيضا".

"لماذا؟".

"عثر على امرأة ميتة، يا يوسف".

توقفت السيارة عند معبر المشاة. أغمض يوسف عينيه؛ انخفض صوته ليصبح همسا. "من خلال كتاب كوبونين؟ سحقا...".

"شيء من هذا القبيل. أنت بحاجة للذهاب إلى هناك حقا".

قال يوسف: "أرسل لي العنوان". أنهى المكالمة، وحاول التخلص من الاختناق الذي أصابه. لسبب ما، فإن الجرائم على مدار الأربع وعشرين ساعة الماضية جعلته يفكر بنزهة. ماذا لو قرر أحد المغفلين أن يوجه كراهيته نحوها يوما ما، فإنه لن يتمكن من حماية أخته.

ضغط يوسف على دواسة الوقود، وقاد عبر معبر المشاة، وركن سيارته بين زقايي الحديدية. وتشبث بالمقود. أظفاره تحفر في لحم راحتيه. في اللحظة التي حرر

فيها يديه أدرك أنهما ترتجفان. وضع يوسف مبدل السرعة على وضعية (محايد) وسحب فرامل اليد، وشغل أضواء الطوارئ الصفراء. وخرج من السيارة تاركاً محركها قيد العمل، وأشعل سيجارة.
أطلقت السيارة التي خلفه العنان لبوقها.

عاد الظلام إلى باسيلا، وسيطرت الأضواء الصفراء لموقع البناء على المنظر من النافذة مرة أخرى. نينا ومايكل يسيران إلى جانبي راسموس بينما يختتم مكالمته هاتفية.

سأل: "ماذا هنالك؟". مخفضا هاتفه على الطاولة.

"كارلستيدت وليتنن. هل لديهما عذر في ما يخص جريمة هالتيلاب؟".

"هل لدينا وقت محدد لارتكاب الجريمة؟".

"لا، ولكن تم إشعال الحريق بالكلمتين قبل قليل. كان هناك عدة مشاهدات بين 7:15 و7:30".

"كلاهما كانا في المنزل". راسموس نقر بالماوس. لا تستطيع نينا التوقع بما سيظهر؛ أفضل ما يمكن أن تفكر به هو نوع من البرامج التي تجعل من الممكن مراقبة واستماع وأرشفة مكالمات الهواتف تحت المراقبة. يكمل راسموس: "لكنهما أجريا محادثة مثيرة للتو".

"شغلها". سحب مايكل كرسيًا فارغا وجلس عليه. نظرت نينا حولها، لكنها لم تجد أي كرسي آخر فبقيت واقفة.

يختار راسموس مكالمته من القائمة. "هذه هي".

الرقم الصادر +3584002512585

وقت المكالمه 19:15:30

(اتصال)

تورستين كارستيت (ت.ك.): مرحبا.

كاي ليتنن (ك.ل.): مرحبا.

(ثوانٍ من الصمت)

ت.ك: مرحبا؟

ك.ل: مرحبا؟

(توقف طويل آخر)

ت.ك: هل هناك أحدا؟

(صمت)

ك.ل: لا يبدو أن هناك أحدا.

(ضحكة خافتة)

ت.ك: هناك أحد ما. هذا مؤكد.

ك.ل: فلنتحدث قريبا. كل شيء بخير، وجميل.

(تنتهي المكالمة)

قالت نينا: "ما كان هذا بحق الجحيم؟ ألم يسمعا بعضهما؟".

قال راسموس: "لم يكونا يتحدثان إلى بعضهما يا نينا".

بمجرد أن فهمت ما يعنيه، شعرت أنها مغفلة. همست: "كانا... يتحدثان إلينا".

"تماما".

صاح مايكل: "هذا هراء لعين"، ثم بصق علكته في قبضته. "يجب استدعاء

هؤلاء الحمقى على الفور".

قال راسموس: "بدأت أوافقك، ولكن... نهض مايكل وتوجه إلى مكتب

إرني، تبعته نينا.

"انتظر يا ميكي. لا تغضب..".

قال مايكل: "إرني"، وهو يفتح باب مكتبه. إرني في الجانب الآخر، يسحب

معطفه، وكاد الباب ان يرتطم بجبهته. نينا لا تزال في الممر، خارج الباب المفتوح.

أغلق إرني سحاب معطفه. "من التهذيب أن تطرق الباب أولا يا ميكي".

"كارلستيدت وليتنن. إنهما يعرفان أننا نتنصت عليهما. كانا يعبشان معنا عبر

الهاتف". نظر إرني إلى مايكل. "هل كان هناك اعتراف واضح؟ أو أي شيء آخر

يربطهما بالجرائم؟".

"بالله عليك، أنت لا تتوقع أن يعترف هذان الأحمقان...".

ضرب إرني قبضته القوية بشدة على الباب لدرجة أن نينا ومايكل قفزا. "ماذا دهالك بحق الجحيم يا ميكي؟ أنا المسؤول عن هذا التحقيق. هل عليّ أن أرسلكم جميعا إلى بيوتكم لكي تعيدوا دراسة مفهوم تسلسل القيادة؟".

أصبح صوت مايكل أخفض، لكنه لا يزال متحدّيا: "هل هذا هو سبب وجود جيسيكا في المنزل؟ تقوم بأداء الواجبات المنزلية؟".

"إن كانت لديك مشكلة بشأن كيفية سير الأمور هنا، فيمكنك ترك هذه الوحدة. هناك الكثير من الناس ينتظرون ليحلوا مكانك". اقترب إرني من مايكل. بينما نظرت نينا إلى الأسفل، لمحت عيني إرني المتلاثلتين: ليس هناك أي إشارة ضعف في وجه الرجل المريض. على الأقل في هذه اللحظة.

قال مايكل: "على أي أساس؟ لأنني أستخدم عقلي؟".

حدّق إرني إليه لفترة طويلة، ثم نظر إلى نينا، وأخيرا ابتسم ابتسامة واهنة. "هل تعتقدان أنني غبي يا طيرا الحب؟ السبب الوحيد لعدم فصلكما هو أنني إنسان محب للرومانسية مع كراهية للبيروقراطيين. ولكن ساعدني يا رب، لا تختبر يا مايكل صبري".

مرّ إرني بجانبهما باتجاه الرواق. شعرت نينا بأن وجنتيها تتوهجان باللون الأحمر. نظرت إلى مايكل، الذي يشتكي من الإرهاق.

نظرت جيسिका إلى ساعتها، إنها قرابة التاسعة. جلست بمفردها إلى الطاولة في الأستوديو، وحدقت إلى الملصق أمامها: إنه مكون من أربع أوراق من ورق الكتابة، وقد ربطت الأوراق معا بشريط لاصق. وعليه جمعت كل المعلومات حول الجرائم التي وقعت على مدار الساعات الأربع والعشرين الماضية. منذ لحظات، أرسل لها يوسف مجموعة من الصور لضحية هالتيلالا. إنها امرأة تبلغ من العمر ثلاثين عاما. شعرها أسود جميل. ترتدي فستان سهرة أسود. تماما مثل الضحايا الثلاث الأخريات، اللواتي تعد لورا هلمنين الناجية الوحيدة بينهن. في الصورة. كانت المرأة التي لم يتم التعرف إليها بعد بين لوحين من الخشب الرقائقي الثقيل. وقد كدست صخور كبيرة على اللوح العلوي. أدى وزن هذه الصخور إلى سحق الضحية، قارنت جيسिका الصور من المشهد برسم تاريخي وجدته على الإنترنت، بالإضافة إلى مقاطع القتل في الجزء الأخير من ثلاثية روجر كوبونين.

الجزء الثالث

امرأة سحقت حتى الموت (تدرجيا بالصخور الثقيلة). كل من جريمة هالتيلالا والمشهد من كتاب كوبونين يعيدان بإخلاص الصورة من مقالة ويكيبيديا *السحق* (تنفيذ): رسم لمقتل مزارع سحقا كان يدعى جايلز كوري خلال تجارب ساحرة سالم⁽¹⁾ في العام 1690. تفحصت جيسिका الصورة المقربة التي التقطتها الأدلة الجنائية لوجه المرأة. لا يبدو أنها تتألم، لقد بدا وجهها هادئا، لا بد أنها خدرت في الوقت الذي كانت الصخور تكدس عليها، الفكرة مروعة ومريحة في الوقت نفسه. أي شيء أفضل من

(1) مدينة أمريكية.

الموت البطيء المؤلم والخوف الذي يسبقه ولا يسبر غوره.

نظرت جيسيكا إلى السقف وشعرت بالعضلات المتصلبة على جانبيها تتمدد. خفتت من التمارين الرياضية خلال الأشهر الستة الماضية، لم تعد تعاني من تلف العمود الفقري بسبب حادث السيارة الذي تعرضت له عندما كانت في السادسة من عمرها، لكن من الواضح أنها إذا استمرت في تجاهل تمارين إعادة التأهيل المخصصة لها، فستعود المشاكل. في بعض الأحيان عندما تنهض من الأريكة أو السرير، لا تشعر بالخطوة الأولى التي تتخذها؛ لا يمكنها الشعور بالاتصال الذي يحدثه كعبها مع الأرضية أو وزن جسمها على ربله ساقها. عندما يرتطم مرفق أحدهم بعظامها المضحكة خلال مباريات كرة السلة التي تجريها الوحدة ليس من الضروري أن تشعر بالألم فورا، فهو سيأتي لاحقا لا سيما عندما تكون متعبة. لا يعمل جسدها بشكل طبيعي، ولكن بفضل التدريب المستمر، بلغت مستوى من التكيف البدني جعل من اختبار القبول في أكاديمية الشرطة يبدو بالنسبة إليها مثل لعب الأطفال.

لكن السجلات الصحية لجيسيكا لا تتضمن أي إشارة إلى تلف العمود الفقري. فهي لم تتعرض إلى أي حادث، ولم تكن أبدا فون هيلينز، ولم يكن لديها والدان، وطفولة في بيل إير، ولا أخ صغير تتوسل عيناه الجميلتان للحصول على المساعدة.

شعرت جيسيكا بأصابع أخيها تلتف حول أصابعها.

لا بأس يا توفى. سيكون كل شيء على ما يرام.

يتغلغل صوت عازف الترومبون المتجول في أحلام جيسيكا، ويتغذى ملف الصور المختلطة من لا عيها. فتحت جيسيكا عينيها، وأدركت أنها في أحضان كولومبانو. استقرت هناك طوال الليل. لقد سُجنت في حضنه، لم تكن قادرة على النوم، ابتلعت الدموع المالحة، على أمل أن يتوقف قلب الرجل النابض، وأن يتحول الجسد المفعم بالحياة الذي حاصرها من جسد دافئ إلى بارد، وأن يموت الأمر الذي يتيح لها الهروب. في وقت ما خلال الليل، شعرت بألم شديد في ركبتيها وساقها وأصابع قدميها، إنها تستلقي، مشلولة وتبكي في مكانها وهو يدينها منه ويمرر بأصابعه عبر شعرها المتعرق. في النهاية، استسلمت، لأن جسدها كله استسلم، انزلقت إلى مرحلة وسيطة بين النوم والاستيقاظ، سبات سريالي. شاهدت نفسها من الشرفة الفرنسية، وهي تنظر عبر الستائر مثل ملاك يعجب بجمال المشهد الرومانسي في الغرفة، ولكنها شعرت بالارتباك بشأن وجهها الحزين جدا.

"زيسيكاً".

إنه أشبع صوت في العالم، بدأت جيسيكا تشعر أن قلبها يزداد نفورا من داخله. لا يزال بإمكانها سماع ضحك الرجل، وتشعر بالصفعات على رديها العاريين، كولومبانو بداخلها، أكثر صلابة وخشونة من أي وقت مضى.

"زيسيكاً".

همست جيسيكا: "ماذا يا عزيزي؟". خرجت الكلمات من فمها بعفوية، إنها ذكريات لوقت ظنت أنه مضى منذ عدة سنوات ضوئية، انسكبت دمعة على خدها، وشعرت بالسائل المنوي اللزج على فخذه.

"أنتِ لست غاضبة، أليس كذلك؟". ضاقت القبضة، مما أعطى جيسيكا فكرة عن كيفية إجابتها بشكل أفضل. "هل... هل ذلك الرجل لا يزال هنا؟".

"ماتيو؟". ضحك كولومبانو، ونقر على خدها، وغادر السرير. جيسيكا الآن حرة، لكنها لا تستطيع التحرك. "أخبرتك أنه لن يمسك".
أنت جيسيكا.

"هل هذا صحيح؟".

سمعته يخطو نحو دورة المياه، وملاً صوت اندفاع البول الشقة. أن الوغد كولومبانو وهو يفرغ مثانته في المرحاض، أغمضت عينيها، لم تستطع أن تتذكر؛ ربما لم يلمسها، ولكنه شاهد.

في النهاية الأمر سيان.

قالت جيسيكا بهدوء: "لا"، وهي تنظر إلى الجدار.

"هل كنت تريدني أن يفعل ذلك؟".

أطلق كولومبانو الماء في المرحاض. سأل مرة أخرى عندما عاد إلى غرفة النوم: "هل كنت تريدني؟".

"أنا؟...".

"أنا لا أحبذ تلك الأشياء؛ لا أحب المشاركة. ولكنني لا أمانع إذا كان هناك من يريد المشاهدة، ولكن المشاركة هي أمر آخر تماما". شعرت جيسيكا بالفراش يغرق على السرير الحديدي بفعل وزن كولومبانو. "ولكن يمكنني أن أقوم باستثناء إن كنت تريدني ذلك".

فجأة أصبح نفسها صعبا: "لا".

"لا. هذا ما قلته بالأمس يا أميرة. ومع ذلك، لقد مارسنا بشغف أكثر من أي وقت مضى. أحيانا يكون من الجميل أن تكون مخطئا، أليس كذلك؟". ضحك.

شعرت بالألم في بطنها.

"يمكنني أن أدعو ماتيو الآن".

"لا".

"لكنني أريد أن أكون صادقا معك. لن أشارك أي شيء أحببته بصدق مع ماتيو. أنت فتاة مرحة يا زيسيكا. لكنني أرى أنه ليس هناك مستقبل لنا. أنت غير ناضجة.

طفلة". تنهدت. وضع يده على كتفها. "يمكن أن يكون الصدق قاسيا، يا طفلتي. ولكن في يوم من الأيام ستشكريني على ذلك. بصراحة مطلقة".

قالت جيسيكا: "أنت..."، لكن الدموع حالت دون خروج الكلمات، وتحولت الكلمات إلى شيء يشبه الأزيز، انحنى عليها وقرب شفثيه من أذنها. وهمس: "في الحقيقة، أقترح أن نمارس الحميمية لمرة أخيرة من أجل أيامنا الماضية. سأذهب إلى التدريبات. وبحلول الوقت الذي أعود فيه، تكونين قد حزمت أغراضك، وذهبت في طريقك. انطلقني في تلك المغامرة المدهشة التي من المفترض أن تكوني فيها الآن".

"سأذهب". جلست. يمكنها سماع تدفق دمها في أذنيها.

"أعرف أنك ستفعلين. ولكن قبل ذلك، لا بد من وداع مناسب".

شعرت جيسيكا بأصابع خشنة على ذراعيها، تلوت لتحرر نفسها. صرخت بصوت عال مرتجف: "لا تلمسني!".

حدق إليها بمتعة. جيسيكا لا تستطيع النظر إلى عينيه. إنها تركز على الوشم الهائل الذي يزين جذعه القوي.

قال: "هيا. سأأخر على التدريبات". مزيلا الابتسامة عن وجهه. شعرت جيسيكا أن تنفسها أصبح خفيفا. اندلعت الأصوات من الخارج، مختلطة مع أصوات محركات القوارب التي تتمايل في القناة. استدارت جيسيكا وفتحت الستائر، وهي على وشك الصراخ للحصول على المساعدة، ولكنه أمسك بها من شعرها، وأدخلها إلى الشقة بعنف لدرجة أنها شعرت أن فروة رأسها تتمزق. ضرب الجزء الخلفي من رأسها على الأرضية الخشبية، ولفّ أصابعها حول عنقها. لامس شعر كولومبانو الطويل والمدهن وجهها، وملاّت رائحة العرق الممزوجة بالكحول وكولونيا ما بعد الحلاقة أنف جيسيكا.

قال كولومبانو: "إنفيرنو". راسا الرذاذ من بين الأسنان البيضاء.

الشتاء.

نظرت جيسيكا إلى هاتفها. إنها الساعة 22:22، الوقت المناسب لتمني أمنية. من حيث الاحتمالية، فإن المعدل الذي يتحقق فيه الأشخاص من الوقت خلال هذه الدقيقة متكرر بشكل غريب. بالطبع، إنها مجرد وهم، ومغالطة تقوم على حقيقة أننا نتذكر 22:22 بسهولة أكبر من 21:19 على سبيل المثال. ومع ذلك، يبدو الأمر مشؤوماً بشكل خاص في هذه الأمسية المظلمة، عندما تصفر الرياح الجليدية في المداخن، وتفكك أطر النوافذ القديمة.

الماء يغلي في الوعاء. لا تملك جيسيكا غلاية كهربائية في الاستوديو الخاص بها. ربما لأنها لم تعش فيه أبداً، وربما لأن عدم وجود واحدة يعزز قصة تخفيها: تعيش في منزل مخصص لشابة عازبة مجهّز بمفروشات أساسية وعشوائية فقط. إلى جانب ذلك، إن طعم الماء المغلي هو نفسه سواء غلي في قدر من الفولاذ المقاوم للصدأ أو غلاية كيتشن إيد بلون قشدي.

ارتشفت جيسيكا من الكوب الذي نسيته على الطاولة؛ الشاي بارد. بجواره 17 ورقة من ورق الكتابة، بعضها ممزق إلى قطع أصغر، وبعضها الآخر ملصق بأوراق أكبر. تحت صور الجرائم وضحاياها، دوّنت بعض العبارات من كتب روجر كوبونين، ومقتطفات من النصوص التي من المفترض أنها كانت بمثابة مصدر إلهام لعمليات القتل. لكن هل فاتهم شيء ما في التركيز كثيراً على كتب كوبونين بحثاً عن أدلة؟ تذكرت جيسيكا ما قاله مايكل: نحن نعلم بقدر ما يريدون منا أن نعلم. هذا فقط ولا شيء أكثر. غالباً ما تكون سخریات مايكل مزعجة، لكنه غالباً ما يكون محققاً.

أنهت جيسيكا كوب الشاي، وأخطأت نقطة الشاي الأخيرة طريقها فدخلت قصبته الهوائية، وسعلت، وللحظة ظنت أنها تعرفت إلى شعور الغرق: عدم القدرة

على السعال وإخراج السائل الذي دخل القصبة الهوائية، والذي يملأ الرئتين، ما يمنع تدفق الأكسجين.

تقدمت جيسيكا نحو الحوض، ونظّفت أنفها، وملأت الكوب بالماء المغلي. فتحت خزانة إيكيا⁽¹⁾ وبحثت عن المرطبان الزجاجي حيث تضع أكياس الشاي. إنه على وشك أن يفرغ، والكيسان المتبقيان هما كيسا شاي بنكهة الفانيليا. في تلك اللحظة، رنّ هاتفها. لم تتعرف إلى الرقم، لكنه ليس نفس رقم الرجل الذي يجلس في فان التويوتا، قد يكون فوبو يزعجها بهاتف استعاره من صديق. يجب أن تعترف: إنه رجل مثابر.

"نيمي".

"مرحبا؟" إنه صوت امرأة مترددة وخائفة.

"هل تتصلين بالشرطة؟".

قالت المرأة مباشرة: "أجل". هناك رنين في الخلفية يذكر جيسيكا بجرس البقرة. ثم سمعت غمغمة. غطّت المرأة السماعية بيدها، وتحدثت إلى بعض الأشخاص، وبعد ثوان سمعت سعالا.

"أنا آسفة. أنا... نعم، أريد التحدث إلى الشرطة، لهذا اتصلت بك".

سألته جيسيكا وهي تجلس إلى الطاولة: "كيف يمكنني مساعدتك؟". سمعت صوت فتح باب في الطابق أسفل الاستوديو وربما أسفله.

"أمم... اسمي إيرما هيلي. لدي متجر لبيع الملابس النسائية هنا في كوركيافويرينكاتو..."

ركّزت جيسيكا عينيها على قطعة الورق. وسألته بتركيز: "أي نوع من متاجر الملابس؟".

"محل خياطة. فساتين سهرة..."

سُمع صوت كلب صغير على الدرج.

(1) أثاث وإكسسوارات إيكيا المنزلية عملية ومصممة بشكل جيد وبأسعار معقولة (المترجم).

قالت المرأة: "انتظري لحظة، من فضلك"، وعاودت التحدث إلى شخص آخر. فكّرت جيسيكا مرة أخرى بالرنين الذي سمعته للتو. لعله يكون قد جاء من أحد تلك الأجراس التي تربط بالباب وتعلن عن دخول الزبائن إلى المتجر.

"هل متجرك مفتوح في هذا الوقت المتأخر؟".
"بالطبع لا... إنه بالفعل... ولكن لدي فستان لإنهائه و...".
سألته جيسيكا: "هل أنت بمفردك سيدتي؟". لم تعرف لماذا طرحت هذا السؤال.

"نسيت أن أغلق الباب و... الآن أنا بمفردتي".
قالت جيسيكا: "جيد"، وهي تبعد خصلة شعر عن عينيها. "كيف يمكنني مساعدتك؟".
"اتصلت بالاستعلامات و...".

"صحيح، يتم توجيه بعض المكالمات إليّ مباشرة. أنا المحققة الرئيسية، المحققة جيسيكا نيمي من شرطة هلسنكي". شعرت جيسيكا بحشرجة، نخزة في أناملها. لديها حدس لماذا اتصلت المرأة؛ إنها تعلم أن للأمر علاقة بملابس السهرة التي كانت ترتديها الضحايا.

"لقد عرفت ماريا كوبونين". تتوقف إيرما هيلي لفترة طويلة. "كانت زبونة في متجرني. كانت تطلب الملابس في المناسبات".

عدّلت جيسيكا من جلستها، والتقطت قلما، إنها مليئة بالفضول، لكنها مصممة على أن تبقي فمها مغلقا، وتستمع باهتمام بدلا من ذلك.
"لقد صدمت للغاية عندما سمعت أنها قد... أنها قُتلت...".
"بالطبع".

"ولكن بعد ذلك اتصلت ابنتي. إنها تساعدني من وقت إلى آخر... إنها على دراية كبيرة بملابس النساء والأزياء. إنها تدرس تصميم المنسوجات والأزياء".
"ماذا قالت ابنتك؟".

"لقد شاهدت مقطع فيديو على يوتيوب تداوله الطلاب".

شعرت جيسيكا بحكة، حاولت إخمادها بخدش رقبتها. شاهدت ابنة إيرما هيلي فيديو ماريا كوبونين المقتولة. الفيديو الذي أزاله يوتيوب على الفور تقريبا من خوادمه، ولكن بقي على هواتف بعض الناس. يمكن لجيسيكا سماع الصوت عمليا، يتكرر بشكل منوم مغناطيسيا:

ماليوس مالفركاروم. ماليوس مالفركاروم.

"صدمت ابنتي. بدا الأمر وكأنه دعابة سمجة من نوع ما. إنها لا تعرف ماريا كوبونين، لكنها ميّزت الفستان الذي كانت ترتديه".
"هل متجرك صنع الفساتين؟".

أجابت إيرما هيلي: "نعم. أنا متأكدة من ذلك". وبدت فجأة مصدومة. "يا ربي. أرسلت لي ابنتي صورة، لكنها قطعت منطقة الوجه. ثم أدركت أن الصورة قد التقطت بعد وفاتها، ولم ترغب ابنتي أن أرى وجهها".

قالت جيسيكا وهي تحاول الحفاظ على هدوئها قدر الإمكان: "أنا أرى".
أخذت نفسا عميقا، وضغطت أصابعها المرتجفة على سطح الطاولة. قد تكون هذه المكالمة تقدما جيدا في القضية. كل النساء الضحايا الأربع كن يرتدين فساتين سهرة متشابهة. وينتعلن أحذية متطابقة. حتى طلاء أظفارهن كان باللون نفسه، وضعت سماعة الهاتف على الطاولة، وشغلت مكبر الصوت. "تابعي من فضلك".
"قد تكون مجرد صدفة أن ماريا كانت ترتدي فستانا صممته، ولكن... ظنت جيسيكا أنها تلتقط أنفاسها. "ولكن عندما جاءت ماريا كوبونين لطلبه قبل شهر تقريبا... أخذنا مقاساتها واخترنا النسيج...".

"نعم؟".

"لم تطلب واحدا فقط. بل طلبت خمسة، إن كنت تستطيعين تصديق ذلك".
شعرت جيسيكا بالقشعريرة: "خمسة فساتين سهرة؟!".
"خمسة فساتين سهرة متطابقة".

تعرف جيسيكا أن الفساتين الأربعة الأخرى ليست معلقة في خزانة الملابس في كولوزاري.

تابعت إيما هيلي: "كل فستان بمقاس مختلف".

ما هذا بحق الجحيم؟ هذا غير معقول.

نقرت جيسيكا بأصابعها على سطح الطاولة. "هل لا تزال لديك المقاسات في مكان ما؟".

"نعم، في دفتر الطلبات. كل المعلومات متوفرة. أعطتني ماريا خمسة مقاسات مختلفة لاستخدامها عند خياطة الفساتين. لم تخبرني عن السبب، لكنني افترضت أنها لحفل زفاف أو شيء ما أو حفلة أخرى حيث كان من المفترض على النساء أن يرتدين ثيابا متشابهة..".

"إذن ماريا كوبونين طلبت هذه الفساتين ودفعت ثمنها؟".

"نعم".

"إلى أي وقت ستبقين في المتجر الليلة؟". نظرت جيسيكا إلى ساعتها. إنها قرابة العاشرة والنصف.

يجب على شخص ما أن يصل إلى هناك على الفور. إذا لم يكن هناك شخص متاح، فستذهب بنفسها، بغض النظر عن أي شيء سيقوله إرني. "أنا متأكدة من أنني سأبقى هنا حتى منتصف الليل...".

سمعت جيسيكا ضوضاء غير محددة في الطرف الآخر من الخط، وقالت هيلي: "ما الذي تريده هذه المرأة؟".

تأهبت جيسيكا: "ماذا هنالك؟".

"تلك المرأة عند الباب مرة أخرى".

"أي امرأة؟".

"التي دخلت للتو... يا إلهي، يمكن أن تكون الأخت التوأم لماريا كوبونين... انتظري لحظة من فضلك".

سمعت جيسيكا صوت وضع سماعة الهاتف على المنضدة. "مهلا! انتظري!" ووثبت على قدميها. "مرحبا إيرما؟".

لكن إيرما هيلي أخفضت الهاتف بالفعل عن أذنها. سمعت جيسيكا صوت

خطوات، وطرق، وبعد لحظة سمعت جلجلة الجرس.

همست جيسيكاً: "لا تفتحي الباب". ومشت إلى النافذة، ووضعت يدها على جبينها.

بعد ذلك، سمعت كلاماً خافتاً على الخط: أنا آسفة، لكن المتجر مغلق. سنفتح غداً عند الساعة التاسعة. معذرة، هل سمعتني؟ المتجر مغلق. سأضطر أن أطلب منك الرحيل..".

انقطع الاتصال، وطنت ثلاث نغمات قصيرة في أذن جيسيكاً.

الدرج صامت تماما. فتحت جيسيكا الباب والهاتف على أذنها، وتوقفت عند لوحة مفاتيح نظام الإنذار، لتدرك أنها لم تشغله أبدا، عندما كانت في عجلة من أمرها للعودة إلى الأستوديو في وقت سابق من ذلك المساء.

"ماذا هنالك؟"

لاحظت جيسيكا مرونة الصباح الباكر في صوت يوسف. ولا شك في أن زميلها لاحظ الاستعجال والتوتر في صوتها.

"تلقيت للتو مكالمة من امرأة تدعى إيرما هيلي. أعتقد أنها في خطر. لقد اتصلت بالدورية؛ يجب أن يكونوا هناك في أي لحظة".

"من هي؟"

"تمتلك متجرا للخياطة. هي التي خاطت فساتين الضحايا".

"ما الذي يجعلك تعتقد أن هنا في خطر؟"

قالت جيسيكا وهي تمشي بخطوات سريعة عبر غرفة الجلوس إلى المطبخ: "شخص بدا مثل ماريا كوبونين حاول الدخول إلى متجرها". محفظتها موجودة بالضبط حيث تركتها، لماذا قد لا تكون هنا؟ كل شيء يبدو ضبابيا وغير واقعي. مرة أخرى، حياة إنسانة في خطر.

سأل يوسف متشككا بعد صمت لحظة: "تبدو مثل ماريا كوبونين.. امرأة؟".

"أجل. امرأة". طلبت ماريا كوبونين الفساتين بنفسها. برأيك ماذا يعني هذا؟".

"يجب أن أقول، يبدو الأمر غريبا حقا".

"أعطت ماريا كوبونين هيلي مقاسات النساء؛ لا بد أنها كانت على معرفة شخصية بكل الضحايا أو على الأقل عرفت مقاساتهن الدقيقة".

"لكن... كنا نبحث عن علاقة تربط بين النساء. وحتى الآن لم نجد شيئاً. ليس هناك هوايات مشتركة، ولا اتصالات بينهم... حتى أنهم لم يكن صديقات على الفيسبوك، وأخبرتنا لورا هلمنين أنها لم تسمع أبداً عن الضحايا الأخريات، ناهيك عن معرفتهن."

"ومع ذلك، عرفت ماريا كوبونين مقاساتهن."

"هذا لا يعني أنها عرفتهن. من الممكن أن شخص ما أعطاها قائمة بالمقاسات."

"من تعتقد؟". هل ماريا وروجر كوبونين شريكان في هذا؟ أهذا ما يجري هنا؟ هل ساعد روجر وماريا وغدا مريضاً في تنفيذ هذه المسرحية الدموية؟".
"جيسिका لقد ماتت ماريا كوبونين، لا أعتقد أنها كانت ستساعد عمداً من سيقتلها."

"لابد أن روجر هو الذي استخدم الفساتين."

للحظة لم يتكلم أي منهما. سألته جيسिका: "أين أنت؟".

"لقد شغلت للتو محرك السيارة. أنا متجه نحو أولانلينا."

"تعال واصطحبني."

"ماذا؟".

"تعال واصطحبني، أريد مرافقتك."

"لا، لن تفعل ذلك."

"بل سأفعل."

"ماذا عن إرني؟".

"ليذهب إلى الجحيم."

"أنا لا أعلم. ماذا لو كنتِ الهدف الحقيقي؟ ألن يكون من الذكاء أن تبقي خارج الميدان لفترة من الزمن؟".

"أشعر بأنني هدف أوضح هنا في المنزل."

"استقلي سيارة أجرة. وإلا فإن إرني سيوبخني بشدة...".

"اللعة، يوسف. إن لم تأتِ بسيارتك الخردة...".

"أنت ساحرة حقا، جيسكا".

"كم تحتاج لتصل؟".

"عشر دقائق".

"سأنزل".

قال يوسف: "انتظري". وسمعته يشغل جهاز اللاسلكي.

يمكنها سماع كل كلمة في الاتصال الواضح: واجهة العرض لمتجر في كوركيافورينكاتو. نحن نرى امرأة مستلقية على الأرض. إنها لا تتحرك، إنها لا تتفاعل مع طرفنا على الباب. سنستخدم القوة للدخول. تم استدعاء سيارة إسعاف بالفعل.

جيسيكا لقد كانت أوامري واضحة، هل تعتقدين أنني سأغض النظر عن هذا النوع من التصرف؟

أغلق إرني غطاء الولاعة، ومجّ من سيجارته بكل ما أوتي من قوة، ثم نفث الدخان الذي كان يدور لفترة وجيزة عبر جهازه التنفسي في نفس سريع من فتحتي أنفه الكبير المشعرتين. راقب إرني جدار منطقة التدخين في المقر الرئيسي. لقد اسودّ بسبب الأوساخ والأدخنة، وحتى الثلج المحبوس في تشققات العناصر الخرسانية غير قادر على تجميل المنظر. المبنى قبيح للغاية لدرجة أنه أصبح بمثابة منتدى رائع لموظفي الخدمة المدنية ضعيفي الخيال العاملين في الداخل، حيث يمكنهم تعزيز الأحكام المسبقة وحنون الارتياح لدى بعضهم. هناك شيء في شرقي ألمانيا يتعلق بالبنية الشنيعة؛ إنه يذكر بالاستازي أو أي منظمة استبدادية أخرى لا تحاول حتى إخفاء موقفها الانتقادي تجاه العالم من حولها. حقيقة الأمر، بالنسبة إلى المواطن العادي، إن القدوم إلى مركز الشرطة لمجرد تسليم طلب جواز السفر أمر مخيف. بالإضافة إلى المبنى، يجب أن يُلعب الدور بالطريقة البيروقراطية الصارمة التي تدير بها الوكالة الأمور. للخروج من هذا الوحش الأصفر الشاحب - ناهيك عن ذكر بقية لانسي-باسيلا، التي تم بوضوح تخصيصها وبنائها في حالة ذهنية غير مستقرة، مع إمساك القلم باليد للحصول على الإلهام من البطاقات البريدية التي تعرض مبنى بلاتنوتن.

صوت رنة. 37.9 اللعنة.

اللعنة عليك، جيسيكا.

طرف السيجارة يحرق سبابته وإصبعه الوسطى. بنصره يتجمد في الرياح الجليدية. الخنصر والإبهام مضمومان في قبضته.

6 شهور. إذا بدأت العلاج على الفور.

كان إرني يراقب هاتفه طوال اليوم؛ وعدته العيادة الخاصة بالاتصال بين الساعة بين الساعة الثامنة صباحا والثامنة مساء. بشكل عام، يتم إيصال مثل هذه الأخبار إلى المريض وجها لوجه، ولكن بسبب ظروف عمل إرني، ولأن المكالمات ليست سوى متابعة للأخبار السيئة التي تم إيصالها بالفعل، فقد تم ترتيب موعد هاتفني.

في الساعة الثامنة تماما، شرح طبيب الأورام الدكتور باجونن بشكل موجز أن الأشعة المقطعية لتجويف الصدر والخزعات من تنظير المعدة أكدت ما كان يُشك به: لقد انتشر، ليس إلى الكبد والعظام فقط، بل إلى المريء أيضا.

جيسيكا، جيسيكا.

بينما أنهى مكالمته، شعر إرني فجأة بسلام غريب: عندما أدرك أن الشيء الذي خشيه أكثر من أي شيء آخر في العالم قد حصل، توقف عن الخوف. إنه يشعر بالإرهاق وخيبة الأمل والصدمة بالطبع، ولكن في الوقت نفسه فإن معرفته بموته الحتمي تركته مرتاحا. لا مزيد من الأسئلة، لا مزيد من التخمين. سينتهي الأمر عما قريب.

أطفأ إرني السيجارة على حافة منفضة السجائر وأشعل أخرى.
لو أن جيسيكا تفعل ما طلبه منها.

دخل مايكل حاملا حقيبتى أوراق. رائحة خبز بيتا الدسم، زبدة، ثوم، ووافل الكزبرة تنتشر في غرفة الاجتماعات.

فتحت نينا علبة الفلين. "شريحة ضأن لراس...".

"وأنا أيضا أريد الضأن". انتشل مايكل الشطيرة من أمام راسموس، ولاحظت نينا تقاسم الغنائم بطرف عينها. ميكي ليس متسلطا بالمعنى التقليدي، بالرغم من أن بنيته الجميلة ومهارته اللفظية سيسمحان بذلك. وفي الجانب الآخر، راسموس، مع شعره المتساقط، والبقعة الصلعاء في رأسه، وظهره الأحدب، هو هدف سهل للغاية. في بعض الأحيان يبدو وكأنه يريد أن يُعامل مثل الممسحة، كما لو كان يعتقد أن ذلك هو السبب الوحيد لوجوده. لكن راسموس الآن ينظر إلى مايكل نظرة مشوّبة بالاستياء. ثم أمسك بحقيبة الأوراق، وفتحها بعناية.

قال مايكل: "من الواضح أن جيسي لم تستطع البقاء في المنزل". أمسك لفافة بيتا من علبة الفلين بكلتا يديه، وتناول منها قضمة كبيرة.

"كيف تعرف ذلك؟".

"سمعت إرني يصرخ عبر الهاتف. توجهت إلى كوركيافويرينكاتو".

"لا عجب في ذلك. كانت على الهاتف مع الضحية عندما حدث ذلك".

استمرت نينا بمراقبة الرجلين لثانية، بينما غطت لفافتا البيتا وجهيهما.

سأل راسموس: "أتظنّ أنها محضّ صدفة؟". مسح فمه بكمه. نظر مايكل إليه.

"كانت جيسيكّا في مركز الأحداث طوال الوقت. ثم أمرها إرني بالبقاء في المنزل. تحت مراقبة الشرطة الصارمة، ولكن سفك الدماء تبعها إلى هناك أيضا".

أومأت نينا، ونظرت إلى مايكل. ما من شك أن راسموس محق. من بين الجميع، كانت جيسيكّا الشخص الذي ترأس كل شيء منذ البداية، قام بالعمل

الأساسي بشكل أفضل من أي شخص آخر يعمل من المركز.

أخيرا قالت نينا: "أمل أن تكون آمنة". شبكت ذراعيها أمام صدرها. لطالما أحببت جيسيكا ونزاهتها والتزامها المطلق بفعل ما تعتقد أنه الأفضل في حالة معينة. حاولت التقرب منها من حين إلى آخر، ولكن لسبب ما أرادت جيسيكا الحفاظ على مسافة معينة بينها وبين زملاء عملها. حتى ذلك الحين، تمكنت من القيام بذلك بأدب، من دون إيذاء مشاعر أي شخص.

"جيسيكا تستطيع الاهتمام بنفسها". أو ما مايكل إلى اللوح والصورة الجديدة التي وضعها راسموس. "إيرما هيلي، الضحية رقم سبعة".

قالت نينا وهي تتجه إلى اللوح: "المجموعة غير متجانسة من عدة نواح".
سأل مايكل: "مثل ماذا؟".

"حسنا، في المقام الأول، لا يزال اثنان من الضحايا مجهولي الهوية. واثنان منهم رجال. وارتدت ثلاثة نساء فساتين متطابقة. ورابعا إذا حسبنا لورا هلمنين ضحية، فليس هناك قاسم مشترك هنا".

سأل مايكل: "طلبت ماريا كوبونين خمسة فساتين. ماذا لو كانت سانا بوركا ترتدي أحد الفساتين قبل أن تحرق؟ هل بحث أحد في ذلك؟".

"يستحسن أن ننظر في الأمر". كتبت نينا السؤال على اللوح. "مقاسات جميع الفساتين مكتوبة في دفتر طلبات إيرما هيلي. يمكننا التحقق إذا صُنع أحد الفساتين بحسب مقاسات بوركا".

قال مايكل بشك: "حقيقة أن سانا بوركا هي التي شرعت في إيصال كوبونين إلى هلسنكي تجعل من الأمر يبدو صدفة".

سأل راسموس: "هل هي كذلك؟ ألسنت أنت من رفض هذه الفرضيات الخطيرة في وقت سابق اليوم؟". ونظر إلى مايكل. وجد راس جانبا جديدا تماما لنفسه، وجرأة تجعل نينا تبتسم في ارتياح. إنها تحب ميكى، لكنها تستمتع في بعض الأوقات التي يُوبخ فيها لأنه متعطر، خاصة عندما تأتي التوبيخات من جهة غير متوقعة. "برأيك كيف خطط لضمان مشاركة بوركا؟ وبحسب ما أذكر، فإن قرار

إحضار كوبونين إلى هلسنكي اتخذ عفويا من قبل إرني".
قاطعته نينا: "إنه يعاني من تأنيب الضمير بسبب ذلك".
"حتما".

لكن راسموس حقق تقدما: "تذكر، بوركا كانت توصل كوبونين. رجل يشتبه في هذه اللحظة بأنه لعب دورا رئيسيا في موجة القتل. ربما تمكن كوبونين بطريقة أو بأخرى من التأثير على اختيار الشخص الذي سيوصله من سافونلينا إلى هلسنكي في منتصف الليل...".

صرخ مايكل فجأة: "اللعنة!". وقف وبصق طعامه في راحة يده. "ما هذا بحق اللعنة... لقد سقطت سني". مسح خده للحظة، ثم دس إصبعه في نصف الشطيرة الممضوغة في يده.

سألت نينا: "ماذا الآن؟".

"هنالك حجر أو شيء ما في هذه". دفع مايكل سبابته في فمه وبعد وقت قصير حمل القليل من العظام البيضاء ليراها الآخرون.
"هذا جنون".

قال راسموس متفاجئا: "هل فقدت سنا؟".

أجابته مايكل وهو يتحسس أصبعه جميع زوايا فمه: "لا...". مرت لحظة صمت. ثم دفع راسموس شطيرته بعيدا، شاعرا بالغثيان.

"هناك شيء في شطيرتي أيضا". بصق راسموس في قبضته.

"ماذا؟ ما هذا؟". أخذت نينا شطيرتها عن الطاولة وفتحت غلافها.

لاحظت أن راسموس على وشك التقيؤ، وشعرت مثله.

وقف مايكل ويداه مشبوكتان خلف رقبتة: "أسنان السيد إكس".

ركعت جيسيكا إلى جانب المرأة على الأرض. كانت واجهات العرض الكبيرة في المتجر مغطاة بأغطية بلاستيكية، ولكن وميض الأضواء الزرقاء لسيارات الطوارئ اخترقها.

قالت جيسيكا: "أمر مباشر للغاية"، وذلك أصابعها داخل القفازات المطاطية. إيرما هيلي ممددة على بطنها وذراعاها على جانبيها. هناك كدمة كبيرة على الجهة الخلفية من رأسها. على بعد بضعة أمتار رأت ما تظن أنه سلاح الجريمة: قضيب ستارة نحاسي، أحد طرفيه ملطخ باللب الأحمر.

قال يوسف بصوت منخفض: "هذا يختلف عن جميع عمليات القتل الأخرى، لم يذكر هذا في أي من كتب كوبونين"، وابتعد عن طريق أحد رجال الأدلة الجنائية الذي يرتدي بذلة عمل بيضاء مؤلفة من قطعة واحدة. المتجر الصغير مليء برفوف الملابس، وهذا ما صعب التنقل بداخله. الباب مغلق، ولكن حتى مع ذلك يتحدثون همسا، كما لو أن للجدران آذانا. من يعلم؟ ربما لديها آذان. لا شيء مستحيل بعد الآن.

"بكلمات أخرى، هذه جريمة القتل الأولى التي لم يتم التخطيط لها بعناية".

"لكنها لا تزال مرتبطة، بلا شك، بعمليات القتل السابقة".

"بالتأكيد. أضف إلى ذلك أن الجاني امرأة؛ امرأة تشبه بعض الضحايا".

"ربما أرادوا إسكات إيرما هيلي".

"لكن لماذا انتظروا حتى الآن؟ كان بإمكان هيلي أن تتصل لتدلي بمعلوماتها

في وقت سابق اليوم".

سأل يوسف وهو يتجه إلى الحاسوب على المكتب: "ما هي المعلومات التي

نتحدث عنها هنا... مقاسات الفساتين التي طلبتها؟".

"طلبت ماريا كوبونين خمسة فساتين، وحتى الآن وجدنا أربعة منها، يمكننا افتراض أن هنالك ضحية لا تزال تنتظر أن تلبس فستانها". مسحت جيسيكا المتجر بعينها. هناك مدخل في الجزء الخلفي يؤدي إلى غرفة عمل تشبه القبو تحتوي على آلتين من آلات الخياطة الكبيرة. سألت: "ذكرت هيلي مفكرة عندما كانت تتحدث إليّ عبر الهاتف. هل ترى شيئاً من هذا القبيل؟".

أجابها يوسف وهو يلتقط صوراً للمكتب بهاتفه: "لا، لكنني أرى الكثير من الأقلام".

تنهّدت جيسيكا، وألقت نظرة خاطفة على هاتفها. "لقد اتصلت إرني مرتين".
"هل حدث شيء آخر؟".

"إرني غاضب ومنزعج لأنني لم أنفذ الأوامر".

قال يوسف مطرطقا أصابعه: "لديه السلطة ليقفك عن العمل".

"لن يوقفني. ليس الآن، بينما الأمور فوضوية جداً".

سأل يوسف ويدها على وركيه: "لنأمل ذلك. ماذا تريد أن تفعلني؟".

"لنذهب إلى المركز، ونعمل على إيجاد حل لهذه القضية قبل أن يموت شخص آخر".

أغلق يوسف معطفه: "حسناً، لنذهب ونتناول الطعام في طريقنا. أليديك بعض

النقود؟".

رفعت جيسيكا قبعة سترتها على رأسها. "في الواقع، لقد وجدت بطاقة

اثمانك. كانت في جيب معطفي".

جلس إرني إلى الطاولة محققاً إلى قبضتيه المحكمتين. إنها الحادية عشرة والرابع مساءً، والفريق مجتمع في غرفة الاجتماعات مرة أخرى. جلس راسموس إلى الطاولة، بدا وقوراً، يبدو أنه يعد أصابعه. ثبتت نينا عينيها المتعبتين على مصابيح الفلورسنت في السقف.

على مدار حياته المهنية الطويلة في تطبيق القانون، واجه إرني ميكسون العديد من الحالات التي لم يجد لها حلاً بالرغم من الجهود الحثيثة، لكن هذه القضية أكبر بكثير من أن توضع في مجلد القضايا التي لم تُحل. إذا حدث الأسوأ، سيستمر التحقيق لفترة طويلة بعد أن يودي المرض بحياته. فجأة بدأ المرض العضال وكأنه حكم بغير ذنب، تذكراً إلى مكان أفضل حيث لا مكان للشر. فُتح الباب ودخل مايكل الغرفة.

سأل إرني: "حسناً؟". لا يزال راسموس ونينا يبدوان شاحبين.

"قبضت على رجل توصيل الطعام، وأمرت مدير المطعم أن يغلق أبوابه. أكد المدير لي أن الطعام سُلّم مباشرة من المطبخ إلى رجل التوصيل، وما من طريقة للوصول الأسنان إلى الطعام في المطبخ".

"بأي مرحلة...".

جلس مايكل: "في أي مرحلة. ستمكن من سماع ما سيقوله موظف التوصيل قريباً".

"أين الأسنان؟".

"صورت وسلمت إلى سارفيلينا. لا أعرف ما إذا كانت ستمكن من الحصول على أي شيء مفيد منها".

ومضت مصابيح الفلورسنت على السقف عدة مرات.

قال مايكل وهو يفرك مفاصله: "هذا متعب جدا يا إرني، إلى متى يفترض بنا أن نتحمل هذا؟".

رفع إرني حاجبه وصرخ: "لماذا تسألني؟ أنا لست الشخص الذي وضع أسنان رجل ميت في شطائر البرغر".

تمتم راسموس: "كانت لفافة بيتا".

قال إرني بصوت عال: "لا يهمني ماذا كانت!". ثم سعل عدة مرات في قبضته وأكمل بصوته الأجش: "يبدو أنك تريد إحضار كارلستيدت وليتنن، لا أعتقد أن ذلك سيغير أي شيء".

بعد تفكير عميق قالت نينا من دون أي قلة احترام: "لكن يا إرني، عليك الاعتراف بأن الوقت ينفد. ربما كان وضع هذين الرجلين تحت المراقبة فكرة جيدة في وقت سابق اليوم، ولكن في ضوء ما حدث، لا أعتقد أننا سنفوز بأي شيء بتلك الطريقة بعد الآن".

"خاصة أنهما يعرفان أننا نراقبهما. أصبح ذلك واضحا بشكل لا يدع مجالا للشك عندما..."

قال إرني: "عندما استمعنا إلى التسجيلات"، وسعل في قبضته. يمكنه تذوق البلغم الخارج من قصبته الهوائية، وتمييز طعم الدم على لسانه.
"كم يجب أن يبلغ عدد القتلى؟".

نظر إرني إلى الثلاثي الجالس حول الطاولة، وشعر بالخواء التام. ربما جعلت مكالمته الطيب كل شيء بلا معنى حقا. أغمض عينيه، وأدرك فجأة أن معرفة المرء أنه سيموت ليست أسوأ ما يمكنه أن يعرفه بل متى سيموت، يمكن للمرء أن ينسى أنه فان حتى اليوم الذي يُبلغ فيه كم بقي له من أيام قبل أن يغادر هذه الدنيا. موعد نهائي. ربما كان يريد مغادرة العالم فجأة، كرجل سليم. نوبة قلبية على مسار التزلج، أو أثناء نومه. حادث سيارة وهو يستمع إلى موسيقى جميلة.

قال إرني: "لنتحدث عن ذلك في غضون دقيقة، بعد وصول جيسيكا ويوسف إلى هنا". أعرب الآخرون عن موافقتهم. من الواضح أن قطع الذئاب

قد شتم رائحة ضعفه. الانتقاد وتجاهل الأوامر المباشرة لم يكونا مسموعين منذ فترة قليلة.

أخيرا قال إرني: "راسموس"، مبتلعا طعاما كريها في فمه.

في تلك اللحظة، فتح الباب ودخلت جيسिका، تلاها يوسف.

ألقى إرني نظرة خاطفة على المحققة الرئيسية، ولكنه قرر تأجيل خطاب التويخ الذي أعده لوقت لاحق. واكتفى بالقول: "اجلسا. سيتحدث راس".

ضغط راسموس نظارته بقوة أكبر على أنفه، ورتب بتردد ياقه سترته الرمادية. على مدار اليوم، حصل راسموس على جرعة كبيرة من الثقة بالنفس من مكان ما، لكن الطريقة التي ينظر بها مثل الكلب الذي ينتظر أن يُعطى الأوامر لا تزال ترافقه.

"في الحقيقة، إن مقتل الخياطة، بالرغم من أنه ليس جريمة ذات طقوس، يمكننا العثور على ذكر لها في الثلاثية". مدّ راسموس يده إلى كدسة سميكة من الأوراق، وسحب مصنف أوراق، صفحاته مليئة بأوراق الملاحظات المتعدد الألوان. ثم قرأ بصوت عال.

لكن الظلال الغريبة عادت حيث ظهرت منذ برهة، بسلاسة وبسرعة، لدرجة أن إستر لم تعد متأكدة حتى أنها رأتها. علمت إستر أنها وحدها، لأنها أغلقت الباب بعد أن غادر الزبون الأخير. لم يسبق لها أن شعرت بالخوف في متجرها، لم تسمح أبدا لمخيلتها بالجنوح كثيرا ولا أن تعبت بأفكارها. لقد تغير شيء ما. ربما كان ذلك بسبب ما شاهدته في وقت سابق من ذلك اليوم. إنها تفهم أن ذلك لم يكن محض صدفة. شعرت بالقشعريرة تسري في جسدها. قبل أن تتمكن من تفسير ما أدركته للتو، نظرت إلى الخارج عبر الأبواب الزجاجية ورأت شيئا لا ينتمي إلى المكان. للحظة أصبحت ملامح ذلك الشيء انعكاسا لملامحها على الباب الزجاجي. ولكن بعد ذلك تحرك الشيء، وتحول إلى كيان مستقل.

قال راسموس: "في الفصل التالي، تجد الشرطة إستر ميتة في متجرها. لقد قتلت بضربة على الرأس"، وأغلق الكتاب.

"لماذا لم يحدث ذلك في وقت أبكر؟ إن الخياطة...".

ضحك راسموس بشدة لدرجة أن يوسف ترك الجملة غير مكتملة.

"إستر ليست خياطة. ولا توجد أي أوجه تشابه أخرى بين جريمتي القتل. فقط في طريقة القتل. ضربة على الرأس، التي يصادف أن تكون الطريقة الأكثر شيوعاً في العالم لقتل شخص ما".

"لكن قيل في الرواية أنها رأت شيئاً. شيئاً قد فهمت معناه مباشرة قبل أن يقتلها أحدهم".

صوت جيسيكا أيقظ إرني من حالة تركيزه العميق. "نعم، هذا هو الدافع لجريمة القتل في كتاب كوبونين، لكن ليس لها أي تشابه مع ما حدث اليوم. في الكتاب، ترى إستر الكاهن المسؤول يُقبل امرأة يشتبه في كونها ساحرة".

"ويقتلها الكاهن؟".

"أجل. لا يستطيع الكاهن السماح لعلاقته بالساحرة المشتبه بها بالخروج إلى العلن، لذلك يتسلل إلى مخبز إستر ويقتلها".

"إذن قُتلت إيرما هيلي على يد كاهنة لها علاقة سرية مع الكنتور؟".

مزحة مايكل تكسبه بعض الابتسامات.

قال راسموس: "يحتمل أن هذه الجريمة ارتكبت لأن إستر الخبازة كانت قد قُتلت في الكتاب". حرك لسانه حول فمه كما لو أنه يبحث عن شيء ما.

فجأة قال إرني: "لا تزال هناك جثة مفقودة".

تابع راسموس: "هذا صحيح". "لم يُطعن أحد بالخنجر بعد".

أوماً إرني بكسل، ورفع مرفقيه إلى الطاولة، وأسند رأسه إلى يديه. "لذا يمكننا الافتراض أنه في هذه اللحظة، يرقد رجل في مكان ما في فنلندا - من المحتمل أن يكون في منطقة ما من العاصمة هلسنكي - وفي صدره خنجر. ولم نعثر عليه بعد".

اعترض راسموس: "من يقول إن الجريمة قد حدثت بالفعل؟". نظر إلى الطاولة، ودون شيئاً في دفتر ملاحظاته.

قال مايكل: "سمعت ما قاله راس يا إرني"، مستخرجا علبة علكة جديدة. "إحضار هذين الأحمقين إلى المركز قد يساعدنا في إنقاذ حياة شخص مسكين".

رد إرني بهدوء: "كيف تخطط لاستخراج المعلومات حول الضحية التالية منهما؟ أتريد أن تبرحهما ضربا حتى يعترفا؟".
"إن كان ذلك ينقذ حياة رجل بريء. بالتأكيد".

أشار إرني بإصبعه إلى مايكل: "حسنا، فلنفترض أن كلامه صحيح؛ رجل مسكين. هل نحن متأكدون أن الضحايا أبرياء ومساكين حقا؟".
قطبت نينا جبينها: "على الأقل إنهن لسن ساحرات؟".

"لم تطلب ماريا كوبونين فستان موتها فحسب، بل طلبت فساتين الموت لعدة نساء أخريات. هذا لا يبدو لي بريئا على الإطلاق".

قال يوسف متتبعا شريانه الرئيسي بإصبعه: "أوافق، إنه أمر غريب حقا، لكنني كنت لأفترض أيضا أن ماريا كوبونين تتبع تعليمات شخص آخر، ولم يكن لديها أدنى فكرة عن سبب طلبها للفساتين السوداء من إيرما هيلي".
قاطعها مايكل: "تعليمات زوجها بالطبع".

قال إرني: "ربما". ووقف. "أعتقد أنكم بحاجة إلى التحدث إلى لورا هلمنين مرة أخرى. اجعلوها تتكلم بأي طريقة. لأنه إن كانت هلمنين تخفي شيئا ما، إن كان لديها أي علاقة مع سائر الضحايا، فنحن بحاجة إلى معرفة هذه العلاقة. اللعنة".

"أنت محق يا إرني". ضمت جيسيكا أطراف أصابعها معا تحت ذقنها. "إن كان ما يربط بين ضحايا مطاردي الساحرات شيء غير شرعي أو غير قانوني... فإن لورا هلمنين لديها سبب للكذب".

"بالضبط".

"سأهتم ويوسف بأمرها".

قال إرني: "كوني حذرة يا جيسيكا. لم يتغير شيء منذ ظهر اليوم. تأكدي من ألا تغضب مجددا".

سأل مايكل: "ماذا عن كارلستيدت ولитتن؟".

نظر إرني إلى مساعده. وهو يمضغ علكته، بدا الرجل وكأنه بقرة كبيرة بريئة. ربما كان مايكل على حق. عليهم البدء في أخذ الخطوات الخطرة الآن، وربما قد يتخلى عن معركة الهيمنة.

"حسنا. تأكد من جلبهما من منزليهما في الوقت عينه".

الرقم الصادر: +3584002512585

وقت المكالمة: 23:31:22

(طلب الرقم)

تورستين كارلستيدت (ت.ك): مرحبا.

(عدة ثوان من الصمت)

كاي ليتنن (ك.ل): هل يبدو لك أن شيئا ما على وشك الحدوث؟

ت.ك: مضحك أنك تسأل. إنه كذلك بالتأكيد.

ك.ل: أعتقد أنه من الأفضل أن نبدأ بإعداد أنفسنا.

ت.ك: ما زلت لا أرى أي شيء بعد...

ك.ل: فقط انتظر يا صاح.

(توقف مطول)

ت.ك: ربما لن نتحدث لبعض الوقت.

ك.ل: هذا محتمل.

ت.ك: كن بخير يا صاح.

ك.ل: أنت أيضا.

صدر صوت من ممتص الصدمات في سيارة الفولكسفاغن عندما سقطت السيارة التي يقودها يوسف في إحدى الحفر. ركزت جيسيكا عينيها عبر مرآة الرؤية الخلفية لترى على الفان التي تتبعهما.

لعن يوسف: "تبا... ها نحن نصطدم".

"لا داعي للهرج فالفان الذي يتبعنا سقط هو الآخر في الحفرة".

دخل يوسف بالسيارة إلى أمام مستشفى تولو، وركنها أمام الأبواب مباشرة. نظرت إليهما إحدى الممرضات التي كانت تدخن في الخارج.

قال يوسف بصوت متحفظ: "شرطة"، بينما ركن الفان خلف سيارته.

صرخت الممرضة وهي تخرج الدخان من أنفها: "أهي حالة طارئة؟ إن لم يكن كذلك، فاذهب واركن سيارتك حيث يفعل الجميع".

نظر يوسف إلى المرأة، ضحك وهز رأسه. "ما كل هذه السلبية في هذه الأيام...".

قالت جيسيكا: "إن العالم مكان قذر". مشيا جنبا إلى جنب عبر الأبواب المنزلة. مشى العناصر ذوو البذلات خلفهم بنحو عشرة أمتار. عبر يوسف وجيسيكا البهو الفسيح، حيث وضعت على الأرض خطوط ملونة لإرشاد الزوار.

قالت جيسيكا: "اسمع يا يوسف". وهي تضغط زر المصعد "تبدو لورا هلمنين شخصا يافعا يعاني من صدمة عميقة، وتلك الصدمة جعلت من استجوابها في السابق مستحيلا".

"وماذا يعني هذا؟".

نظرت جيسيكا إلى حذائها منتظرة أن يفتح باب المصعد. كان فارغا، فدخلا. بدا أن دورية الشرطة التي أرسلت لضمان سلامة يوسف وجيسيكا، ستبقى في البهو، لأن

إرني منع أفراد الدورية من اللحاق بالمحققين إلى غرفة لورا هلمنين في الأعلى.

أكملت جيسيكا كلامها لحظة انغلاق باب المصعد: "كل الأدلة تشير إلى أن إيرما هيلي قُتلت على يدي امرأة تشبه النساء الضحايا، ومن بينهن لورا هلمنين، في القوام والمظهر).

"كانت لورا هلمنين في المستشفى طوال الوقت".

"بالطبع، وهذا لا يعني أن الجاني ليس أنثى".

همهم يوسف وأوماً برأسه ببطء: "حسنًا، لقد افترضنا أن الضحايا هن من النساء حصرا".

أومات جيسيكا برأسها وتحول نظرها إلى البشرة الممزقة حول رأس إصبع السبابة في يدها اليمنى. بدا أن شيئًا قاله يوسف قد ضايقها، فنظرت إليه وقالت: "مهلا، ما الذي قلته للتو؟".

"هذا ما قصدته، أليس كذلك؟ لقد افترضنا أن الجناة رجال؟ أنه مجرد رجل سادي لا أكثر..".

قالت جيسيكا أثناء صعود المصعد إلى الطابق السادس من دون توقف: "أجل، لكن طريقة طرحك للموضوع - وذلك قد تم من دون قصد على ما يبدو - كانت عبقرية حقًا".

"ما الذي قلته بالضبط".

"افترضنا أن الضحايا هن من النساء حصرا".

"لقد ظننا الجناة رجالا يريدون معاقبة ضحاياهم من النساء بطريقة ما. ولكن ماذا لو تبين بأن الجناة نساء؟".

أصدر المصعد صوتًا، وذكر صوت آلي أنثوي رقم الطابق، ذكر هذا الصوت جيسيكا بفيديو اليوتيوب، بالإعادة الروتينية للكلمات اللاتينية.

"ولكن حقيقة أن ماريا كوبونين هي من طلبت الملابس..".

"لسبب ما افترضنا مباشرة أن روجر كوبونين تلاعب بزوجه، إن هذا تفسير عادي، بالطبع، فلا أحد يريد أن يخطط لقتل نفسه".

فُتح باب المصعد، وبدا الممر هادئاً على غير العادة.

قال يوسف برقة ممسكا بمعطف جيسिका من الخلف: "انتظري، هل تقصدين أن لورا لم تكن ضحية فقط، بل الجانية أيضاً؟".

حدقت جيسिका إلى يوسف من دون أن تنطق بكلمة، ثم هزت رأسها وضحكت بأسى: "نعم، في الواقع، هذا بالضبط ما كنت أقوله. هل فقدت عقلي؟".
"أجل، لطالما كنتِ مجنونة. لكن هذا لا يعني أنك لست محقة".

أغلق باب المصعد خلفهما؛ تنهدت جيسिका وعيناها تراقبان الممر. باب غرفة الممرضات مغلق، ضوء ساطع يضيء في الداخل. عند نهاية الممر، وقف حارس أمام باب غرفة لورا هلمنين. إنه تيو.

"حسنًا يا جيسिका، لنفترض أن هلمنين تعرف أكثر مما تقول. كيف يجب فتح ذلك الحديث معها من دون حصول أية مضاعفات، بطريقة أو بأخرى؟".

نظرت جيسिका إلى يوسف نظرة فاحصة: "إن فكرة كون شخص ما قد سمح لآخر بخطف أحدهم وتخديره، ثم إغراقه بمياه مثلجة، هي غير محتملة لدرجة أنها لن تخطر على بالنا حتى كبديل، وهذا يعني أن علينا القيام بتجربة صغيرة بأنفسنا".

أوقفت نينا سيارتها أمام منزل كبير في ويستلاند، المنزل الذي يبدو على الأقل ظاهريا أنه ينتمي لحقبة زمنية ويشبه منزل آل كوبونين في كولوزاري. لم يزر مايكل أو نينا منزل آل كوبونين من قبل، أو أي من مواقع الجرائم العديدة في هذه القضية. لكن نينا أمعت النظر جيدا لمئات إن لم يكن لآلاف الصور التي عاد بها الآخرون أو التي كانت ترسل إلى المقر. لقد أصبحت تعرف مكان إقامتي كل من كوبونين وفون بونسدورف.

"برأيك كيف وصلت أسنان السيد إكس إلى طعامنا؟".

"لا أدري، ولكنني أعرف أن ذلك الأخرق.."، أو ما مايكل باتجاه المنزل "هو من اقتلعها من فم الضحية الليلة الماضية".

حركت نينا شفرات مكيف الهواء لينفس ناحية الزجاج الأمامي، الذي غطاه الضباب مرة أخرى.

"هل سترافقيني؟". سألتها مايكل أثناء تأكده من كون أحزمة الفليكترو بسترته مشدودة. إنهم يفترضون بأن استخدام القوة خلال الاعتقالات التي ستجري اليوم لن يكون ضروريا.

قالت نينا، وهي تنظر على المنزل: "اذهب أنت معهم". انعكاس أضواء الطوارئ الزرقاء عبر الجص الأبيض ذكرها بعمل فني ضوئي معاصر. لمعت الأضواء الساطعة تقريبا في جميع النوافذ.

سألت نينا وهي تشير إلى واجهة زجاجية في الطابق الثاني تمتد من الأرض إلى السقف: "أهذا هو. ارتدى الرجل بنظالا رياضيا أبيض ووضع وشاحا صوفيا أسود. أجابها مايكل وهو يضع العلكة في فمه: "اللعنة، إنه تورستن".

رفع تورستن كارلستيدت يده محييا.

"ماذا يفعل، بحق الجحيم؟".

همهم مايكل: "إن أمثاله ينتمون إلى الجحيم". ألقى نظرة خاطفة على ساعته، إنه منتصف الليل. رنّ هاتفه، ردّ على الهاتف بكلمة واحدة وأغلق الهاتف. المجموعة التي تحركت إلى منزل كاي ليتنن جاهزة للتحرك الآن. فتح الباب وقال: "ستكونين قادرة على استجوابه قريباً".

شعرت نينا بنسمة باردة على وجهها، أغلق مايكل الباب، وانضم إلى المجموعة المكونة من أربعة رجال. شاهدتهم يتقدمون عبر الفناء الأمامي. لحظة وصولهم إلى الباب، بدأ أحدهم بالالتفاف إلى الخلف. لاحظت نينا أن ساقها ترتجف بلا توقف. من المستحيل أن يحاول كارلستيدت الفرار، لكن أي شيء آخر محتمل. أيعقل أن يكون هذا فخاً؟ هل سيفجر المنزل وهو بداخله لإحداث مزيد من الفوضى؟".

اختفى كارلستيدت عن الواجهة الزجاجية. بعد دقيقة فتح الباب الأمامي، ووقف عند العتبة، ولم تستطع نينا وصفه إلا بالهادئ جداً، كان هادئاً بشكل كامل. رآته نينا يتوارى للحظة ثم ظهر مرتدياً سترة حمراء فضفاضة مصنوعة من الفرو، ورافقهم إلى الفان من دون إحداث بلبلة، ما إن دخل كارلستيدت عبر الباب الخلفي للفان، حتى تنفست نينا الصعداء وأغمضت عينيها.

فتح مايكل الباب وجلس إلى جانبها. أبقت نينا عينيها مغمضتين، لكنها ستذكر صوت مضع العلكة في نومها.

قال مايكل وهو يفتح سحاب معطفه: "يا له من رجل بغيض".

نظرت إليه نينا باستغراب: "من خلال النظر إلى وجهه يمكنك أن تستنتج أنه مذنب".

"هل كُتِبَ على جبينه أنه مذنب؟".

"أجل، وبأحرف كبيرة. بالإضافة، إلى أن من يدعى تورستن لا بد من أن يكون هناك من خطب فيه". مد مايكل يده فابتسمت نينا وأمسكت بها.

سألها: "هل كنت قلقة؟".

أجابته: "لا تظن، أن ما أقدمت عليه سيجعلك بطلا بنظري. لقد كنتم كمن يلعب بالدمى في ذلك الفناء، كانت الخطورة منعدمة في هذا الاعتقال".
"اللعنة، ألم تشاهدي ما حصل؟ كانت حياتنا عرضة للخطر، حاول تورستن قتلي بالثوم".

ضحكت نينا وشغلت محرك السيارة: "هل كانت عملية الاعتقال في فانتا درامية مثل هذه؟".

"يبدو أن ليتنن اقتيد إلى السيارة من دون أية مشاكل".
قالت نينا في الوقت الذي ابتعدت فيه عربتا الفان: "أيها الأحمق، يستخدم الثوم لمنع مصاصي الدماء من الاقتراب، وليس الساحرات".
"اعذري جهلي، أظن أن عليّ مراجعة معلوماتي المتعلقة بهاري بوتر".

انهضي يا جيسيكا.

بدأت أمي أكثر جمالا مما بدأت عليه منذ أعوام مضت.

"ماذا يا أمي؟"

"سنخوض غمار مغامرة".

دأبت الأم شعر جيسيكا. دخلت شمس الصباح الشقة عبر الستائر، ورفعت جيسيكا رأسها عن الوسادة. لقد استيقظ أخوها الصغير، وها هو يفرك عينيه الناعستين بجانب سريره. ووقف أبوها عند الباب، يبدو قلقا، وربما غاضبا. لقد رأت جيسيكا هذه النظرة على وجهه مؤخرا.

"إنه يوم السبت".

عاودت أمها التحدث، ولم تكن واثقة مما عنته، فهم لا يخوضون مغامرات نهار السبت، بل غالبا ما يمضون وقتا مرحا مع أبيها في المسيح، في الآونة الأخيرة تمضي والدتهم جل وقتها في العمل.

"هيا يا أولاد، جهّزوا أنفسكم الآن".

لا تزال الأم تدأب شعر جيسيكا. مست أناملها شحمتي أذني ابنتها مرسلتين رعشة دافئة إلى عنق الفتاة، فابتسمت أمها. ولكن هناك شيئا غريبا في تعابيرها. تمتهن الأم التمثيل، لقد شاهدتها ابنتها عدة مرات على التلفاز، وعرفت أن عمل أمها يفترض بها الادعاء أنها شخص آخر، سواء على المسرح أو في التلفاز أو في السينما. إن براءة الأم حالت في بعض الأحيان دون قدرة جيسيكا على تمييزها على الشاشة.

سألت جيسيكا أمها ذات مرة كيف تستطيع تأدية دور شخص حزين.

فأجابتها: "عليك التفكير بشيء مُحزن".

نهضت الأم عن حافة السرير وابتعدت، عبرت بجانب الأب إلا أن أعينهما لم تلتقيا، كما لو أن كل واحد منهما خفي عن الآخر. رأت جيسيكا حقيبة عند الباب. يبدو أن دور الأب قد حان الآن للجلوس عند حافة السرير شابكا ذراعيه عند صدره.

"سيكون كل شيء على ما يرام يا جيسي ويا توفى".

ابتسم الأب ابتسامة حزينة، وكانت حقيبة أكثر من ابتسامة الأم، إن أردنا المقارنة بينهما الأب أكثر براعة في التمثيل.

"تعال إلي أنت أيضا".

ارتدى أخوها بارتباك قميصا قطنيا أسود مرسوما عليه غوست باسترز⁽¹⁾ وتدرج فوق سريرها.

نظر الأب إليهما، قاوم رغبته بمعانقة كل واحد منهما بمفرده، واستنشاق رائحته.

"لماذا تبكي؟".

شهق الأب لدقيقة، ثم مسح أنفه بكم سترته السوداء.

"يجب على أبيكما الرحيل لبعض الوقت".

"لماذا؟".

"لقد قررتُ وأمكما أن هذا أفضل للجميع".

شعرت جيسيكا بضغط هائل على صدرها. أمسكت بيد أبيها، هي تعرف أن الأمور ليست على ما يرام. خيم الهدوء المريب لفترة طويلة على المنزل الكبير، بالأمس ظلت وتوفى مستيقظين حتى وقت متأخر، وسمعا صراخا وضربا، عندما ظنت جيسيكا أن جدار الصمت قد انهار أخيرا، تبين لها أن خطبا ما قد حدث، لكن عندما قال الأب إنه راحل، تمنى لو أن الصمت لا يزال مخيما، وبقيت الأمور كما كانت.

(1) "صائدو الأشباح" فيلم كوميدي أُنتج في الولايات المتحدة وعرض عام 1984. الفيلم من تأليف دان أيكرويد (الترجم).

"هيا بنا، لتتناول شيئاً في المطار".

ذاكرة الطفل ابن الستة أعوام تكون انتقائية. من وجهة النظر هذه، يستحيل على جيسيكا أن تخمن ما حدث في الدقائق القليلة التي تلت ذلك، هل جرت هذه المحادثة في السيارة، وهل ما سمعته في المقعد الخلفي كان حقيقياً أم محض خيال، هل اعتادت اللجوء إلى الخيال من أجل ملء الثغرات في ذكرياتها. لكن هناك أشياء تتذكرها بشكل واضح، مثل أصابع أخيها الصغير الملتفة حول أصابعها، وعينا أمهما الغامقتان اللتان تظهران عبر مرآة الرؤية الخلفية.

انظري إلى المرأة، انحنت جيسिका فوق المغسلة ونظرت إلى انعكاس صورتها في وسط الإطار الذهبي. من الصعب رؤية عينيها الغامقتين وراء خصل شعرها الغامق المنسدل على جبينها.

سالت المياه الدافئة من عنقها إلى ظهرها، وتوقفت عند المنشفة الملفوفة فوق صدرها.

سارت جيسिका إلى النافذة المفتوحة. قنوات مورانو ساكنة، تكون أعداد السياح في أكتوبر أقل بكثير مما هي عليه في الصيف، بالرغم من كون الخريف أنسب وقت لزيارة المدينة. ففي هذا الوقت في هلسنكي تصفر أوراق الأشجار، وتملأ أسراب الطيور المهاجرة السماء.

صبيحة هذا اليوم، تكون أربعة أشهر قد مرّت على عودة جيسिका من البنديقة. تبدو الآن خططها للتجوال في أوروبا وقضاء الصيف في سان ميشيل بعيدتين بمقدار بعد لوس أنجلوس الآن. لسبب ما مضى الوقت بسرعة فائقة، هناك فترة مبهما غير واقعية، تفصل بين هذه الصبيحة، وصبيحة اليوم الماطر الذي حزمت فيه حقائبها في شقة كولومبانو، يومها كانت ذراعاها مكدومتان، وحلقها مرضوض، وفرجها دام. يومها أوقفها عند الباب، وقبلها بعنف، تمنّت من صميم فؤادها أن تكون تلك القبلة كافية بالنسبة إليه، ليدرك أنها النهاية، وأن عليها الرحيل.

"أتمنى لك رحلة سعيدة يا زيسिका. تذكري ما قلت، إن قصتك لن تؤثر في أحد لذا من الأفضل إبقاؤها سرا".

عانقها ووضع خدّها على صدره المليء بالوشوم. كانت رائحته تنته، وإيماءاته رقيقة، كما لو أنهما أمضيا ليلة خالية من النوم وملينة بالحميمية. لم يكن هناك دليل على ارتياب أو ندم. كأن اغتصابا لم يحصل، وكأنهما عاشا علاقة حميمة

قصيرة ثم انفصلا، من دون أي خلافات، من دون أي دراما. هكذا تكون الحياة في بعض الأحيان.

"يؤسفني أن الأمور انتهت على هذا النحو".

ارتسمت على وجهها ابتسامة صفراء.

آخر شيء رأته جيسيكا قبل أن يُغلق الباب كان آلة كمان مُعلّقة على حاملها عند زاوية الرف في المدخل، ثم الدرج الضيق حيث بدت أوراق الجدران قبيحة للمرة الأولى.

بعد دقيقة، وقفت جيسيكا مع حقائبها عند ناصية شارع جانبي يمتد على طول قناة ضيقة، بدت منهكة، ولم تتمكن من المتابعة، لم تستطع البكاء بسبب الصدمة. جلست على رصيف القناة، ودلت ساقها، ورجحتها فوق الماء، متأملة القوارب المربوطة إلى ضفتي القناة. إن ما تشعر به الآن هو العار اللامتناهي مصحوبا بالانفصال والوحدة التامة والتشتت. بعد ما مرت به خلال الأسابيع الماضية، يبدو الجلوس في القطار والتحليق في الطائرة إلى هلسنكي مهمة مستحيلة. لقد استنفدت قواها ولم تعد قادرة على التفكير بالمستقبل، أو بما تريد فعله عندما تكبر. لا تريد أن ترى عمته تينا التي تحاول عبثا ردم الفجوة التي أحدثتها بينهما. لا تريد جيسيكا سوى أن تحيا حياتها، وتعيش الحاضر.

مضت ثلاثة أشهر من نمط الحياة هذا. في الخريف يبدو أن رائحة البحر تتغير، فتصبح وكأنها طازجة بشكل لا لبس فيه. عادت إلى الفندق الذي أقامت فيه عندما وصلت للمرة الأولى إلى البندقية. إنها الزائر المثالي فهي تتناول وجبتين أو ثلاث خلال اليوم في الفندق، تعطي الإكراميات بسخاء، وتدفع حسابها كل أسبوع. لقد استبدلت جناحا صغيرا بغرفتها العادية، ولم تغادر الفندق سوى مرات قليلة ليلا، لتمشي لفترة قصيرة قبل أن تقفل عائدة إلى الفندق، لم ترغب أن يراها أحد، وسعت ليحجب ظلام الليل قبحها، لا سيما بشرتها المثيرة للاشمئزاز وشعرها المدهن، ظنت في بعض الأحيان أن هناك من يلاحقها، خطوات تتبعها، وتتوقف عندما تقف، عندما نظرت إلى الخلف بغتة، لمحت شخصا ينطلق بعيدا في الظلام،

عندها أحست بمقدار الأمان الذي يمنحها إياه الفندق، فما من أحد يطرح أسئلة غبية، فهم يظنون أنها خليعة أمير تعتاش على ثروته، ومن أجل ذلك عقدت العزم ألا تعود إلى المنزل.

أمضت جيسيكا أيامها ممتدة في السرير الضخم، تشاهد التلفاز. تتدهور حالة الألم لديها في بعض الأيام لدرجة تجعلها غير قادرة على الحركة تماما. في هذه اللحظات، كانت تطبق على الأغذية بأصابعها، وتغمض عينيها بقوة محاولة استرجاع شعور الحرية الغامرة التي شعرت به في فابوريتو يوم التقت كولومبانو للمرة الأولى. لكنها لم تبك أبدا. لن تعطي العالم نشوته. غالبا ما يصاحب الألم أفكار محزنة، ومضات عن أمها، أبيها، أخيها، كولومبانو. كان تسلسل الألم لاذعا كالملح في الجرح.

إنها تشعر بنزاع في عقلها الباطن. غالبا ما يترافق الألم مع السخط، لكن أحدهما يسبق الآخر.

في الآونة الأخيرة، ازداد وزنها، لكنها لم تعر الأمر أهمية، إنها ترتدي بنظالا قصيرا وسترة رياضية عندما تغادر غرفتها، وتكتفي من التبرج بوضع ملمع للشفاة، وتسحب شعرها إلى الخلف وترفعه، إنها تبدو شبها للشخص الذي كانت عليه، فهي ما كانت تغادر منزلها إلا بأهبي حلة، ولعل وصفها بالمسخ الذي يموت ببطء في بلد غريب لا تجافي الحقيقة. لقد تحولت هذه المدينة الرائعة إلى مدينة فظيعة بشعة، تشعر فيها بالوحدة، وهذا ما يجعل منها مؤهلة فوق العادة للاستسلام.

لو كان والداها لا يزالان على قيد الحياة، لوصفاها بالحمقاء، وها هي تسأل نفسها هل سيعصر أخوها توفي راحة يدها الآن؟ أو بالأحرى هل سيلمسها؟

تناهى إلى مسمعها موسيقى إنفيرنو من كونشرتو الفصول الأربعة ليفالدي يعزفها عازف كمان متجول، ها هو الشتاء بالفعل يعلن عن اقترابه.

عاينت جيسيكا الطبق الذي طلبته بالأمس من خدمة الغرف، ورأت شريحة اللحم التي أكلت نصفها والبطاطا المقلية. أمسكت أصابعها بالقبضة الخشبية لسكين تقطيع اللحم المسننة. تقطرت المياه من شعرها المبلل على البساط، كانت

الموسيقى الآتية من الخارج جميلة جدا: نغماتها رائعة وخالدة. انزلت قبضتها، وسقط السكين على الأرض عند قدميها. للحظة، نظرت إليه كما لو أنه قد خان ثقتها. استمرت الأوتار بالعزف في الخلفية، بصوت أعلى ووتيرة متسارعة. أغلقت جيسيكا النافذة، ونظرت إلى يديها المرتعشتين، ربما أن الأوان لفعل شيء ما. الذهاب إلى حفلة موسيقية، لمشاهدة الأداء على المسرح برؤية جديدة.

جذب الطنين الصادر من مصابيح الفلورسنت في السقف انتباه جميع من يتم التحقيق معهم. لطالما تساءلت نينا هل هناك من سبب لعدم إصلاح مصابيح الإنارة هذه، ربما تُستخدم ضوضاؤها لتحطيم المعنويات استنادا لنصيحة أخصائي علم النفس. لكن لا بد من الإشارة إلى أن تورستن كارلستيدت لم يعرها انتباها. في الواقع، إنه يبدو مرتاحا كما لو أنه في منزله، ولم تظهر أي إشارة لتأثره بالبيئة الكئيبة التي تحيط به، بل كان ينظر بهدوء إلى نينا، وبدا بصحة ممتازة مقارنة بعمره الذي يقارب الخمسين حتى أن شعره الأشقر الداكن بدا كثيفا، وأشارت درجة السمرة التي يتمتع بها في مثل هذه الفترة من السنة إلى أنه يكرس وقتا لا بأس به للاهتمام بنفسه.

ضغطت نينا زرا لتشغيل المسجلة، لم يمر على التحقيق سوى دقائق معدودة، لكن لسبب ما شعرت وكأن دهرًا قد مرَّ عليها وهي جالسة في هذه الغرفة. "أين كنت ليلة البارحة؟"

أجاب كارلستيدت: "في سافونلينا". ثم رفع راحة يده إلى فمه وسعل. "لماذا؟"

"كنت استمع إلى روجر كوبونين في لقائه مع جمهوره، بالطبع، أنت تعرفين ذلك."

"مع من كنت؟"

"كايستو، كاي ليتن، لا بد أنك تعرفين ذلك أيضا."

"يبدو أنك على دراية بمعظم مصادرتنا ومعلوماتنا."

"ليس الأمر على هذا النحو، لكنك تعرفين، لولا ذلك ما كنت هنا،

أليس كذلك؟"

"برأيك، لماذا أنت هنا؟".

"هل تجري الأمور هنا حقاً هكذا؟ ما هذه اللعبة الغبية؟".

ألقت نينا نظرة خاطفة إلى المسجلة على الطاولة، ثم إلى وشاح كارلستيدت الصوفي الذي يوجد عليه صورة شعار بولو على صدره.

"ذهبتما معا بسيارة البورش كايين إلى سافونلينا".

"هذا صحيح. هل تعد قيادة سيارة لافتة للأنظار جريمة؟".

ابتسمت نينا بتململ: "أتعلم شيئاً؟ تورستن أنت على حق. نحن نعرف كل هذا، إن لم يكن لديك مانع، اسمح لي أن أطرح عليك بعض الأسئلة التي لا نعرف إجاباتها".

"تفضلي".

"لماذا لم تخرج من سيارتك في سافونلينا؟".

"لم أشعر بالرغبة في الخروج".

"دخل صديقك كاي ليتن بمفرده ليستمع إلى روجر كوبونين بينما جلست في السيارة قرابة الساعة، فقط لأنك لم تشعر بالرغبة بالخروج؟".

"هذا صحيح".

"هل كان برفقتك شخص آخر في السيارة؟".

ابتسمت كارلستيدت ابتسامة غامضة وأجاب: "لا".

"لماذا تركت هاتفك في المنزل؟".

"من المريح أحياناً، أن تكوني خارج التغطية".

علقت نينا: "لا شك في ذلك". وشبكت ذراعيها أمام صدرها. لقد سبق لها أن

أجرت استجابات كثيرة، وكان المستجوبون يصنفون ضمن فئتين: مراوغون وماكرون، صريحون وأغبياء، ولكنها لم تستطع أن تصنف كارلستيدت في أي من هاتين الفئتين. بدأت نينا تشعر أن إرني كان محقاً عندما قال إنه من المبكر اعتقال

الرجلين. نظر كارلستيدت إلى ساعته، ثم وضعها على الطاولة أمامه. حركاته ثابتة ومتأنية.

قال: "نينا روسكا". بعد أن قرأ بطاقتها التعريفية المتدلّية من رباط حول عنقها. قالت نينا بطريقة جافة: "بخدمتك".

"أفهم أن الرحلة التي قمت بها مع كايسو إلى الضواحي غريبة خاصة بعد مقتل روجر كوبونين في جوفاً". عاينت نينا الرجل عن قرب. يعلم كارلستيدت أن ما قاله ليس صحيحاً، والأهم من ذلك أنه يعلم بمعرفة الشرطة بذلك. أكمل كارلستيدت: "لكن لا علاقة لنا بمقتله".

ما يدعو للسخرية هو أنه يقول الحقيقة. لا علاقة لهما بمقتل كوبونين، لأن كوبونين لا يزال على قيد الحياة. لكن لهما علاقة بمقتل سانا بوركا والرجل المجهول الذي كان معها.

"ماذا بشأن موت سانا بوركا؟".

"ليس لديّ أي شيء ضد ضابطات الشرطة يا نينا روسكا".

تجاهلت نينا رده، رطبت إصبعها برأس لسانها، وقلبت الصفحة في مدونة ملاحظاتها وقرأت "المدخل إلى علم الماورائيات".

ابتسم كارلستيدت ووضع ساقاً فوق أخرى. "إنه كتاب رائع، إذا سألتني عن رأيي".

"لطالما كنت مهتماً بأمور السحر".

"سحر؟ لا، لا. إن الماورائيات ليست بخصوص السحر وحسب. إنها تتعلق بعالم مذهل مليء بخفايا أسرار الكون، حيث يؤدي السحر دوراً بسيطاً. أظنك لم تقرأ الكتاب".

"لا، لكنني أعلم أن هذا الكتاب تلقى الكثير من النقد في وقته. لم تحدد نفسك بوصف نطاق واسع من ظواهر الماورائيات فحسب، بل كتبت نصاً مثيراً للجدل، دافعت فيه عن تاريخها المثير للشبهات. كتبت، على سبيل المثال، أن الرايخ الثالث لم يكن لينهار بشكل فجائي لو تجرأ النازيون على وضع ثقتهم في الماورائيات. وأنه -وأنا أقتبس- كان يجدر بهيلمير الذي كان أحد أكثر الشخصيات نفوذاً في ألمانيا النازية، أن يستكمل استكشافاته في الماورائيات".

"هل تسأليني إن كنت نازيا؟".

"إنني لا أهتم على الإطلاق الآن إن كنت معاديا للسامية، إلا بالقدر الذي يرتبط به الأمر بجريمة قتل، ولكن مثل هذه التفاصيل تدعم تصورنا أن لديك تعطشا دائما للفت الأنظار. كما فعلت الآن، على هذه الطاولة، أنت تقوم بتصرفات مستفزة، حتى أتذكرك".

"يا للعجب! هل حضرت نينا روسكا بعض دروس علم النفس في المدرسة؟".
أسند كارلستيدت يديه على الطاولة. ابتسمت نينا لكنها لم تنظر إلى عينيه. "وهل حضرت بعض الدروس عن كيف تصبح أحمق وبغيضا في مدرسة الأعمال؟".

"هل كنت على معرفة شخصية بروجر وماريا كوبونين؟".

"أنا من أكبر المعجبين بكتابات روجر".

"أجب عن السؤال".

"لا، لم أكن على معرفة بهما".

في تلك اللحظة، فتح باب غرفة التحقيق. ووقف مايكل عند الباب.

"نينا، هل تستطيعين الخروج للحظة، من فضلك؟".

نقرت نينا برأس قلمها على سطح الطاولة، وحدقت إلى كارلستيدت، ثم وقفت ببطء، لأنها لا تريد أن تبدو أمام كارلستيدت كالكلاب التي تركض عندما يصفر لها أحد.

"تروستن، هل تسمح لي بنينا للحظة؟".

قال بهدوء: "طبعاً، نينا روسكا". ما من شك أن هذا المعتوه يعتمد تكرار

اسمها الكامل، ليشعرها بالقلق.

ما إن أغلقت الباب خلفها، حتى سألت: "ماذا هنالك الآن؟".

لقد بدا شيء غريب في مايكل، لم تمر ثانية حتى لاحظت أنه لا يمضغ العلكة.

سألها وهو يضع يده على خاصرته: "هل حصلت على شيء مثير للاهتمام

منه؟".

"لا شيء، ربما كان إرني محققاً".

"سحقاً".

سألته، وهي تختلس النظر إلى الباب المغلق خلفه حيث يحقق مع ليتنن:
"ماذا عن ليتنن؟".

هزّ مايكل رأسه نافياً: "إنه في غاية الهدوء، كلمات مخفية بين السطور، لا يكف عن الاستفزاز".

"هل من شيءٍ آخر؟ أيمكننا المتابعة؟".

أبعدها عن البابين وقال بسرعة: "اتصل وانع من الأدلة الجنائية، وأبلغنا أنه استخدمت مادتان مخدرتان لجعل الضحايا يفقدون وعيهم، المادتان هما الثيوبنتال وبنكور، فهمتِ قصدي بخصوص المادة الثانية. إن الكلوروفورم وحتى الكانولاس وأكياس التنقيط... استجابات عيادة خاصة في هلسنكي لطلبنا بالحصول على المعلومات، وقالت إن مواد فقدت من مستودعهم".

قالت نينا وهي تشعر بالحماسة: "اللعنة يا مايكل، هل لدينا معلومات عن الأشخاص الذين لديهم تصريح للدخول إلى مستودع أدويتهم ومعداتهم؟".
"فريق عملهم صغير جداً، يريد مدير العيادة أن نحل هذا المسألة بأسرع وقت ممكن، إنه يسعى للحدّ من الأضرار التي قد تلحق بسمعتهم إن علمت الصحافة بالأمر".

"أريد مقابلتنا في هذا الوقت المتأخر؟".

"نعم، لا يزال في مكتبه".

"حسناً، لننطلق".

"أظن أن جيسيكا ويوسف سيصلان قبلنا فهما قادمان من تولو، بالإضافة إلى أننا نجري تحقيقاً مع هذين الرجلين".
"ما اسم العيادة؟".

"باتري مورغونداغ. في بوليفاردي".

"من أجل غد أفضل؟ لم يسبق لي أن سمعت بها...".

"أنشئت منذ خمسين عاماً".

"يجب أن نتعامل مع الأمر حالا. هل يمكنك الاهتمام بأمر هذين المعتوهين بينما أتوجه بالسيارة إلى تلك العيادة؟".

ابتسم مايكل: "بكل تأكيد، يمكن أن أطلب من راس أن يرافقك إن كنت بحاجة إلى مرافق سيئ الرائحة".

"جيد، أشعر بأننا الليلة سنقتفي أثر هذين الأخرقين".

فتح تيو الباب، دخل يوسف، يحمل جهازا لوحيا تحت ذراعه. كانت لورا هلمنين مستيقظة، والتلفاز يعمل وهي تستخدم هاتفها النقال.

قال يوسف وهو يغلق الباب خلفه: "مرحبا لورا".

قالت لورا بصوت أجش: "أتريد التحقيق مجددا، لقد سبق لي أن أخبرتك بكل ما أتذكره".

"أريد أن أعرض عليك بعض الصور".

"أنا متعبة جدا".

"لن يستغرق الأمر سوى ثوان يا لورا".

ابتسم يوسف متعاطفا، وضع كرسيًا أمام السرير، وشغل شاشة الآي باد وقربه نحو السيدة: هلا نظرت مجددا إلى هذه الصور؟ هل أنت واثقة أنك لا تعرفين أيًا من هذه النساء؟".

"لقد سبق وعرضت عليّ هذه الصور".

"من الشائع أن يتذكر الدماغ أمورا بعد فترة".

نظرت لورا إلى الصور وهزت رأسها: "كلا".

قال بشرود: "مهلا، إحدى هذه الصور لا علاقة تربطها بالصور الأخرى".

نظرت لورا إلى يوسف وسألته بارتياح: "أي صورة؟".

قال يوسف وهو يهز رأسه: "زميلتي في العمل.. المحققة التي كانت هنا سابقا،

التي أنقذت حياتك من البحر المتجمد".

أصبح وجه لورا كالحا.

"لقد كنت خائفة عندما رأيته قبلا، هل تتذكرين ذلك؟".

"لقد أخبرتك من قبل، أنا منهكة".

"لا أشك في ذلك. لقد كان يوماً صعباً على الجميع، وخصوصاً عليك. لكن عملنا يفرض علينا التعامل بجدية مع هذه الشكوك. إن انفعالك الشديد اليوم عند رؤيتك المحققة نيمي أدى إلى استبعادها عن التحقيق."

تثاءب يوسف بكسل.

"ماذا؟"

"سيحل مكانها شخص آخر."

"لكن..."

"لكن ماذا؟"

"كما ترى، لقد كنت متعبة حقاً، للحظة لم أتمكن من التعرف إليها."

"لا تقلقي، ليس لك علاقة باستبعادها."

وقف يوسف واستدار مستعداً للمغادرة.

"انتظر يجب أن تستمر في التحقيق."

"ما الذي تقصدينه؟"

"إنني أراجع عن أقوالى السابقة، لم يسبق لي أن رأيت صورة لها."

"ماذا تقصدين بأنه لم يسبق لك أن رأيت صورة لها؟"

قالت لورا، والدموع تنهمر من عينيها على خديها: "كما أنني لم أكن في القبو."

أخرج يوسف هاتفه من جيب معطفه: "جيسيكا، هل سمعت ذلك؟"

فُتح الباب، ودخلت جيسيكا، وقالت وهي تغلق الباب خلفها: "حاولي ألا

تصرخي هذه المرة."

نظرت لورا إلى المحققين، كل على حدة.

قالت جيسيكا وهي تتجه نحو السرير: "تكلمي يا لورا، ما الذي قصدته

بقولك لم تكوني في القبو؟ لقد وصفت كل ما رأيته هناك بكل دقة، بما في ذلك

وجود لوحة تصورني."

التفتت لورا حولها بذعر محاولة الضغط على الزر المعلق بجانب السرير،

ولكن جيسيكا أبعدته عن متناول يد لورا.

"تكلمي. قبل أن يزداد موقفك سوءاً".

"سيقتلون عائلتي".

"من هم؟".

"لا أدري. أعطوني تعليمات بسيطة.. كان عليّ أن أبتكر قصة".

"لورا، لماذا لا تقولي الحقيقة بكل بساطة؟".

"لن يستطيعوا معرفة ما تخبريننا به. لا يسمعون أحد".

"هذا غير صحيح!". قالت هلمنين والدموع تملأ عينيها.

"ماذا تقصدين؟".

"لقد قالوا إن هناك شخصاً يعرفك سيعرف كل شيء".

"ما هذا بحق الجحيم؟". تمتت جيسيكا ونظرت إلى يوسف، الذي بدا قلقاً

بدوره. "شخصٌ يعرفني؟ من؟ أحد رجال الشرطة؟".

"لا أدري.. أقسم إنني لا أعرف".

"ولكن لماذا يهتمك أن أبقى في التحقيق؟".

"قالوا يجب أن تكوني أنتِ من يحقق".

"يجب؟".

"أنتِ من ستجدين الحل".

رمت جيسيكا طبقاً عن منضدة السرير إلى الأرض. ثم أشارت بسبابتها إلى

لورا: "ستخبريننا الآن بالتفاصيل، ما الذي كذبت به أيضاً؟".

"كذبتى الوحيدة كانت عن القبور. لأنهم أمروني بقول ذلك! كل ما أذكره هو أنني غادرت المنزل.. ثم وجدت نفسي في مكان غريب وتلقيت تعليمات من رجل يضع قناعا على وجهه. قال لي إنهم سيدعوني وشأني طالما حافظت على رباطة جأشي والتزمت بالتعليمات حرفيا".

جلست جيسيكا على الكرسي الشاغر بجانب السرير، ووضعت وجهها بين يديها. "حسنا يا لورا، أنت بأمان. لا يمكنهم إيذاؤك". وضعت يدها على كتف لورا وأومات ليوسف: "هيا بنا".

"هناك شيء آخر".

"ما هو؟"

"لقد سمعت أن..؟"

"ماذا سمعت يا لورا؟"

"أنك رأيت رسالة مكتوبة على الثلج، لكنك لم تري الجزء الأكثر أهمية".

"شيء من النافذة؟"

"أجل".

"هل من شيء آخر؟"

"هددوا بقتل عائلتي إن اعترفت بالحقيقة.. يجب أن تحمي والدي وأخي.."

"سنتهم بذلك". مشت جيسيكا متجاوزة يوسف وفتحت الباب.

"يبدو أنكما لا تتفقان أيتها الفتاتان". قال تيو وهو يتسهم ابتسامة جافة لحظة

عبور يوسف وجيسيكا في الممر.

حدقت جيسيكا إليه بحدة وقالت: "سأكلفك بمهمة".

"يبدو أن عليك مراجعة سلسلة القيادة يا سيدة نيمي، فأنا أتلقى أوامري من.."

"سأرسل ما أطلبه منك عبر الفاكس، مع كل الأختام الضرورية، في غضون ذلك أسدي لي معروفا". تقدمت جيسيكا من الرجل أسمر البشرة الذي يشبك ذراعيه أمام صدره، وشمّت رائحة عطره الشبيهة بالليمون، في العادة، كانت تحب هذه الرائحة، ولكنها الآن أشعرتها بالغثيان.

"ماذا تريدين يا جيسي؟".

"أولا، كن حذرا مع المريضة. نحن لا نثق بها. ثانيا، صادر هاتفها. أخبرها أن هذا للدواع الأمنية. احرص على أن يصل إلى راسموس سوسيكوسكي في المقر. أرسله مع شخص ما".

"لماذا لا تأخذانه معكما إلى هناك؟".

"لأننا على عجلة من أمرنا. ولأنني أريد أن أعرف إن كانت هلمنين ستجري أي مكالمة خلال الدقائق الخمس عشرة القادمة".

ابتسم تيو مظهرا أسنانه: "حسنا. انسي أمر الفاكسات، ولكن عليك أن تسدي لي معروفا بالمقابل، وأن تخرجي يوما ما معي لتناول المثلجات". ونظر إلى جيسيكا بتمعن.

"بالطبع سأفعل. تأكد من إحضار زوجتك وطفلتك معك".

اتجهت جيسيكا إلى المصعد، ولحق بها يوسف كظل متردد.

رنت الجرس، وأمسكت نينا بمقبض الباب الخشبي، إن مدخل البناء المزخرف مصنوع من الغرانيت وأحجار أخرى باهظة الثمن. تناغمت العروق البيضاء اللامعة على سطحه مع الخلفية بنية اللون. تنتصب بعض الأعمدة الجميلة بين الباب والمصعد، مظهرة ارتفاع سقف البهو. نظرت نينا إلى اللوحة النحاسية التي حفرت عليها أسماء القاطنين. تحتل العيادة ثلاثة طوابق، وتقع المكاتب الإدارية في الطابق الثالث.

لا يصدر حذاء نينا الرياضي أملس الكعب أي صوت على السجادات الحمراء. صعدت نينا السلالم متجهة إلى الطابق الثالث وطرقت الباب المصنوع من خشب البلوط، الذي يبدو أنه حُدث مؤخرا لمنع السرقات. يبرز هذا المكتب بشكل واضح متميزا عن بقية مبنى الغوغيندستيل الذي يعود تاريخ تشييده إلى مئة عام خلت. لاحظت نينا أنه إضافة إلى مكاتب عيادة باتري مورغونداغ، هنالك مؤسسة تحمل الاسم نفسه في الطابق.

بعد دقيقة، فتح الباب رجل حليق الرأس بدا في غاية التوتر، يبلغ حوالي أربعين عاما من العمر ويرتدي قميصا رسميا وردي اللون وربطة عنق زرقاء وبنظالا رسميا. هناك وحة كبيرة قلبية الشكل على جبينه.

قالت وهي تنظر إلى ساعتها: "نينا روسكا، من الشرطة". إنها الساعة الثانية بعد منتصف الليل، ولكن المدير دانييل لوما لا يزال في مكتبه. "أشكر موافقتك على مقابلي في مثل هذا الوقت".

قال الرجل وهو يمد يده: "غفوت وأنا أنتظرك، أنا دانييل لوما". صافحت نينا يد الرجل أثناء دخولها، لقد عقب المكتب برائحة الورنيش ونشارة الخشب.

سألته نينا وهي تتبعه إلى البهو: "هل غيرت الديكور مؤخرا؟". لمعت أضواء السقف.

"منذ أشهر. لقد جددنا الأرضية والنوافذ وأطرها بشكل تدريجي. في المكاتب وفي العيادة في الطوابق السفلية".

"إذا فالعيادة هنا منذ مدة، أهذا صحيح؟".

"أجل، لم نغير عنواننا منذ العام 1969. بحلول الخريف القادم ننهي خمسين عاما في هذا البناء. المبنى بأكمله تملكه مؤسسة باتري مورغونداغ والتي تملك أيضا العيادة الطبية".

توقفا أمام باب مكتب، وطلب لوما من نينا الدخول. عاينت الغرفة المرتبة، تطل النوافذ على بوليفاردي، ويظهر الثلج المتساقط عبر وهج إضاءة الشارع. دخلت وجلست على كرسي جلديّ مقابل طاولة لوما.

"لتحدث في الموضوع مباشرة. ذكرت أن الأدوية والمعدات التي نسأل عنها فقدت من مستودعك". فركت نينا عينيها، إنها منهكة، ولكن عليها المتابعة الآن. فهم على وشك اكتشاف شيء مهم.

حك لوما ذقنه الجرداء بظفر سببته وبعد برهة هزّ برأسه.

"هل لاحظت هذا أثناء عملية الجرد؟".

"اليوم، عندما تواصلت معنا الشرطة، قمت بالجرد بنفسني".

"ألا تثق بأحد آخر ليقوم بذلك نيابة عنك؟".

"لأكون صريحا، إذا كلّفت شخصا آخر أيا يكن هذا الشخص، فلن أكون واثقا كفاية بدقة النتائج".

"حسنا، هل تتهم أحد العاملين الستة عشر بالعيادة بالسرقة؟".

"نظريا، هم خمسة عشر، إذا لم تضميني إلى القائمة. وأنا من أبلغ عن المفقودات، أتمنى ألا أكون على قائمة المشتبه بهم".

"هل أنت طيب؟".

"نعم، طيب نفسي".

سألته: "هل يمكنني الحصول على قائمة بأسماء جميع العاملين؟". بعد دقيقة أصبحت القائمة التي طلبتها بين يديها، وبدت أنها حديثة الطباعة. لم يذكرها أي من الأسماء بشيء. وظيفة كل عامل مدرجة بعد الاسم وتاريخ الولادة: خمسة أطباء، ست ممرضات وخمسة إداريين. عاودت نينا النظر إلى لوما الذي كان مستغرقا بالنظر إلى خارج النافذة. بدت شحمة أذنه اليسرى غريبة بعض الشيء، هناك شق فيها تعلوه ندبة.

"طب نفسي.. هل عيادة باتري مورغونداغ متخصصة بالأمراض العقلية؟".
"أوه، ظننت أنك تعرفين ذلك" انحنى لوما ببطء إلى الأمام. "نعم، نحن مختصون بعلاج المرضى النفسيين".

سألت نينا بتشكك، وهي لا تزال تنظر إلى قائمة الأسماء: "عيادة خاصة للأمراض النفسية؟ وهل يسير العمل بشكل جيد؟"
"بإمكانك القول نعم. لدينا عمل كاف للأسف". طقطق لوما أصابعه ببطء، بشكل قريب من الطقطقة التي تصدرها الأداة المستخدمة في التنويم المغناطيسي.
"لنتحدث عن أحد الأمراض المسببة للذهان: مرض انفصام الشخصية. نسبة انتشاره في فنلندا هي واحد في المئة، في هلسنكي فقط هنالك ما يقارب الألف شخص يعانون من انفصام الشخصية. بعضهم، أو من يحيطون بهم من أفراد العائلة أو الأصدقاء، على أتم الاستعداد لتغطية تكاليف جودة الاعتناء بمرضاهم".
"واحد بالمية؟ يبدو هذا رقما مرتفعا جدا".

"أفهم ذلك، فأنت تفكرين بالأفلام الآن. كمثل نورمان بيتس، وجون ناش، اللذين يعانيان من الأوهام والأصدقاء الخياليين، لا يعاني جميع المرضى من تهيؤات شديدة بالنسبة نفسها. في بعض الأحيان تكون أعراض المرض مقتصرة على الاكتئاب وتقلبات المزاج".

"حسنا، سُرقت أدوية ومعدات طبية مطلوبة للتخدير من العيادة. لأي غرض تستخدمون هذه المعدات؟". سألت نينا وهي تمسك بقبضتي ذراعي كرسيتها. بالرغم من تعديل الغرفة بشكل كامل مؤخرا إلا أن الهواء في الغرفة لا يزال ثقيلًا بطريقة ما.

نظر لوما إلى شاشة حاسوبه للحظة وابتسم بوهن إلى نينا "يحتاج المرضى النفسيون بين الحين والآخر إلى تخدير".

"فهمت" أقلت نينا نظرة خاطفة على ساعتها "هل لديك فكرة على الإطلاق، مَنْ مِنْ موظفيك قد يكون السارق؟".

"كلا" نظر لوما إلى نينا بتجهم، لا ينظر مباشرة إلى نينا بل بالأحرى هو ينظر عبرها.

"حسنا" وقفت نينا تحمل بيدها القائمة.

قال لوما بهدوء مومئا نحو الكرسي: "من فضلك اجلسي لبعض الوقت". لم تكن نينا قد تركت قبضة الكرسي بعد، جلست من جديد من دون أن تبعد نظرها عن لوما: "يبدو بأنك تشبه بأحد في النهاية؟".

"ليس بالضبط، لا أعتقد أن السارق أحد العاملين لدينا".

"من إذا؟".

"عليك أن تعرفي شيئا" أغمض لوما عينيه، حُطف لونه فجأة "أنت تحققين في مقتل روجر كوبونين...".

"أجل؟".

"إنه أقدم مرضانا، وما أنا على وشك قوله سيبدو لك غير معقول.. لكنني شبه متأكد أنني رأيته يقف اليوم قبالة شارعنا". قال ذلك وبدت عليه الدهشة أكثر من نينا.

اتجه يوسف بالسيارة إلى الطريق السريع عند مخرج كولوزاري. تفرقت مجموعات السحب السوداء والرمادية ليظهر القمر، وحركت رياح قوية قمم الأشجار العالية، وانبعثت موسيقى راب فنلندية من المذياع.

نظرت جيسيكا الآن إلى الرسالة النصية التي وصلتها، لا تعرف الرقم المرسل، ولكن الكتابة والإيحاءات القذرة وتوقيع المرسل باسم كينغديك 88 لم تترك لها أي مجال للشك بهوية المرسل.

"لقد فوتنا أهم شيء؟ ماذا يعني هذا بحق الجحيم؟". قال يوسف بعد صمت طويل، جاعلا السيارة تصدر أصواتا مزعجة بعد انتقاله للغيار الثاني بالرغم من أن سرعته تتجاوز الستين.

"صعد رجال الأدلة الجنائية إلى غرفة النوم لالتقاط الصور أيضا" قالت جيسيكا وهي تتصفح جهازها الآي باد "لا أرى شيئا خارجا عن المألوف هنا".

"ماذا لو لم تلاحظ السيدة العجوز الكتابة؟".

"سيراهما أحد عاجلا أم آجلا بعد أن يجري المسح بواسطة المروحية".

"هل يقصد مختطفو هلمنين نافذة أدليركريوتز تحديدا؟ ماذا رأينا من هناك؟

منزل آل كوبونين، المنزل الذي يجاوره، الشارع، الفناء، السياج".

"البحر، الجزيرة مقابله..."

"اللذين مُشطًا بشكل جيد".

"ربما كان هناك شيء على الجليد، شكل أو نص لم ننتبه إليه؟".

"كانوا سيرون ذلك من المروحية".

"اللعنة، أما زالت الدورية أمام منزل آل كوبونين؟".

"أجل، أستطيع أن أطلب الدعم إن كنت تشعرين بالقلق".

قالت جيسيكا: "لست قلقة". في الوقت الذي كانت فيه سيارة يوسف تعبر بجانب مبنى القنصلية العراقية سابقا وباتجاه الشاطئ.

قالت جيسيكا بخوف: "ماذا بشأن ما قالته هلمنين عن وجود شخصٍ يعرفني؟".

"قد تكون هذه مجرد طريقة لإخافتك".

"ماذا لو كان الأمر صحيحا؟ فكّر بالأمر. الكتابة التي ظهرت في دفتر ملاحظاتي. الأسنان في اللفافات التي أرسلت إلى المقر؟ ماذا لو كان لمطاردي الساحرات هؤلاء جاسوس ما في المقر؟".

أوقف يوسف سيارته بين منزلي آل كوبونين وأدليركروتز وقال: "هذا أمرٌ مخيف". فتح بابه.

"حسنا، هيا بنا نزعج هذه العجوز".

مكتبة
t.me/t_pdf

وقفت نينا مشدوهة أمام دانييل لوما. شمت رائحة لاذعة. تزداد قوة الرائحة أيًا تكن. إما ذلك أو أن حواس نينا على أهبة الاستعداد.
سألت وهي تميل رأسها: "روجر كوبونين؟".

"عندما تلقيت طلب الحصول على المعلومات من الشرطة في وقت سابق اليوم. علمت على الفور أن الأمر يتعلق بمقتل روجر كوبونين وزوجته. لقد كان لديّ حدس. ثم رأيت كوبونين يقف في الشارع.. هل من المعقول هذا؟".

سألته نينا: "أخبرني ممّ كان يعاني روجر؟". وهي تتفادى الإجابة على سؤاله.
"عاني روجر كوبونين من ذهان شديد وطويل الأمد منذ أواخر التسعينيات، وقتها شخصت حالته على أنها انفصام في الشخصية، بمعنى آخر، كان يعاني من تهيؤات ذهانية، كانت شديدة جدا في بعض الأيام وفي بعضها الآخر كانت خفيفة أو حتى غير موجودة".

أخرجت نينا هاتفها: "مهلا هل بإمكانك تسجيل المحادثة؟ لأغراض تتعلق بالتحقيق بالطبع".

أجاب لوما: "ليس لديّ مانع".

ضغطت نينا على رمز التسجيل في هاتفها.

"كنت الطبيب المتابع لحالة روجر منذ البداية. بشكل عام يتم علاج هذا النوع من الحالات باستخدام مضادات الذهان، بهدف كبح نشاط الجملة العصبية الرئيسية. لكن لمضادات الذهان العديد من التأثيرات الجانبية الضارة، والتي تحد من إمكانية عيش الشخص حياة طبيعية. منذ أن تأسست باتري مورغونداغ، كان أسلوبنا في العلاج مختلفا عن الأساليب المعروفة، فبالإضافة للاستخدام الخفيف للأدوية نركز على أسلوب الحوار المفتوح المبني على التواصل الدائم مع المريض".

"حوار؟ هل يجدي هذا نفعا عندما يعاني أحد ما من تهيؤات شديدة..".
"لقد ثبتت فاعلية هذا الأسلوب".

"حسنا" ظنت نينا أنها سمعت صوتا قادمًا من الممر فأصغت السمع. يبدو وكأن شخصا يمسح قدميه عند المدخل.

"حالة روجر كانت نادرة من عدة نواح، عندما كنا نجري حوارا مفتوحا كانت النتائج ممتازة، وفقا لتقارير تمت السيطرة على الحالة المرضية إلى حد كبير، باستثناء بعض الانتكاسات الوجيهة، ومرت سنوات أو أشهر لم يظهر فيها أية أعراض.

"نجح كوبونين في عيش حياة طبيعية نسبيا. في البداية نجح في إخفاء مرضه عن المقربين منه ولاحقا عن الجميع. بيد أن نوباته الذهانية كانت دائما شديدة جدا. كما لو أن المريض كان شخصا يحاول تعويض استحقاق ديونه عند معاودته الظهور، مع فائدة أيضا".

"وكيف يظهر هذا؟".

"الاسم العلمي لانفصام الشخصية هو الشيزوفرينيا، وهو مصطلح يصف حالة روجر بدقة. يتحول روجر إلى شخص مختلف عند معاناته من الذهان، شخصية مختلفة تماما".

نظرت نينا إلى الرجل الجالس قبالتها، والذي بدا وكأنه تنفس الصعداء. كما لو أن حملا قد أزيح عن كاهله.

"اللعنة. يبدو كل شيء منطقيًا فجأة. هل تعتقد أن روجر هو من أخذ العقاقير؟".

"أتمنى أن تصدقي كلامي. أقصد، إن ثبتت وفاته، فهذا سيبدو ضربا من الجنون".

وقفت نينا: "عليّ إجراء مكالمة هاتفية، أين يمكنني إجراء مكالمتي على انفراد؟".

"ما من أحد سوانا في الطابق. توجد غرفة للاجتماعات في نهاية الردهة".

طلبت نينا رقم إرني وهي تتجه نحو الباب في نهاية الردهة. لا يوجد أحد في المبنى، لكن هناك بعض الأنوار التي تشع في كل غرفة تقريبا.
رد إرني بصوت جاف: "نينا؟".

قالت نينا، وهي تغلق الباب خلفها: "إرني، بحوزتي شيء مهم. شيء بالغ الأهمية".
"ما هو؟".

"أنا الآن مع مدير عيادة باتري مورغونداغ. إنها العيادة التي سُرقَت منها العقاقير التي استخدمت لتخدير الضحايا...".

التفتت نينا وانقطع تسلسل أفكارها عندما رأت اللوحة المعلقة فوق طاولة الاجتماعات. ما رأيته هناك جعلها تنسى للحظات أنها كانت تتكلم مع إرني على الهاتف. شتمت بصوت خافت، بالكاد استطاع إرني سماعها "ما هذا بحق الجحيم".

"نينا، أما زلتِ معي؟".

أخفضت نينا الهاتف، وتوجهت بتردد إلى اللوحة فوق الطاولة.

تواصل إلحاح إرني عبر الهاتف، همست نينا ببرد بتمتمة مطمئنة.

عرض اللوحة متر واحد وطولها متر ونصف، مُعلقة في إطار ذهبي مزخرف.

تمثل هذه اللوحة صورة امرأة ترتدي فستانا أسود تجلس أمام طاولة القهوة، شعرها الأسود كثيف.

"عليّ اللعنة".

المرأة التي في اللوحة قد تكون ببساطة ماريا كوبونين، أو ليا بلومكفيست،

لورا هلمنين أو جيسيكا نيمي، لكن ملامح وجهها لا تنتمي إلى أي منهن. إنه وجه

امرأة جميلة تبلغ الثلاثينات من عمرها، ملامحها حادة وبارزة.

قالت نينا: "إرني.. هناك شيء مريب هنا". ولاحظت أن صوتها يرتجف.

نظرت إلى الصفيحة النحاسية المثبتة إلى الحافة السفلية للإطار الضخم. كاميلا

أدليركروتز، رئيسة مجلس إدارة مؤسسة باتري مورغونداغ.

تلاشت أصوات الموسيقى، وتلتها لحظة من الصمت، حبس كل من العازفين والحضور أنفاسهم. ثم بدأ التصفيق، بدأه أحدهم، ثم آخر، وفي النهاية، انتشر التصفيق عبر القاعة كانتشار النار في الهشيم. انحنى الموسيقيون. تلقى كولومبانو الإطراء، رفع يده حاملاً قوس الكمان عالياً، ثم نظر إلى أعضاء الأوركسترا خلفه وكأنهم مجموعة من الجنود الأوفياء، أو ما لهم بالإنحناء بتلويحة من يده. شعر كولومبانو وكأنه إله لا يمكن رؤيته بالعين المجردة، ولكنه يتحكم بالموسيقين وكأنهم دمي متحركة. صفّر الجمهور، مبتهجين وهتفوا "برافو برافيسمو". بالرغم من أن الحفل كان مجرد حفل خاص للسياح، إلا أن كولومبانو تمتع بجذب الأنظار إليه. ملامح الكبرياء والرضا عن النفس التي ملأت وجهه عند هتاف الجمهور على المسرح كانت واضحة بشدة كبيرة.

لم تبعد جيسيكا عينيها عن كولومبانو.

"انظر إليّ يا عزيزي".

جلست جيسيكا في وسط القاعة، وبدأ أنها الشخص الوحيد الذي لم يشارك الحضور بالهتاف الصاخب.

"أعلم أنك تراني".

قاد كولومبانو فرقته إلى انحناء مسرحية أخرى، ثم انحنى باتجاه اليد الحاملة للكمان ووضع أصابعه على صدره.

"انظر إليّ يا عزيزي".

نظر إليها في نهاية المطاف، أشاح كولومبانو بنظره عبر وجوه الحاضرين ثم توقف فجأة.

"أنت تراني الآن".

نظر كولومبانو بروح، وكأنه قد رأى شبحا، فجأة تلاشت ابتسامته ببطء، كما لو أن شيئا كان يحول دون فهمه لما يجري، دون معرفته للوجه الذي يراه، أجبر نفسه على إبعاد عينيه عن جيسिका، ومعاودة الابتسام، الآن بدا وكأنه مجبر على الابتسام، بدا كمهرج حزين، نزل كولومبانو عن المسرح، واتجه بسرعة نحو باب القاعة، بينما كان يعبر الصف الأوسط عاود النظر إلى جيسिका.

"سأنتظرك".

خرج الناس من أبواب قاعة الحفلات الموسيقية مبدين إعجابهم بالحفل الذي حضره. ألقى رجل أشقر في مقتبل العمر يرتدي سترة وبنطال جينز نظرة خاطفة على جيسिका، ثم اختفى عبر الممر. بدا مألوفًا، بيد أن جيسिका أبعثت الفكرة عن ذهنها.

بعد دقيقة، خيم الهدوء على القاعة. تجمع المرأة ذات عظام الوجه البارزة منشورات الحفل، وزجاجات المياه، والمخلفات الملقاة على الكراسي. بدت هذه اللحظة مماثلة للسهرة التي جلست فيها جيسिका في القاعة للمرة الأولى منذ بضعة أشهر، حيث كانت تستمع لعزف الرجل الوسيم، وقتها غادر الناس كما فعلوا الآن، بعد ذلك اختفى كولومبانو وحلّ الصمت، تماما كما حصل الآن. لا تسمع جيسिका سوى نبضات قلبها وخطوات المرأة الفظة ترنّ في قاعة الحفلات الموسيقية المهجورة.

بشكل مفاجئ وقفت المرأة خلف جيسिका وقالت بالإيطالية: "لقد سبق لك أن حضرت الحفل!".

ردّت جيسिका بتلقائية من دون أن تلتفت حولها: "لقد سبق لك أن حضرت الحفل". لم تتحدث جيسिका مع أي أحد منذ وقتٍ طويل. لذا، شعرت أن حنجرتها جافة.

بينما كانت المرأة تدخل مجال رؤية جيسिका قالت: "لقد كنتِ.. مع كولومبانو".

قالت جيسिका: "صحيح". لم تعرف كيفية التعامل مع المرأة، أو بالأحرى مع أسئلتها أو مع القاعة الفارغة أو مع أي شيء. لكنها لم تنوِ الاختباء كحيوان مُصاب

هذه المرة، أو التعثر على الطريق المرصوف ليأتي كولومبانو وينقذها. شعرت أنها قوية، فهذه الليلة تعرف أنها في المكان الصحيح، للمرة الأولى منذ أشهر تشعر أنها على قيد الحياة.

رفعت المرأة خصلة شعر متدلية عن جبينها البارز، وألقت نظرة خاطفة على الباب المغلق في نهاية الممر، أخفضت كيس القمامة، ووضعتة بالقرب من قدميها، ونظرت إلى جيسيكا بقلق.

أخيرا قالت لها: "يجب أن تغادري". بدت وهي تقول ذلك بمثابة صديقة تسدي نصيحة، وليست كشخص يطرد آخر.

قالت جيسيكا: "أعلم ذلك". ولم تكف عينيها عن النظر إلى المرأة.
"لا أظن أنك..".

"سأرحل، لقد أتيت لأودعه".

وضعت المرأة أنفها بين راحتي يديها المتشابكتين للحظة. لقد انتهى الوقت، إن كان لديك شيء ما لتقوليه، قوليه الآن.

قالت المرأة بعد طول انتظار: "اسمعي". واقتربت من جيسيكا، وأخفضت صوتها حتى أصبح همسا: "إنني أشعرك".
"ما الذي تقصدينه؟".

بدت مثيرة للشفقة بعينيها الكثيبتين، تعلم أن مظهرها شنيع، ولا يمكن للفرسان الأسود الذي ترتديه أن يخفي أنها لم تمتلك في الآونة الأخيرة طاقة تتيح لها الاهتمام بمظهرها، كانت المرأة قد رأت كثيرا للتعرف أن ما تعاني منه جيسيكا هو بسبب كولومبانو فهي لم تكن الأولى.

قالت المرأة: "أعرف، أنه ليس من شأني" جلست على أحد المقاعد، واختلست النظر نحو الباب الذي يبعد عنهما عدة خطوات "لكنك لستِ على ما يرام..".
"صحيح، ليس من شأنك".

لم يبدو شيء من هذه المحادثة حقيقيا، بدت وكأنها تستمع إلى هذه المحادثة عن بعد وليست طرفا فيها. تنهدت المرأة لكن لم يبدو عليها أنها في وارد الابتعاد:

"هذا ما يقوم به كولومبانو، إنه يدمر من حوله".

سألت جيسिका بلا مبالاة: "حقاً؟". شعرت بالألم في ركبتيها، لكنها لم تسمح له بتشتيت انتباهها، بالطبع إنه كذلك أتظننني غبية؟

الآن بدت المرأة في غاية الحزن، شعرت أنها قالت الكثير، وأنها أفصحت عما لا يجدر بها الإفصاح عنه. لكنها ببساطة لم تستطع كبح جماح نفسها: "وأنت هنا لأنك.. لأنك أردت أن تفهمي. لا تفكري بالأمر. لا يمكنك أن تفهمي كولومبانو. هناك خطب فيه. خطب كبير جداً".

جلستا لبرهة بصمت، لم تبعد جيسिका عينيها عن المرأة التي كانت تفكر بالكلمات المناسبة للتعبير عما تود قوله، وكانت تنظر إلى الأسفل.

قالت جيسिका بطريقة خالية من المشاعر: "يبدو أنك تعرفت إليه بالطريقة الصعبة". لقد أمضت معظم ساعات الصباح تحقق إلى صورتها في المرآة، وتحاول الشعور بالتعاطف، والخوف، والشفقة، والأمل. ولكنها لم تستطع الشعور بأي منها.

عضت المرأة على شفتها وكأنها تحاول إيقافها عن الارتجاف: "كلا. أنا أعرفه منذ زمن طويل".

"حسناً، يعني أن حيله لا تجدي نفعاً معك".

حركت المرأة رأسها بما يعني النفي "لقد أسأت فهمي؛ كولومبانو هو أخي الصغير".

في تلك اللحظة، فُتح الباب، وتردد صدى خطوات في الأرجاء.

وقفت المرأة وابتعدت بسرعة، لقد هربت كما يهرب الكلب عندما يضبطونه يفعل شيئاً سيئاً.

أنهت نينا روسكا المكاملة. التقطت بسرعة بعض الصور للوحة، ثم عادت بسرعة إلى الممر. بدا اسم كاميليا أدليركروترز مألوفا بشكل مبهم، وكأن شخصا ما قد ذكره خلال التحقيق، لكنها بالرغم من كل محاولاتهما لم تتمكن من تذكر سياق الكلام الذي ذكر. اتجهت نحو مكتب لوما بسرعة، لكنها تمهلت عندما سمعت أصواتا في الداخل. كان لوما يتحدث إلى امرأة.

طرقت على الباب المفتوح، فتحتة، فرأت امرأة ترتدي معطفا كبيرا وتعتمر قبة صغيرة تجلس قبالة لوما. بدا أنها تبكي، وبدا لوما مصدوما.

سارع لوما إلى التبرير: "أعتذر، إنها.. من الشرطة...".

"روسكا، نينا روسكا".

"إنها زوجتي، إيما لوما".

قالت نينا بقلق: "مرحبا". وأخذت تنظر إلى قائمة الأسماء الموجود على الطاولة أمام إيما والتي تركتها منذ دقيقة، بعدها نظرت إلى إيما التي كانت تنظف أنفها، ولاحظت النمش الذي يغطي خديها الورديين.

قال دانييل بارتباك: "زوجتي طيبة وتعمل هنا".

"ماذا بشأن كاميليا أدليركروترز؟ أهي طيبة أيضا؟".

"أجل، لكنها متقاعدة منذ خمس عشرة سنة".

"هل كانت طيبة روجر كوبونين؟".

"أجل. كاميليا هي مؤسسة هذه العيادة".

نظرت نينا إلى لوما وهو يفرك جبينه. إنها لا تعلم كيف تفسر كل

هذا.

"عليّ أن أذهب".

في طريقها إلى الباب، انتبهت إلى أنها تجاهلت بكاء المرأة فخاطبتها: "أنا آسفة، هل لديك ما تودين أن تخبريني إياه؟".

قالت المرأة بوهن: "أظن أنني أنا المخطئة...".
"ماذا؟".

"أنا من أعطيت كوبونين هذه العقاقير".
"ماذا تقصدين؟".

"لقد كان مقنعا إلى أبعد حدّ".

سألته نينا وهي في طريق عودتها إلى الطاولة: "ما الذي حصل؟". جعلها تسارع الأحداث وكمية المعلومات غير قادرة على التركيز.

نظرت إيما بعينيها الحمراء إلى نينا: "منذ مدة، أتى روجر وقال إنه بحاجة إلى شيء ما، وأن عليّ فتح باب الصيدلية وعض النظر لثوانٍ".
"شيء ما؟!".

"ظننته يقصد المهدئات. كان روجر يأخذها مع الكحول، وهو يعرف أين يجدها، وكنت واثقة أن سيأخذ بعضها من الجيوب للاستخدام الشخصي، لكنني لم أتوقع أبدا...".

"لم أفهم شيئا، لماذا لم تكتبي له وصفة دوائية وحسب؟".
"لأنهما كانا على علاقة غرامية سرية". قال دانييل ذلك بشكل مفاجئ واضعا وجهه بين يديه. تنهد بعمق وأكمل "حسنا. كانت زوجتي تواعد روجر كوبونين. خلافا لميثاق الشرف اللعين، ولجميع قيود القيم".
انتحبت إيما بوداعة: "دانييل..".

"أنصاف الحقائق لا تكفي يا إيما، يجب أن نكون صريحين مع الشرطة".
تنفّست نينا بعمق. يجب عليها التوجه إلى المقر واصطحاب إيما معها. يجب أن يتم التحقيق مع الطبيبة بعناية.

قالت إيما من دون تفكير: "إنني أعرف أين يختبئ".
"ماذا؟ أين؟".

"لديه منزل في لاجاسالو هناك يكتب ويلتقي النساء".

"هل تعرفين العنوان؟".

"لا.. لكني زرته عدة مرات".

"هل بإمكانك إرشادنا إلى الطريق؟".

"بالطبع" مدت إيما يدها عبر الطاولة لتمسك بيد زوجها، لكنه تجاهلها. "لقد

قلت ذلك بنفسك يا عزيزي، لا لأنصاف الحقائق بعد الآن".

للحظة، حبس الزوجان دموعهما.

سألته إيما: "هل روجر متورط بقضايا القتل؟ أهو من قتل زوجته؟".

التزمت نينا الصمت، وهي تدرس خطواتها التالية بغضب. "حسنا، أريد منك

أن ترشدني إلى المنزل الآخر. حالا". بدأت بربط وشاحها حول رقبتها.

"الآن؟".

"نعم، الآن".

"حسنا". قالت إيما وهي تمسح عينيها بطرف كُمها.

نهض دانييل من كرسيه: "سأرافقكما".

قالت نينا: "لا بأس بذلك. ارتديا معطفيكما" وطلبت رقم إرني.

مشى إرني بخطوات واسعة في الممر، وجعلته ذراعه الملتصقتان بجانبه يبدو كطائر عاجز عن الطيران، إن أي حركة ضئيلة لعضلات كتفيه أو صدره تجعله يشعر باللم لاذع في رثته.

وقف بين غرفتي التحقيق، يفكر بأي غرفة يتم التحقيق مع كل منهما، ثم طرق باب إحدى الغرفتين. بعد دقيقة فتح مايكل الباب، بدا مايكل مفعما بالحيوية والنشاط إذا أخذنا بعين الاعتبار الوقت والوضع الحاليين. أغلق مايكل الباب خلفه، للحظة لمح إرني كاي ليتنن قبل أن يغلق مايكل الباب خلفه: رجل أجرد رفيع الوجه يبدو مخيفا تماما كما تخيله إرني.

سأله إرني: "هل حصلت على شيء؟"

"لا حتى الآن، قالت نينا إنك كنت محقا على الأرجح، ربما كان يجدر بنا إبقاؤهما تحت المراقبة لفترة أطول". تحدث مايكل بصوت خافت رغم أن الباب من خلفه عازل للصوت.

"لقد حصل ما حصل. لنفعل ما بوسعنا لنحصل على أفضل النتائج بهذا الوضع. إضافة إلى ذلك يبدو أن نينا قد عثرت على شيء ما في بوليفاردي". جال إرني بعينه في الأرجاء ليتأكد أن أحدا لا يصغي إليهما. "اضغط على ذلك الأحمق بعض الشيء. سأراك بعد خمس عشرة دقيقة في غرفة الاجتماعات". ربت على كتف مايكل.

قال مايكل مهمهما: "يبدو أن هنالك شيئا غامضا".

التفت إرني وقال: "مايكل هل يذكرك اسم كامبلا أدليركروتر بشيء؟"

"ماذا؟ أدليركروتر؟ بوندسورف؟ كل ما ينقصنا هو آل رومانوف".

"هل تعرف ذلك الاسم؟".

"كلًا. من تكون هذه المرأة".

"سأخبرك لاحقًا" قال إرني وأكمل طريقه. سارع خطواته ثم أبطأها قبل أن يدخل إلى مكتب مفتوح، حيث يجلس ستة جامعي بيانات أمام طاولاتهم. توجه إرني إلى امرأة يافعة تنظر إلى شاشة حاسوبها باهتمام. سماعات جهازها الآيفون في أذنها. وضع نسخة مطبوعة على طاولتها، إنها نسخة من الصورة التي التقطتها نينا لتلك اللوحة.

"ابحثي عن المكان الذي تعيش فيه هذه المرأة وهل هي على قيد الحياة؟".

"تبدو وكأنها ساحرة".

"لأجل هذا طلبت منك أن تبحثي عنها".

أسند راسموس سوسيكوسكي ذقنه إلى أصابعه المتشابكة وتأمل مجموعة الصور وبقايا القصاصات النصية المرتبة على الحائط. إن غرفة الاجتماعات ساكنة، ولم يسمع صوت مضغ مايكل للعلكة وتنهيدات نينا، أو صفير يوسف، أو صوت تنفس إرني الخشن أو نقر أظفار جيسिका. إنه لوحده أخيرا. لطالما شعر بقيمة السعادة عندما يكون وحده. عندما كان في كلية الحقوق، كان يفضل الانهماك في كتبه وترك الاختلاط بالناس لأولئك الناجحين بذلك فطريا. إنه شخص انعزالي، لم يشعر أبدا بشعور الانتماء، حتى في عمله.

يعلم راسموس أنه يختلف عن الآخرين بشتى الطرق: فهو انطوائي يعيش قراءة الكتب ولا يميل أبدا إلى التحدث حتى عندما يتوجب عليه ذلك.

لطالما أصابه الذهول في اللحظات، التي احتاج فيها إلى الكلام لتحسين حياته، إنها أكبر مشاكله. لطالما تساءل عن كون فشله بالتعامل مع النساء سببا لذلك أو نتيجة له. كلاهما على الأغلب.

هناك من يطرق على الباب.

"هذا أنت يا سوسيكوسكي".

تدخل ريكا وودورد القاعة، ويبدأ قلب راسموس بالخفقان. لا لكون مساعدة المحقق تحمل معلومات جديدة تتعلق بالقضية، بل لأن راسموس قد طلب مواعدها في إحدى الرحلات البحرية المخصصة لتعزيز عمل الفريق في أكتوبر الماضي، لقد طلب منها ذلك بعدما شجع نفسه بالقليل من الخمر الزهريّ اللون، وقد تلقى رفضا شنيعا بالمقابل.

"أجل؟". ذلك الرد البسيط كاد أن يعلق في حلق راسموس.

"لقد وصل تقرير شركة المياه".

"هل من شيءٍ مثير للاهتمام؟". أبعاد راسموس نظارته عن وجهه المتعرق، وفرك عينيه فبدت الغرفة ضبابية للحظة. هذه ما كان يتمناه. ربما الآن لم تستطع ريكا رؤيته أيضا.

"لقد بحثت عن ارتفاعات بالاستهلاك بحدود 2500 ليتر. إن صعوبة البحث تأتي من كون أغلب الأبنية والمنازل الموجودة في المنطقة لديها عدادات قديمة، من النوع الذي ربما يُقرأ مرة أو مرتين في السنة. لا يمكن التحكم بهذه العدادات عن بعد وتحميل معلوماتها على الشبكة...".

"حسنا؟ هل عثرتِ على أي منها؟".

"أجل، بنغالو في كاتالي. استهلاك المياه فيه يكاد يكون معدوما، لكن منذ خمسة أيام، ازداد الاستهلاك بشكل هائل، حوالي ثلاثة أو أربعة آلاف لتر".
"ماذا...".

"خمّن لمن تعود ملكية البنغالو؟ ماريا كوبونين".

أعاد راسموس وضع نظارته. "أنت تمزحين، كيف فاتنا شيء كهذا؟".

فجأة بدا أنه من الصعب عليه البقاء جالسا. وقف راسموس. "إلا في حال انفجار أحد الأنابيب..".

"وإصلاحه في اليوم نفسه...".

"إنه الأنبوب الذي نبحت عنه. لا شك في هذا. علينا إرسال فريق المهام الخاصة إلى هناك".

فتح راسموس الباب وأطلق ضحكة مريية.

"ما المضحك؟".

"الآن سنقبض على هؤلاء الحمقى بفضل فكرة مايكل اللعنة".

شغلت نينا التدفئة أثناء عبور السيارة الجسر بين هيرتونيمي ولاجاسالو. بدا التوتر بين الطبيين اللذين يجلسان في المقعد الخلفي جليا. مثل جبل جليدي هائل يرفض الذوبان بالرغم من الاحتباس الحراري. نظرت نينا عبر المرآة إلى المرأة الباكية. لم تفهم كيف لطبيبة نفسية أن تنخرط بعلاقة حميمية مع مريضها الذي يعاني من انفصام الشخصية، أو كيف لها أن تساعده على سرقة عقاقير قاتلة من مكان عملها، بغض النظر عما يحصل، فإن مسيرة إيما لوما المهنية انتهت على الأرجح. من الأصعب توقع ما سيحصل لزوجهما، لكن لا يبدو أن النهاية السعيدة ستكتب لزوجهما.

نظرت نينا بطرف عيناها إلى تطبيق الخريطة على هاتفها. يُفترض أن تلتقي بفاني فريق المهام الخاصة المزودين بعتادهم الكامل عند مركز الخدمة في منطقة نيستي في لاجاسالو. من هناك، ستكمل القافلة طريقها إلى ما يُفترض أن يكون مخبأ كوبونين، وسترشدهم إيما إلى الطريق. لن يجازفوا بعد الآن، سيتم التدخل بكامل القوة من الآن فصاعدا.

ظهر اسم إرني على شاشة الهاتف. سحبت نينا الهاتف من مسنده؛ لا تريد أن ترد على الهاتف عن طريق استخدام مكبرات الصوت بينما يجلس الزوجان لوما في المقعد الخلفي يستمعان إلى المكالمات. "أهلا يا إرني، لقد وصلت إلى المكان تقريبا".
الطريق مهجور بشكل كامل ما عدا فان فرقة الدعم القريبة منهم.

"هل يسمعي الركبان اللذان يرافقانك؟".
"كلا".

"جيد. حصلنا على بعض المعلومات الجديدة. وجدت شركة المياه ارتفاعا في الاستهلاك في كايثالي. منذ بضعة أيام فتحت صنابير المياه وذهبت إلى المدينة.

إنه بنغالو للاصطياف باسم ماريا كوبونين. بناء على ما يوجد في الخرائط، شكل البناء مُطابق: أساس حجري، نوافذ ضيقة في الطابق الأرضي. لدينا مخطط للمدينة. يوجد في المنزل قبو كبير".
"اللعنة".

"لا بدّ أنه المنزل نفسه الذي تصطحبنا إليه الطيبة".
"هذا ما يبدو، لكن ألا ينبغي علينا التأكد بشكل كامل؟".
"أريد منك ترك الزوجين بصحبة رجال شرطة في مركز الخدمة. سنكمل نحن مع فريق المهام الخاصة ونداهم البنغالو في كايثالي، إن لم نجد شيئاً هناك فسنعيد تقييم الوضع. من الأفضل عدم إحضار مدنيين إن اتضح أن هناك مسرح جريمة".
"عُلم".

"نظرت نينا في المرأة مرة أخرى، أمسك كل طيب بيد الآخر. للغفران قوة هائلة، خاصة في لحظات كهذه، عندما تكون الفوضى في أوجها، فهو يدفن المشاكل والأحزان القاهرة.

أنهى إرني المكالمة، وفتح رسالة نصية وصلته منذ دقيقة. إنها من جيسيكأ.
"لقد كانت هلمنين تكذب علينا. ستتحقق من شيء ما. سأتصل بك لاحقاً".

جلس راسموس في غرفة الاجتماعات أمام حاسوبه.
قال إرني وهو يجلس إلى جانب راسموس: "اللعنة، هل يعلم مايكل إن نينا تتجه الآن إلى كايآلي؟".

"لا، لا يزال ينتقل بالتحقيق بين الأحمقين، هل طرأ شيء جديد؟".
هز إرني رأسه، وأخرج بعض الحلوى التي تنعش الحلق من جيبه. شاهد راسموس وهو يكتب على متصفح حاسوبه ويظهر موقع عيادة باتري مورغونداغ الإلكتروني. www.battre-morgondag.fi

"ثمّة خطبٌ كبير في هذا المكان إن كان باستطاعة المرضى الحصول منه على عقاقير قاتلة".

"ستواجه تلك المرأة العديد من التهم بسبب ما أقدمت على فعله" أغمض إرني عينيه. متمنيا من أعماق قلبه أن يكون روجر كوبونين في ذلك البنغالو، وأن تبدأ هذه العقدة الجهنمية بالانحلال. إنه يأخذ بعين الاعتبار مستوى القضية، مدى حجمهم الضئيل في هذا العالم. مدى ضآلة حجم الضرر الدنيوي الذي قد تسبب به هؤلاء الحمقى. وكيف سيموتون في النهاية، ويتلاشون في غياهب النسيان. عند إقفال هذه القضية. سيأخذ إرني إجازة مرضية لن يعود منها أبداً.

شعر إرني بألم في ضلوعه؛ همس راسموس بصوتٍ خافت: "انظر يا إرني".
"ماذا؟" فتح إرني عينيه. هو يعرف أنه على وشك أن ينام. لقد استنزف المرض قواه وقدرته على تحمل التعب. قال بوهن: "ماذا هنالك؟".

فتح راسموس قائمة العاملين الموجودة في الموقع، والتي تُظهر صور موظفي باتري مورغونداغ. وضع سبابته بجانب صورة وجه امرأة ذات شعر داكن وابتسامة دافئة.

"ألا تبدو إيما لوما مألوفة.."

"ركّز إرني عينيه على الشاشة التي وجهها راسموس نحوه.

"فعلا.. تبدو مألوفة بعض الشيء. لقد رأينا عددا لا بأس به من النساء اللواتي يظهرن بهذا الشكل في الساعات الأربع وعشرين الماضية". صمت إرني ونظر إلى راسموس. "مهلا.. ما الذي ترمي إليه؟"

للحظة، حدق راسموس إلى الصور كما لو أنه ينتظر أن تغمز له إيما لوما من الصورة، ثم غرز ظفره بين أسنانه. "أنا متأكد تماما.. انتظر". قال هذا ووقف. مشى راسموس ناحية اللوح الكبير، حيث الخريطة الذهنية، التي ألصقت عليها الصور، ومعلومات الاتصال، والاجتماعات.

"ما الذي تبحث عنه؟"

"اللعنة يا إرني إن كان ما أفكر به صحيحا.. اللعنة.."

بترقب شاهد إرني راسموس ينزع صورة من اللوح. ثم يعود إلى الطاولة بخطى غير ثابتة، ويضع الصورة قبالة الشاشة، بجانب صورة إيما لوما. قارن راسموس بدقة بين المرأة التي سحقت تحت الصخور، والمرأة ذات الابتسامة المحايدة على الموقع الإلكتروني.

نظر إرني إلى الصورتين. في البداية، بدت الفكرة مستبعدة، ولكن تبين له أنها مهمة، وفي النهاية شعر أن عليه إعادة ترتيب تسلسل الأحداث.

قال راسموس: "إيما لوما هي السيدة إكس، ضحية هالتيال".

هاجمت رائحة لاذعة فتحتي أنف إرني. بدأ راسموس بالتعرق من

جديد.

تمتم إرني: "لم يُبلغ عن اختفائها مطلقا". كلاهما يعلم معنى هذا. لكن بالرغم من ذلك مرت لحظات من الركون المطلق.

حمل إرني هاتفه بكلتا يديه. يجب أن تكون نينا قد وصلت إلى مركز الخدمة بحلول هذا الوقت، حيث سيكون فريق المهام الخاصة بانتظارها. ستكون بأمان. قال راسموس بصدمة: "لأن... زوجها ميت أيضا". نظر إلى الحقيقة الموضوععة على الطاولة. أسنان السيد إكس. أسنان دانييل لوما.

"الزوجان اللذان قابلتهما نينا ليسا طبيين".

بدأت الثواني التي مرت في الغرفة الهادئة، وكأنها دهر. انبثق إعلان عن علكة نيكوتين من الشاشة. فجأة شعر إرني بالحاجة الملحة إلى التدخين.

قال: "يا إلهي"، وقفز "نينا لا ترد على هاتفها".

طرقت جيسيكا على الباب. وقف يوسف خلفها. شعرت بالسوء لأنها تززع امرأة عجوزا عند الثالثة بعد منتصف الليل، لكن ليس لديهما خيار آخر في هذه اللحظة.

نظرت جيسيكا إلى الباب الأخضر وإطاره الأبيض الزاهي. بدا أن الطلاء جديد بشكل مفاجئ. بدا المنزل الخشبي المزخرف الذي يقع عند أعلى التل، وكأنه ينتمي إلى مكان ووقت مختلفين. حتما إنه من أقدم المنازل في كولوزاري، كأنه استحضارٌ للماضي. رأت جيسيكا ضوءا عبر النافذة الصغيرة عند المدخل. ثم سمعت صوتا قلقا عبر الباب.

"من هناك؟"

"الشرطة. المحققان نيمي وبيبل. كنا هنا الليلة الماضية."

للحظة، بدا أن ساكنا لم يتحرك، ثم فُتح الباب ببطء، وقفت العجوز عند المدخل، بدت خائفة وناعسة، ترتدي رداء أزرق فاتحا فوق منامة من اللون نفسه. قالت: "إني أتذكر كما" لكنها لم تفسح لهما المجال للدخول، حرّك الهواء البارد غرة شعرها المجعدة.

"أسمحين لنا بالدخول سيدة أدليركروتر؟ إنه أمر مهم."

"ما الأمر؟"

"أسمحين لنا بالدخول؟". كررت جيسيكا سؤالها وهي تحافظ على هدوئها، وتومئ نحو الردهة في الداخل.

قالت العجوز بغضب: "بحق الرب، أترين الوقت مناسبا". وأومأت لجيسيكا

كي تدخل.

"أعتذر لإيقاظك بهذه الطريقة، لكنه أمر طارئ".

قالت السيدة أدلير كروتز: "بالتأكيد". بينما كان يوسف يغلق الباب خلفه.

كانت جيسيكا على وشك أن تتحرك عن ممسحة الأرجل عند الباب عندما أشارت لها السيدة أدلير كروتز بإصبعها "رجاء هلاً خلعتِ حذاءك؟".

ردت جيسيكا بتجهم: "أنا... بالطبع". منذ ليلة مضت، كانت آراء السيدة أدلير كروتز بشأن هذا الموضوع مختلفة تماما.

"يجب عليّ أن ألقى نظرة أخرى على غرفة نومك".

"لا يمكنك رؤية الكتابة من هناك بعد الآن...".

"أيا يكن الأمر ما لم يكن لديك منع أود أن ألقى نظرة". خلعت جيسيكا حذاءها، ووضعت الفردتين جنباً إلى جنب على ممسحة الأرجل. أشعرت رائحة الخشب جيسيكا بالكآبة.

قال يوسف: "سأنتظرك هنا"، وهو ينظر إلى حذائه. كان أكسل من أن يفك أربطة حذائه ثم يعود ويربطها من جديد.

قالت جيسيكا: "حسناً" والتفتت إلى السيدة أدلير كروتز التي بدت منزعجة وهي تربط رباط رداؤها حول خصرها بإحكام.

"بحق الرب، هيّا نصعد إذا".

سألت وهما تصعدان السلم ببطء: "هل من تطورات في القضية؟". فأخذت جيسيكا تنظر إلى الصور المعلقة، أغلب الصور بالأبيض والأسود كتلك المعلقة في الطابق العلوي.

أجابتها جيسيكا: "اطمئني سيدتي. سنحل هذه القضية". بدت غير متأكدة من السبب الذي جعلها تعطي العجوز وعودا زائفة. صرّ الدرج تحت قدميها، وسمعت العجوز تتأب أثناء صعودها البطيء على الدرج. أخيراً رأت جيسيكا ضوءاً عبر الباب المفتوح في نهاية الردهة.

تمتت السيدة أدلير كروتز: "تريدين أن تلقي نظرة أخرى على منزل آل كوبونين...".

قالت جيسيكا، وهي تسير خلف العجوز نحو غرفة نومها: "أريد أن ألقى نظرة من نافذة غرفة النوم، وبعدها سندعك تخلدين إلى النوم".
"حسناً، تفضلي. السرير غير مرتب، لا بد أنك تعرفين السبب".
ابتسمت جيسيكا للعجوز ودخلت الغرفة. توجهت ببطء نحو النافذة وأخفضت أصابعها نحو الإطار.
لقد فاتهم الشيء الأكثر أهمية...

بدأت الجدران البيضاء في مكتب إرني وكأنها تضغط على طاولته حيث يجلس، إنه يضع جهاز اللاسلكي على أذنه. لديه اتصال مباشر مع شبكة هاتف خاصة بالسلطات. يشبه الجهاز الهواتف المحمولة الخاصة بالمهمات السرية التي تعود إلى حقبة التسعينيات، يشير العرق الذي يقطر على خديه إلى التوتر الذي يشعر به واشتداد المرض على جسمه مما رفع حرارته مجدداً. لا بد من أن حرارته تتجاوز 38 حالياً. إلا أن هذا لا يصنع فرقا. الآن وبعد أن تلقى حكمَ إعدامه، باستطاعته التوقف عن قياس حرارته.

قال الصوت الذكوري الخافت الصادر من سماعة الهاتف والذي يعود لقائد فريق المهام الخاصة. "كيف تريد المضيّ قدماً؟". نينا، التي جعلها إرني منذ بضع دقائق الضابط المسؤول عن العملية في الميدان، لم تصل إلى الموقع ولا ترد على هاتفها. حدق إرني لثوان بموقع البنغالو المُحاط بصفوف من رافعات البناء، التي ستعود للعمل بعد بضع ساعات. أمسك هاتفه ونظر إلى راسموس، الذي كان ينظر إليه بقلق من الجهة المقابلة للطاولة، وهو يشبك ذراعيه أمام صدره ويخفي أصابعه في طيات سترته. يجب على إرني إرسال فريق المهام الخاصة بحثاً عن نينا، ليس باستطاعتها الابتعاد في سيارتها السكودا الحمراء.

سأل إرني: "هل لديك العنوان؟". وهو يتكلم عبر اللاسلكي بصوت مرتجف؛ إن هذا القرار هو الأصعب في مسيرته المهنية
"أجل".

"تقدم وفقاً للخطة. أخبرني بما يحصل لحظة بلحظة".

"علم".

وضع إرني جهاز اللاسلكي على الطاولة، وأمسك هاتفه.

"أريدك أن تقدم بلاغا عن ضابط شرطة مفقود حالا يا راس. أريد من جميع الدوريات المتواجدة البحث عن سيارة السكودا الخاصة بنينا، التي هي في لاجاسالو على الأغلب. لقد أخبرتنا نينا بأنها في المنطقة المجاورة لنقطة الالتقاء".

"علم".

نهض راسموس عن كرسيه بسرعة كبيرة على غير العادة.

"راس، دع مايكل يأتي إلى هنا. عليه التوجه إلى الميدان".

حرك راسموس رأسه موافقا واختفى عبر المدخل.

ضغط إرني الهاتف على أذنه مجددا، واستمع رنين الهاتف. اللعنة يا جيسيكا!

ما الذي يجري بحق الجحيم؟ فرك صدره ليبطئ من خفقان قلبه المتسارع. اتصل بيوسف. ما من إجابة. إن الأمور مريبة بشكل كبير.

على رسلك. سيعاود أحدهما الاتصال بك في أي لحظة. إن يوسف وجيسيكا

معا. هما ليسا في خطر.

لِمَ لم يكن أكثر حزما بقراره إبقاء جيسيكا في المنزل وتحت الحراسة حتى يتم

حل هذه القضية غير المسبوقة.

ستتصل جيسيكا أو يوسف، خلال دقيقة.

قال راسموس وهو يقف عند المدخل: "إرني. لقد أبلغت عن فقدان ضابط

شرطة. هناك حادث مروري على الجسر بين لاجاسالو وهيرتونيمي".

"جيد. ماذا بشأن مايكل؟"

"لم أراه..."

"اعثر عليه، اللعنة!". أنهى إرني تدمره بكحة. ومن جديد اختفى راسموس عبر

الممر.

وضع إرني أصابعه فوق لوحة المفاتيح الخاصة بحاسوبه، ثم كتب باتري

مورغونداغ هلسنكي في محرك البحث، وفتح قائمة أول نتيجة للبحث. فتح قائمة

الموظفين وانتقل من دانييل ثم إلى إيما لوما. غمره إحساسٌ بالغثيان.

الزوجان لوما ميطان. لقد أخذ دانييل لوما إلى سافونلينا أول من أمس في سيارة تورستن كارلستيدت وهو على قيد الحياة، هذا ما أكده الطبيب الشرعي. أوقفوا سيارة سانا بوركا، وأضرموا النار بسانا ودانييل معا. في هذه الأثناء، نشر أحدهم الحمض النووي الخاص به في مستحضرات العناية الشخصية التي تعود لروجر في منزل آل كوبونين. على الأرجح اختطفت إيما في الوقت نفسه الذي اختطف فيه زوجها، واقتيدت إلى هالتيالالا. في النهاية، بغض النظر عنهما هذان الشخصان، لقد دخلا مكاتب باتري مورغونداغ في بوليفاردي وكان معهما مفاتيح الزوجين، ثم اتصلا بالشرطة، وقابلا نينا. والآن...

لقد تداعى كل شيء.

فتح إرني قائمة "حولنا" في الموقع، وقرأ موجز تاريخ المؤسسة المعروف في القائمة.

نختص في مداواة المرضى النفسيين ومعالجتهم، تتم إدارة باتري مورغونداغ من قبل مؤسسة تحمل الاسم نفسه أسست عام 1959.. رئيسة مجلس الإدارة والطبيبة النفسية كاميللا أدليركروتز، حائزة على شهادة دكتوراه.. أساليب العلاج متعددة، صيغ علاج خالية من الأدوية.. نموذج علاج بطريقة الحوار المفتوح. إن هذا التاريخ الشامل مرصع بحزم من الصور بالأبيض والأسود. الصورة الموجودة في الأعلى هي صورة للعيادة الأولى، فيلا مورغون. ثم لوحة لمؤسسة المؤسسة تعود إلى حقبة الستينيات، يبدو وجهها تماما كما يبدو في اللوحة، فقط بخلفية مختلفة.

صدر عن جهاز اللاسلكي: "ست دقائق ونصل إلى الهدف".

أكد إرني على استلامه للرسالة، وغطى وجهه بأصابعه.

لقد فاتهم الشيء الأكثر أهمية..

"ما الذي يُفترض بي رؤيته من هنا بحق الجحيم؟"

عضّت جيسيكا على شفتها، وحاولت أن تركز. إنها منهكة، لكنها ستبقى هنا تنظر إلى خارج هذه النافذة اللعينة حتى الفجر إن كان هذا سيساعدهم في حل القضية. إن عبارة ماليوس مالفركاروم التي كتبت على سطح آل كوبونين أوشكت على التلاشي بسبب ارتفاع الحرارة، وطبقات الثلج الطرية، وحركة رجال الأدلة الجنائية. تبدو كالكتابة على الجدران التي حاول أحدهم مسحها والرسم فوقها. ترى الشارع، والمنازل المجاورة، ترى فناء آل كوبونين الكبير والبحر المتجمد، والجزر الممتدة على مئات الأمتار، ما الذي فاتهم بحق الجحيم؟

نظرت جيسيكا إلى الشارع خارج منزل آل كوبونين، حيث قامت بمطاردة الجاني الذي يرتدي رداء العمل الأبيض المؤلف من قطعة واحدة، بدا لها السياج المسنن الذي كساه الجليد كما لو أنه شخص بقرنين رفع يده محييا إياها في الظلام.

شيئا فشيئا انتبهت إلى أن إضاءة الغرفة تحول دون قدرتها على الرؤية بوضوح، في الخارج امتزج كل شيء بشكل يشتم الانتباه مع انعكاس غرفة نوم السيدة أدليركروتز: السرير، المرأة، طاولة الكتابة، الكرسي. السجادة الفارسية، الثريا الصغيرة، السيدة أدليركروتز وهي تقف عند المدخل، حتى جيسيكا نفسها.

سألت جيسيكا العجوز: "المعذرة سيدتي، هل بإمكانك إطفاء المصباح، لدقيقة فقط؟". محاولة التركيز على ما هو خارج النافذة، مضت ثوان لكن شيئا لم يحدث.

"هل يمكنك إطفاء المصباح لدقيقة فقط؟".

نظرت جيسيكا مرة أخرى إلى انعكاس العجوز في النافذة. ثم إلى انعكاسها. بدت الصورة المنعكسة في المرآة ضبابية، كنسخة فاشلة تمثل امرأة اسمها جيسيكا فون هيلينز. امرأة غير موجودة. بدا تجويفا عينيها كصحنين أسودين كبيرين، كبئر عميقة تؤدي إلى مكان مظلم وغريب. رأت قرنين ينبثقان من رأسها، ثم رأت فتاة تستلقي على السرير في غرفة الفندق في مورانو، شعرت وكأن جميع خلايا جسمها تحترق، من أصابعها حتى قدميها، وكأنها تستلقي في وسط الجحيم. تنظر إلى السقف، إلى التفاصيل المزخرفة في الجص، كارهة نفسها وحياتها. لا تحتمل حقيقة كون ثروتها طائلة لا تهون عليها من الأمر على الإطلاق، بل على العكس، فكل شيء تلمسه ينقلب إلى شؤم. شعرت جيسيكا بسكين تقطيع اللحم الذي قدم لها في غرفة الفندق على معصمها؛ شعرت بنوع من الراحة لإدراكها أنها تستطيع وضع حد لكل هذا في أي لحظة. كل ما يتطلبه الأمر هو حركة صغيرة لترتاح راحة أذلية في جناح هذا الفندق البائس في هذه المدينة ذات الرائحة التنتنة كسوق السمك. غمرت الدموع عيني جيسيكا. ليس بسبب شعورها بالأسى أو الحزن، بل بسبب الخوف.

أدركت الآن أنها أتت إلى هذه الغرفة لترى انعكاسها، كما حصل في الحلم، إنها تنظر إلى المرأة.

التفتت جيسيكا ببطء، وأخفضت يدها إلى قراب مسدسها. لا تزال السيدة أدليركروترز تقف عند المدخل، وقد شابكت ذراعيها عند صدرها. إنها لا تنظر نحو جيسيكا. تنظر إلى غرفة النوم في رضا واضح. ثم أغمضت السيدة أدليركروترز عينيها، واستنشقت الهواء العابق برائحة الخشب والقطران.

سمعت جيسيكا رنين هاتفها إلا أنها لم تجب. إنها على يقين من ضرورة كون يديها على استعداد في هذه اللحظة. عليها الخروج من هنا. لا يزال يوسف في الطابق السفلي.

ازدردت جيسيكا لعابها، وخطت خطوة نحو العجوز: "سنرحل الآن".
"أنت مثل والدتك تماما". الآن ابتسمت السيدة أدليركروترز بلطف.

شعرت جيسيكا بالقشعريرة، ثم شعرت بخفقان قلبها. تمتت: "ماذا؟". وهي تفتح زر قراب مسدسها.

لم يعد يظهر على العجوز النعاس ولا حتى الضعف: "أنت تمتلكين خاصيتها نفسها".

"ما الذي تقولينه؟".

"دماغك المميز هو سبب ما أنت عليه".

"سأذهب الآن. يوسف!" نادت جيسيكا بصوت أجش، لكن لا استجابة من أحد في الطابق السفلي. "يوسف!" نادت من جديد، هذه المرة بصوت أعلى، وتقدمت نحو السيدة أدليركروترز.

سمعت وقع خطوات تتقدم، لم تكن قادمة من السلم بل من مكان قريب، وسمعت صوت صرير باب.

قالت السيدة أدليركروترز: "كانت تيريزا مريضة". في هذه الأثناء أمسكت جيسيكا بمسدسها.

"يوسف!"

"لكنها بالرغم من ذلك كانت تلميذتي الأثيرة". ضحكت العجوز ضحكة خفيفة.

بصوت مرتعش سألتها جيسيكا: "ما الذي تقولينه بحق الجحيم؟". صوبت المسدس نحو وجه السيدة أدليركروترز ونظرت إلى البهو الذي خلفها.

تلميذتي الأثيرة. اخترق وعي جيسيكا اللوحات المعلقة في البهو وبيت الدرج، أحكمت قبضتها على المسدس. قالت: "تحركي!". في اللحظة التي ظهر فيها رجلان في البهو. رأت جيسيكا قرونا ملتفة في البهو المظلم، وانبثقت صرخة من بين شفثتها. أرخت قبضتها عن المسدس وهي تتراجع نحو النافذة.

"يوسف!"

قالت السيدة أدليركروترز: "لن يأتي يوسف". وتقدم أحد الرجلين من خلفها ودخل الغرفة.

"أخفضي هذا المسدس الذي تحمليه.. فهو لم يعد مؤذيا".

شعرت جيسيكا بالذعر؛ سمعت دويا في أذنيها، وأصبحت رؤيتها ضبابية، وشعرت بالألم، صوبت مسدسها نحو ساق المسخ الذي يتقدم نحوها ببطء، لكن الزناد لا يتحرك: مسمار الإطلاق معطل. ما هذا بحق الجحيم؟ لقد تحقق ما بكل من المسدس. سقط المسدس عند قدميها. شعرت بذراعي الرجل الضخم تلتفان حولها وبمنشفة مبللة على وجهها. بالرغم من أنها قاومت بكل ما لديها من قوة إلا أنها شعرت وكأنها تغرق تدريجيا في مكان ما عميق جدا، أعماق بركة معتمة لا يمكن لأشعة الشمس الوصول إليها.

كل شيء على ما يرام يا عزيزتي.

نظر إرني إلى هاتفه الصامت وشبك أصابع يديه خلف عنقه. حياة نينا في خطر، حتى لو بحث عنها نصف رجال شرطة هلسنكي، هناك شيء ما في داخله يقول له إن الأمور لن تنتهي على ما يرام. قريباً سيتوجب عليه الجلوس في قاعة الاجتماعات، كي يشرح لمايكل سبب إرساله لنينا في سيارة مع اثنين من الجناة. إنها المرة الثانية في غضون اليومين الماضيين يطلب فيها إرني من أحدهم الذهاب في رحلة مع جان. وأين هي جيسिका بحق الجحيم؟ لم يتلقَّ أي شيء منها منذ أن أرسلت له آخر رسالة نصية. قال صوت عبر الجهاز اللاسلكي الموضوع على الطاولة: "دقيقتان ونصل إلى الهدف".

قال إرني: "علم".

ظهر راسموس عند المدخل. تحولت نظرة القلق على وجهه إلى ارتباك. "ما الخطب؟"

"لم أجد مايكل..."

"ماذا تعني بأنك لم تجده؟"

"لقد.. غادر".

رفع إرني نظارته عن جبينه المجعد: "ما الذي تقوله؟"

خطا راسموس بضع خطوات حتى وسط الغرفة مسدلاً ذراعيه إلى جانبيه. وقال بصوت قلق مرتجف: "هذا ما قيل لي. خرج مايكل مع كارلستيدت ولينتن وهما مقيدان، يبدو أنهم اتجهوا إلى المصعد. قيل لي في الطابق السفلي أنهم خرجوا وهم يرتدون معاطفهم...".

"بحق الجحيم، إلى أين يريد مايكل أخذ المشتبه بهما الرئيسيين في منتصف الليل؟".

"ربما سمع أن نينا في خطر؟ ربما ذهب للعثور عليها".

"وأخذ المشتبه بهما معه؟ أي منطق هذا؟ ثم كيف له أن يعلم بشأن نينا؟ هل أخبرته؟".

"أنا لم أجدته حتى.. ربما اتصلت به نينا بشكل مباشر؟".

"إنه لأمرٌ مريب. سأتصل به".

هنالك من يطرق على الباب، دخلت ريكا وودورد واضعة قلما بين أسنانها وقالت: "ها هي المعلومات التي طلبتها يا إرني". سلمت الورقة إلى راسموس الذي مد يده. اتجه راسموس إلى إرني لكنه توقف، وقرأ بعبوس ما كتب على الورقة.

"كاميلا أدليركروتر؟ رئيسة مجلس إدارة المؤسسة؟".

"لقد طلبت من وودورد البحث عن.. ماذا هناك في الورقة؟" وقف إرني الآن، وهو يميل باتجاه الطاولة مُثقلا بوزنه.

اختفت وودورد عبر الممر، أعطى راسموس الورقة لإرني.

"إنه عنوانها في كولوزاري. إنه مقابل منزل آل كوبونين".

"مهلا... ألقى إرني نفسه إلى كرسيه، وأمسك فأرة التحكم بالحاسوب. فتح صورة من قائمة تاريخ المنشأة على الموقع الإلكتروني يظهر منزل قديم مزخرف بالخشب. فيلا مورغون.

وجه إرني شاشة حاسوبه نحو راسموس. "أيعقل أن يكون هذا المنزل نفسه

الذي دخله يوسف وجيسيكا لرؤية سطح منزل آل كوبونين..."

"العنوان مطابق".

"لكن.. نهض إرني مجددا. أخذ سترته الرمادية، ارتداها، ووضع ذراعيه في

كمي معطفه ذي اللون الأخضر القاتم. "لقد سألت مايكل منذ دقائق إن كان اسم

أدليركروتر يذكره بأي شيء. وقال إنه لم يسبق له أن سمع به".

تردد صدى إشارة من جهاز اللاسلكي. حمله إرني ورفعته إلى مستوى صدره.

إلى المقر الرئيسي.

تمتم راسموس: "لكن مايكل حصل على لائحة بأسماء جميع الجيران من يوسف".

"ربما نسيها".

"أو..".

إلى المقر الرئيسي.

"أتمنى أن يكون هذا ما حصل يا راس". قال إرني ورفع اللاسلكي إلى مستوى فمه.

"المقر الرئيسي يتحدث إليك".

مكتبة
t.me/t_pdf

فتحت جيسيكا عينيها لترى وهج النيران في الظلام. شعرت برطوبة ممزوجة برائحة وقود يحترق تعبر منخريها. الغرفة ساكنة بشكل كامل ما عدا صوت اشتعال ألسنة اللهب في الأعمدة الخشبية.

شعرت بالثقل في جفونها. لكنها لا تشعر بأي ألم. شعرت أنها خفيفة كالفراشة التي تقف على ورقة زهرة الزنبق. على بعد أمتار قليلة، تمتد بطانية حمراء كبيرة على الأرض مغطية شيئاً ما أسفلها.

قال صوت امرأة من خلفها: "جيسيكا فون هيلينز".

أجابت جيسيكا بشكل لا إرادي: "ماذا؟".

"أهلاً بك".

لم تر جيسيكا أحداً. حاولت النظر فافتشفت أن رأسها مقيد إلى دعامة خشبية تحول دون تحركه.

في البداية أيها الإخوة والأخوات.

ثنت جيسيكا أصابعها؛ فشعرت بالقيود تضغط على معصمها.

في هذه الأثناء، ظهرت مجموعة من الأشخاص أنصاف عراة. يمرون بجانب الكرسي الذي قيدت جيسيكا إليه. أربعة، خمسة، ستة بل ثمانية أشخاص. يرتدون معاطف سوداء اللون؛ تغطي القبعات الكبيرة وجوههم. تصدر أقدامهم العارية حفيفاً خفيفاً على الأرضية الحجرية.

لاحظت جيسيكا الآن أنها ترتدي فستان سهرة أسود. وهنا فردتا حذاء أسود عالي الكعب موضوعتان إلى جانب قدميها على الأرض. الآن بدأت الأمور تتضح. شعرت أنها تتنفس بصعوبة؛ فالهواء يعلق في حنجرتها.

"ما الذي يجري هنا؟".

قال صوت المرأة: "حافظي على هدوئك يا جيسيكا". نظرت جيسيكا إلى الجسم النحيل العاري؛ وعلى الصدر المتدلي الممتلئ بعروق الدم الزرقاء الثخينة.

رفعت المرأة يدها الواهنة، وأرجعت القبعة التي تغطي وجهها إلى الوراء. بدت الابتسامة التي ظهرت من وراء هذا اللباس ناعمة وأظهرتها شاردة الذهن. تماما كالشعور الذي شعرت به منذ دقيقة في غرفة النوم.

"أعتقد أننا لم نتعرف إلى بعض بشكل ملائم. أنا كاميليا أدليركروتز". اقتربت المرأة من مكان جلوس جيسيكا على الكرسي. ظل الباقون ثابتين في أماكنهم. جالت جيسيكا بعينيها على الأجسام العارية. هناك مجموعة رجال ونساء.

"ما من شك أن لديك كثيرا من الأسئلة تودين طرحها". شعرت جيسيكا بثقل في لسانها، وبطعم غريب في فمها. أغمضت عينيها. كل شيء مشوش. من الصعب عليها التفكير بشكل سليم.

قالت بلطف: "أريد الخروج من هنا، أريد رؤية إرني". قالت كاميليا أدليركروتز: "أعلم أنه ليس لدينا متسع من الوقت". ثم ابتعدت بعض الشيء مفسحة المجال لجيسيكا حتى تجول بعينيها في أرجاء الغرفة، رأت لوحة معلقة على الحائط لامرأة فاتنة ذات شعر أسود. هل ترينها؟ قد تكون هذه صورتك بكل بساطة".

إنها محقة. إنها تشبهها بطريقة مدهشة.

"لكنها ليست صورتك، بل صورتي". انقشع بعض الدفء الذي كان في صوتها. همست جيسيكا: "أريد الخروج".

"تريدين الخروج. المشكلة يا جيسيكا، هي أنك لا تعرفين ماذا تريدين، أنتِ مثل والدتك تماما". اتجهت كاميليا أدليركروتز نحو جيسيكا وجثت أمامها.

"كانت روحها جميلة وظاهرة، لكنها كانت أيضا حمقاء عنيدة انقلبت ضدنا". قالت جيسيكا وقد لاحظت أنها أصبحت تتنفس بسرعة وصعوبة: "لا أفهم ما الذي تتحدثين عنه".

"أنا متأكدة من أنك لا تفهمين شيئاً يا عزيزتي. كيف لكِ.. " رفعت السيدة أدليركروتز يدها الواهنة والمجعدة في الهواء إلى جبينها بطريقة مسرحية، ثم مست بها شعرها الرمادي.

"إننا نمثل غدا مشرقا. إن كلا من الإخوة والأخوات الذين يقفون أمامك الآن أقسموا على حماية المذهب حتى الموت".

تمتمت جيسيكا: "ماذا بحق الجحيم...".

"هل لك أن تكمل من هنا، يا فراتر؟".

أغمضت كاميلاً أدليركروتز عينيها، وارجع الرجل الواقف عن يمينها قبعته إلى الوراء كاشفا عن وجهه. بالرغم من أن جيسيكا لم يسبق لها أن رأت هذا الرجل إلا أنها تعرفت إليه.

إنه روجر وحدقتا عينييه واسعتان مثل صحنين ووجهه أحمر ساطع. يبدو وكأنه على وشك الانفجار في أية لحظة.

سمع إرني كلمات الرجل لكنه لم يرد أن صدق: "أعد مجددا من فضلك".
"الموقع خالٍ".

رنت الكلمات في أذني إرني. فاحت رائحة البصاق الناشف من مكبر الصوت في جهاز اللاسلكي، ولاحظ إرني تسارع نبضه. "ماذا بشأن الأنوب؟".

"ليس هنالك من أنبوب، القبو مليء بالخردوات".
"ماذا بحق الجحيم...".

"للهولة الأولى، ظننت أنه ليس المنزل المطلوب".
قال إرني بصوت خافت: "يجب أن يكون المنزل المطلوب".
"سنلقي نظرة في الجوار" يقول الصوت المنبعث من اللاسلكي.
"علم".

أخفض إرني جهاز اللاسلكي ووضع على الطاولة، تسارعت نبضات قلبه بشكل كبير. رن الهاتف الموجود على الطاولة مجددا. الخط الداخلي. ظهر رقم آخر على شاشة هاتفه النقال. لونكفنيست. من مجلس الشرطة الوطنية. "ما الذي يجري هنا بحق الجحيم؟" تمتم إرني وذهنه مشتت لدرجة جعلته لا يجيب على أي من الاتصالات.

أجاب راسموس المنغمس في هاتفه: "أعتقد أنني أعلم".
"ماذا الآن؟".

"هناك فيديو جديد على الإنترنت... هذه المرة على الإنستغرام". يتقدم راسموس نحو إرني حاملا هاتفه في يده.
"ما هذا بحق الجحيم؟".

سرير مستشفى في غرفة مضاعة بشكل خافت، تستلقي عليه امرأة جميلة ذات شعر غامق.

"هل هذه.."

"إنها لورا هلمنين".

ظهر سيل من التعليقات في أسفل الشاشة.

سأل إرني بصوت خافت. "هل هذا بث مباشر؟". يُسمع دوي رنين الهواتف في مكتبه وكأنه قادم من مكانٍ آخر.

"أجل.. عنوان الموقع (@malleusmaleficarum...)"

"إن أحدهم يرسل بثًا مباشرًا من غرفة هلمنين، ما الذي يفعله الحارس

الشخص؟" ثم تذكر إرني رسالة جيسيكا. إن هلمنين تخدعنا.

يشير إلى الأرقام الظاهرة في أسفل الشاشة. "ما هذا الرقم؟".

"إنه عدد المشاهدين في هذه اللحظة".

"بحق الجحيم.."

يشاهد البثّ مئات من الآلاف. (#malleusmaleficarum). هنالك مئات

التعليقات، أغلبها باللغة الإنجليزية.

"إن التعليقات هي استجابة لشيء ما قالته في بداية الفيديو".

"هل يمكنك إرجاع الفيديو إلى الوراء...".

لكن في تلك الثانية، ظهر رجلٌ مفتول العضلات مرتدياً بذلة سوداء في أسفل

الشاشة. يقف الرجل قرب السرير.

"إنه الحارس...".

"صمتًا. اسمع".

علتي مصادرة هاتفك لسوء الحظ.

لماذا؟

تنفيذًا للتعليمات. أين هو الهاتف؟

هنالك على الرفّ

تشير المرأة إلى الكاميرا. ويلتفت الحارس.

"إنه تيو..". يهمس إرني. يعرفه إرني من الحفلات التي تقام في الوزارة. إنه رجل كفؤ، بالرغم من أن جيسيكا تعتقد بأنه مغرور أحمق. يتجه تيو ببطء نحو الهاتف.

"ما هذا بحق الجحيم؟". همس راسموس.

مرت لحظة قبل أن يفهم إرني ما يُلمح إليه راسموس. لورا ليست مستلقية على سريرها لقد تسللت خلف تيو، شعرها الأسود الأشعث يغطي عينيها. "ماذا تفعل...".

وضع إرني يده على فمه.

لقد حصل الأمر بسرعة. مد تيو يديه إلى الهاتف، لكنه توقف فجأة. تتحول النظرة التي تعلقو وجهه من نظرة ثقة إلى حيرة، ثم يبدأ سائل أحمر قان بالتدفق من عنقه.

بعدها لم يعد يظهر على الشاشة سوى صورة لورا هلمنين، تعلقو وجهها ابتسامة مبتذلة.

ماليوس ماليفركاروم.

للحظة، خيم الهدوء على الغرفة، وتمكنت جيسيكا من سماع صوت اشتعال النيران في الأعمدة الخشبية من جديد. ذكرتها رائحة الوقود بطفولتها، بدت كرائحة الإسفلت الذي يتعرض لأشعة الشمس.

قال روجر كوبونين: "أنا الساحرة" وانحنى نحو العجوز، ثم نظر إلى جيسيكا بدهشة.

شعرت من جديد بالخدر في جسدها، كما لو أن سما يجري في عروقها. سألتها وهي تزدرد لعابها: "أنت.. هل قتلت زوجتك؟" وشعرت بالخدر في حنجرتها. "لقد تسببت في ذلك فعليا. لقد حددت مصيرها عندما رفضت اتباع كاميليا. لكي أتعمد".

حاولت جيسيكا بكل ما أوتيت من قوة شد عضلاتها لتتحرر من قيودها، لكن معصمها وكاحليها كانا مقيدين بإحكام إلى الكرسي الخشبي، لقد تغلب الخوف المخدر للأحاسيس.

قالت كاميليا أدليركروترز: "قد يشعرك هذا ببعض الحيرة.. يا عزيزي جيسيكا". ثم أومأت إلى صف الأشخاص الواقفين خلف روجر كوبونين. "عدم فهمك لما نحاول إنجازه هو أمرٌ طبيعي، يتطلب الخوض في تعاليمنا أعواما من الدراسة المكثفة".

"لكن...".

"إن هذا العالم الدنيوي الذي نعيش فيه اليوم، يحاول قمع من وهبهم الله البصيرة. وكما نعرف، فإن القدرة على التفكير بطريقة خلاقة وناقدة، ورؤية الصورة الكبيرة تشكلان تهديدا للمجتمع المنظم، فالمجتمع يعتبر هؤلاء الأشخاص مجانين؛ يتم تشخيصهم مرضيا، ويعطون عقاقير تخمد تفكيرهم. كانت مهمتي في

الحياة التأكد من تسخيرهم لقواهم، بدل تركهم للموت في المستشفيات أو إهمالهم في منازل عائلاتهم".

شعرت جيسيكا بطعم مالح في فمها، إنها دمعة عند زاوية فمها. مسحتها العجوز بيدها النحيلة.

شعرت جيسيكا بتسارع تنفسها، وشعرت بخدرٍ في ظهرها ويلمع في نهايات أعصاب عضلات ساقها. إنها ترى الآن انعكاس شيءٍ يلمع في النار المشتعلة. إنه خنجر.

همست جيسيكا: "هل أنا الضحية السابعة؟ الساحرة الأخيرة؟".

سألت كاميلاً أدليركرو توتز بتعجب: "أنتِ؟ أما زلت لا تدركين سبب إقدامنا على كل هذا؟".

امتلاً أنف جيسيكا بالمخاط، وازداد تنفسها صعوبة، وشعرت بكتلة هائلة تنقل حنجرتها.

"لقد أنقذت العديدين يا جيسيكا، ومنعتُ تسميمَ عقولهم. لم أسمح بتسخيف حياة أي من مرضاي بتشخيص ملفق من قبل من يطلق عليهم اسم المتخصصين. لا أحد يستحق اعتباره مريضاً عقلياً، حتى من تخلوا عني، كوالدتك وروجر هنا".

قالت جيسيكا بصوتٍ خافت: "أمي -" لكن الكتلة التي في حنجرتها كتمت صوتها.

"كان آل لوما من أفضل أطبائنا هنا في باتري مورغونداغ طيلة سنوات. لكنهم ضلّوا طريقهم؛ قاموا ببيع أرواحهم لشركات صناعة الأدوية. كما فعل ألبيرت فون بونسدورف. استحقوا جميعاً الموت، لكنهم لم يموتوا عبثاً، فأنتِ هنا الآن بفضلهم".

"ماذا؟". همست جيسيكا وبدأت بالبكاء.

أخفضت كاميلاً أدلير كروتز ذقنها إلى صدرها، وبدت للحظة وكأنها تصلي، ثم نهضت، ورفعت يدها في الهواء.
"ديتيغو".

عندها بدا نصف العراة الذين يقفون على شكل نصف دائرة برفع قبعاتهم عن وجوههم واحدا تلو الآخر. الرجل الحليق ذو الوحمة التي تلمع على جبهته تورستن كارلستيدت. كاي ليتنن. روجر كوبونين... امرأة جميلة ذات شعر غامق لم تتمكن جيسيكا من التعرف إليها، ولكنها رجحت أن تكون هي التي طرقت على واجهة متجر إيرما هيلي وقتلتها في الليلة الماضية. وآخرهم..
قال مايكل: "أنا أسف يا جيسيكا" شابكا ذراعيه عند صدره.

لم تعد جيسيكا قادرة على التنفس. لأنهم قالوا إن شخصا قريبا منك سيكتشف كل شيء. إنه يراقب ويتحكم بالأمر. شعرت بالحماسة. فجأة بدا كل شيء واضحا: عداد الماء، المسدس، دفتر الملاحظات، حث مايكل لإرني على اعتقال كارلستيدت وليتنن، والطريقة التي أراد بها مايكل أن يرافق جيسيكا في السيارة، كي يتأكد من أن جيسيكا أول المحققين الواصلين إلى موقع الجريمة في كولوزاري، عندما تلقت الدوريات الاتصال.

قالت جيسيكا بلطف: "ساعدني يا مايكل". وشيئا فشيئا تحول شعورها بالصدمة إلى حقد. لكن ما صرخت به من كلمات بدا عديم الجدوى: "أخرجني من هنا، أيها اللعين!".

نظر مايكل إليها من دون أن يرف له جفن: "يا صديقتي لقد آن الأوان لرحلتنا أن تنتهي هنا، لكن رحلتك مستمرة".

"ما هذا بحق الجحيم يا مايكل؟ هل فقدت عقلك؟ هل قتلت...".

ابتسمت كاميليا بحذر وقالت: "هدئي من روعك يا جيسيكا". ثم استدارت ومشت صوب البطانية الحمراء، بدت بشرتها غريبة في ضوء المصابيح، بدت كتمثال جُبَل جصه وسكب فوق أساس أسلاك ملتوية.

انحنت كاميليا أدليركروتر فوق البطانية، وأمسكت بها بأظفارها السوداء، ظهر أسفل البطانية شخصان عاريان.

صرخت جيسيكا بدعر.

قالت كاميليا أدليركروتر: "الخنجر لأجلهما، وليس لأجلك، يا عزيزتي جيسيكا". نهضت على قدميها بصعوبة. "لم يُقدّر لك الموت بل العيش بعد موتنا جميعا".

صاحت جيسيكا: "يوسف! نينا!" لكن أيا منهما لم يجب. كانا على نفس الأرضية الحجرية الباردة التي تضع عليها أسفل قدميها، إنهما ممددان ومغمى عليهما وأعينهما مغمضة.

"صنعت ماريا خمسة فساتين جميلة يا جيسيكا، مطابقة تماما للفرسان الذي ارتدته والدتك في أول حفل جوائز لها في غالا. لم تعلم ماريا طبعاً بما قد تفعله جارتها العجوز بهذه الفساتين، لكنها وافقت على مساعدتي".

تمتمت جيسيكا: "استيقظي نينا! يا يوسف..." لكنها تعلم أن صراخها لن يجدي نفعا.

فجأة سُمع صوت في الأعلى. نظر مايكل إلى أعمدة السقف: "لقد وصلوا". قالت كاميليا أدليركروتر: "أخفت والدتك الكتاب في صندوق خزانة ودائع". وأردفت مبتسمة لجيسيكا: "اعثري عليه".

أرادت جيسيكا أن تصرخ طالبة النجدة، حتى تتمكن الشرطة من العثور على المكان، الذي ربما يكون قبو أحد المنازل الخشبية، لكن صراخها لم يتجاوز حنجرتها، ولم يبدُ أن أحداً من نصف العراة يسعى إلى الفرار.

رأت جيسيكا لمعان الخنجر مرة أخرى، كانت باميليا تحمله بيدها.

"نحن سنبقى هنا. أنتِ ستمضين في طريقك. لأنك مثل والدتك تماما، أنتِ، جيسيكا فون هيلينز، أمنا الساحرة".

سمعت جيسيكا الأشخاص خلفها يبدؤون الغناء. بدا اللحن مألوفاً بشكلٍ
مبهم. ثم سمعت صوت معدن ينغمس في اللحم في مكان ما قريب. انهمرت الدموعُ
على خديها، واجتاحت الحرارة جسدها، وأغمضت عينيها.
إنها الأغنية التي كانت تغنيها أمي في ذلك الصباح.
انظري إلى المرأة يا جيسيكا.

فتحت جيسيكا عينيها، لكنها لم تلتفت إلى الرجل الذي دخل القاعة، منتظرة أن تشم رائحة عطر ما بعد الحلاقة الذي يستخدمه.

قال كولومبانو بنبرة ساخرة: "زيسيكاً". محاولاً إخفاء مفاجأته وارتبائه. فتحت جيسيكا عينيها وتلفتت. نظر إليها كولومبانو واضعاً يديه في جيبي بنطاله الكاكي، وفاتحاً أزرار قميصه الرسمي الأبيض اللون حتى سرّة بطنه تقريباً. قال: "لقد عدتِ إلى البندقية". وأصبحا بمفردهما بعد أن غادرت المرأة التي تعرف جيسيكا الآن أنها أخته.

لاحظت جيسيكا أن صوتها يرتعش: "أنا لم أغانر أبداً".
سألها كولومبانو ضاحكاً: "ماذا؟".
"لقد كنت طوال الوقت في مورانو".
للحظة، هزّ كولومبانو رأسه، وكأن ما تفوهت به جيسيكا ضربت من الجنون. ربما هي مجنونة بالفعل. ليس لأنها استلقت على سرير غرفة الفندق لأشهر غير قادرة على الحركة، بل لأنها عادت.

"أعتذر عن الطريقة التي انتهت بها علاقتنا".
"لا أصدقك".

"أوه يا زيسيكاً. انظري إلى نفسك.. بصراحة تبدين في حالة سيئة. كيف تتحول فتاة جميلة وحسنة المظهر مثلك إلى مسخٍ سمين وقبيح هكذا؟".
"لن أعود أميرتك بعد الآن؟ لم أعد شيئاً تود مشاركته مع أصدقائك؟".
انفجر كولومبانو ضاحكاً: "لم أشاركك مع أحد أبداً".
"أبداً. لم يفعل صديقك شيئاً سوى المشاهدة عندما كنت تغتصبي".
"ما هذا الهراء. هيا بنا الآن. لنخرج من هنا".

"أنا أعلم بأن موت كيبارا لم يكن حادثاً".

"ما الذي تتحدثين عنه بحق الجحيم؟".

"أعرف أنها انتحرت، لأنها لم تعد تستطيع الاحتمال، لأن نرجسيتك تخنق من معك، أنت بارع في أن تشعر الشخص بأنه مهم ومرغوب، لكنك أبرع بتحطيم هؤلاء الأشخاص وتجريدكم من احترامهم لذاتهم وثقتهم بأنفسهم...".

"اصمتي".

قالت جيسيكا: "ولكنني أريدك أن تعرف". امتلأت عيناها بالدموع منذ أشهر، وتلاشى الخدر الذي استحوذ على جسدها وعقلها طيلة أشهر عندما قالت هذه الجملة: "إنني أراك على حقيقتك، أنا أحتقرك، وأختك تحتقرك أيضاً".

قهقهه كولومبانو: "لديك بعض الشجاعة".

"اضحك الآن، كلانا يعلم أنك تمثلي".

"أنت لا تعرفين شيئاً أيتها العاهرة". تقدم نحوها، وأمسك بيدها، وجعلها تقف: "أعرفين ما الذي يجول في خاطري؟ لا بدّ وأنت ما زلت واقعة في غرامي، لذلك لم يكن باستطاعتك المغادرة، وفي النهاية، عدت إليّ كالمدمن على المخدرات الذي يتوق لتذوق جرعة أخرى. أليس كذلك؟ عدت للحصول على المزيد مما تدعين بأنك تكرهينه.. لكنك في الواقع ترغبين به".

قال كولومبانو آخر كلماته وفمه تماماً عند فم جيسيكا، وبصاقه ينتشر في حلقتها. نظرت مباشرة إلى عينيه، وشعرت بتضخم الذعر في داخلها. التفت أصابع كولومبانو القوية حول معصمها، لقد أتت إلى هنا بإرادتها، واضعة نفسها تحت رحمة هذا الرجل الساديّ. لا أحد سواهما في القاعة، ولن يأتي أحد لمساعدتها.

"تعالى" سحب كولومبانو جيسيكا إلى الصف السفلي من المقاعد باتجاه البوابة. ارتطمت ركبتيها بشكل مؤلم بأحد المقاعد فأوقعته، أحكمت قبضتها على حقيبة يدها الصغيرة.

صرخت جيسيكا: "كلا!" ودوى صدى صوتها في المكان المهجور.

أحكم كولومبانو قبضته على معصمها، وشعرت بالارتعاش في أصابعها، في المكان الذي توقف فيه الدم عن المرور. سحبها إلى غرفة أصغر تقع خلف الأعمدة قبالة باب في الجهة الأخرى.

"دعني اذهب!"

"لا تدعي أنك أتيت إلى هنا للتحدث فقط.."

فتح كولومبانو الباب، ودفع جيسيكا إلى الداخل بقوة لدرجة أنها سقطت على وجهها. ألفت نظرة على الغرفة؛ إنها مكتب من نوع ما، تغطي جدرانها إعلانات حفلات قديمة، في منتصف الغرفة هناك طاولة عليها حواسيب، وأريكة بالية، وباب في الحائط المقابل يؤدي إلى الخارج.

سمعت جيسيكا خشخشة في يدي كولومبانو، ثم شعرت بحزام جلديّ حول عنقها.

"لقد أتيت لتعشي معي لتفسيدي حفلي.. لتشتي انتباهي."

حاولت جيسيكا التنفس، تحسست أصابعها الحزام الذي يشتد ضيقه حول عنقها. شعرت بكولومبانو يرفع فستانها الأسود ويقحم أصابعه عميقا في جسدها، صرخت وحملت حقيبتها التي سقطت منها على الأرض. أمسكت حزام الحقيبة بأصابعها.

"أنتِ لا تستحقين أية إجابات.. كنت مجرد فتاة التفتيتها في المقبرة، هل تظنين أنكِ عشيقتي الوحيدة؟ إنكن جميعا مملات وضعيفات وغبيات! تأتين إلى هنا لإزعاجي وسؤالي أسئلة غبية، هل أشعر بالأسف؟ لا، أيتها البقرة الغبية. انظري إلى نفسك. إنكِ عاهرة سمينّة في العشرين من عمرها، لو لم يتوجب عليّ تعذيبك، ما كنتُ لأفكر بلمسك أبدا...".

انتهت جملة كولومبانو بصوت دويّ مكتوم. عم السكون للحظة، ثم صرخ ونهض. شعرت جيسيكا بارتخاء الحزام حول عنقها، ثم انقلبت على ظهرها.

خطا كولومبانو بضع الخطوات متعثرة إلى الخلف، محاولا أن ينظر حوله، لمح مقبض السكين المغروس في ترقوته، ثم بدأ الدم بالتدفق حول حنجرته إثر

طعتين. بدا للحظة وكأن لديه قرنين، لكن بعد تقدمه إلى الأمام، اتضح بأنه إعلان لأوبرافاوست.

"ما هذا بحق الجحيم...". شهق، وأمسك بمقبض السكين. تقطر الدم من بين أصابعه. تبادل وجيسيكا النظرات باندهاش، كما لو أنهما يريان بعضهما للمرة الأولى في مكانٍ ووقتٍ بعيدين عن التوقع. أن متألما بعد إخراجه نصف السكين. "أيتها العاهرة!"

تلاشى كل المكر والعزيمة من عينيه، ولم يبق سوى الحقد، خطا بضع خطوات قبل أن يندفع بكل ما أوتي من قوة نحو جيسيكا، شعرت بدمه على وجهها، وبأصابعه القوية حول حنجرتها، وبصراخه الصاخب في أذنها. الآن فهمت جيسيكا لماذا عادت إلى هذا المبنى الملعون، لماذا أرادت مواجهة هذا الوحش للمرة الثانية؛ كانت مقتنعة أنها ستفعل ما عجزت عنه خلال الأشهر التي قضتها وحيدة في غرفتها في الفندق. قريبا سينتهي كل شيء.

انخفضت قبضة كولومبانو.

فتحت جيسيكا عينها. اختفى الرجل الذي كان فوقها، بكامل ثقله.

هل أنت بخير؟

لم تتمكن جيسيكا من التعرف إلى الصوت، لكن الكلمات باللغة الفنلندية.

هل أنت بخير؟

سمعت جيسيكا صراخا خافتا من كولومبانو. اقترب منها شخص غريب، تمددت جيسيكا في مكانها، منتظرة أن يعود تنفسها إلى طبيعته. بعد انتظار، مسحت بقع الدم عن وجهها وجلست. كان الحزام الجلدي على الأرض، لكنها لا تزال تشعر وكأنه يخنقها.

تمدد كولومبانو على بعد أمتار منها. وقف رجل إلى جانب جثته، يبلغ تقريبا الأربعين من العمر. إنه الرجل نفسه الذي رآته جيسيكا في وقت سابق ذلك المساء بين الجمهور، يلف أصابعه حول تمثال صغير، هو نفسه على الأرجح الذي استعمله لضرب كولومبانو على رأسه.

"من.. من أنت؟". سألته جيسيكا، ولاحظت كم بدت لغتها الفنلندية غريبة عند نطقها للكلمات، فهي لم تتحدث بالفنلندية منذ زمن.
قال الرجل: "اسمعي يا جيسيكا" ومسح الدم عن جبهته "كان هذا دفاعا عن النفس".

تحدث بهدوء، وبدت لكتته مألوفة بشكل مبهم.
"هل هو...".

"لا أعلم، لا أعلم، اللعنة..".

في تلك اللحظة، ارتخى جسم كولومبانو وسقطت ذراعاها إلى جانبه معلنة موته. بكت جيسيكا بصمت.

أكمل الرجل: "علينا الخروج من هنا". وتلفت حوله بتوتر، توجه نحو الباب الذي أتى منه منذ دقيقة، وتأكد من خلو القاعة، أقفل الباب، واتجه نحو الباب الذي يقود إلى الخارج، فتحه بحذر، أطل برأسه، وعاد إليها.

"لا أظنك تريد البقاء هنا لمناقشة الأمر مع شرطة البندقية، ولا أنا أيضا، علينا العودة إلى هلسنكي ونسيان ما حصل".

"نحن؟.. من أنت بحق الجحيم؟".

"أتيت لأصطحبك إلى منزلك. الناس قلقون عليك".

"من هم هؤلاء الناس؟".

"خالتي".

"لكن...".

قال الرجل وهو يضغط على كتفيها، وتعبق منه رائحة التبغ والويسكي: "جيسيكا". وجهه حاد الملامح، لكن وجنتيه بارزتان وناعمتان. في الوقت نفسه قال بصوت خافت: "هناك مغسلةٌ اغسلي وجهك، ثم اخرجي من الباب. يؤدي ذلك الباب إلى قناة صغيرة. كان الشارع خاليا عندما تحققت منه. لكن تحققي مجددا قبل أن تخرجي. يجب أن لا يراك أحد، مهما كلف الأمر".

تمتت جيسيكا: "لكن ماذا...". نظر الرجل القلق إلى كولومبانو المستلقي على الأرض. عينا عازف الكمان مفتوحتان، تحدقان إلى المجهول.

"سأتعامل مع هذه الفوضى. اذهبي إلى فندقك في مورانو وانتظريني هناك، سأتي عندما أستطيع، ثم سنغادر، أعدك أن كل شيء سيكون على ما يرام".

بكت جيسيكا وهي تنظر إلى الرجل، إنها تدرك أن ما سمعته في صوت الرجل لم يكن لهجة بل لكنة أجنبية: "من أنت؟".
قال: "إرني". وأخرج شارة الشرطة من جيب قميصه: "يمكنك الوثوق بي".

فتحت جيسيكا عينيها، شعرت بالثقل في جفنيها. رأت لوحة لمركب، خزانة حبوب خشبية، بابا عريضا، كرسيًا مدولبا يمكن أن يتحول إلى طاولة تبرج، هنالك تلفازٌ صغير يتدلى من السقف. ورأت وجهها مألوفًا، شعرا مربوطا إلى الأعلى بإحكام، وخصل شعر تنعكس عليها أشعة الشمس المشرقة.

"تينا؟".

ضغطت يدان مجعدتان على يديها. تدرجت دمعة على خدها النحيل.

"من الرائع رؤيتك بعد كل هذه السنوات".

حدقت جيسيكا إلى المرأة ذات الشعر المصبوغ بالأحمر، بالرغم من عمليات شد الوجه العديدة، بدت المرأة طاعنة في السن أكثر مما تتذكرها، لقد تحولت الكبرياء وقوة الحضور إلى هشاشة وكآبة.

"لا يمكنك أن تعرفي كم كنت أفكر بك؟".

"ما الذي تريدينه؟". التفتت جيسيكا نحو النافذة، وخيم الصمت على الغرفة.

لم تجب تينا. يبدو أنها لم تستطع إيجاد جوابٍ على هذا السؤال..

أخيرا قالت: "أريدك أن لا تعتبريني عدوة لك". ومسحت دموعها بمنديل أخرجته من حقيبتها.

هزت جيسيكا رأسها. لم تفهم السبب الذي دفع حالتها لكي تأتي لزيارتها بعد كل هذه السنوات، لقد مرت فترة طويلة على آخر لقاء جمعتهما، حتى أنها ما كانت لتتعرف إلى صوتها لو أنها لم ترَ وجهها.

"لا أعتبرك عدوا، لكنني لا أعتبرك صديقة أيضا، يا تينا". شعرت جيسيكا بضيق في حنجرتها؛ إن نطقها لما تفكر به صعبٌ بشكلٍ مفاجئ.

"لكن... همست تينا، وأومات جيسيكا باستخفاف.

"لم تكن أمي تثق بك". لاحظت جيسيكا أن نبرة صوتها تنخفض إلى حدّ الهمس.

صمتا.

قالت تينا بصوت مرتجف: "أمك كانت مريضة، لقد كانت من أجمل الناس وأكثرهم موهبة، لكنها كانت مريضة جدا".

استدارت جيسيكا وأغمضت عينيها. لقد سمعت هذا من قبل، لكن لم تتذكر أين: "ما الذي تعنيه بمريضة جدا؟".

للحظة، بدا أن تينا ستراجع وتمتنع عن الإفصاح عما يدور في ذهنها، ستحتفظ باعترافها للثلاثين سنة القادمة. لكن تنهيدة عميقة جعلت كلماتها متلعثمة. "كانت أمك مريضة، سُخِصت في سن صغيرة بانفصام الشخصية". بعد أن قالت ذلك بدت مرتاحة، وهذا ما أظهرته ابتسامتها الرقيقة، البداية هي دائما الجزء الأصعب. "لكن بفضل الأدوية، كان بمقدورها عيش حياة طبيعية، وكونها ممثلة غاية في البراعة، ربما ساهم ذلك في التغطية على مرضها، بالإضافة إلى أنه في حقبة السبعينيات لم يكن بإمكان عائلة سويدية الأصل تنتمي إلى طبقة أرستقراطية راقية مثل عائلة فون هيلينز أن تعلن أن ابنتها مريضة بمثل هذا المرض. لإبقاء الأمر سرا، عولجت تيريزا في عيادة أمراض نفسية خاصة تديرها كاميليا أدليركروتز".

"لكن.. همهمت جيسيكا، شعرت بثقل ينتشر من بطنها إلى صدرها.

"إن لم تأخذي بعين الاعتبار نوبات الجنون والغضب المفاجئة، يمكنك القول إن تيريزا عاشت حياة هادئة وجيدة. كانت تيريزا قد انتسبت إلى الأكاديمية المسرحية وقُبلت، وفي مدة قصيرة انطلقت في مهنة التمثيل، التي وكما تعرفين، لا تتناسب مع المبادئ الفنلندية. التقت تيريزا والدك، الذي كان يعمل في مسرح مدينة هلسنكي كمصمم مسرح، ولدت أنتِ بعد ذلك بفترة قصيرة، وبعد سنتين وُلِدَ توفى. ثم انتقلتم إلى الولايات المتحدة". ارتشفت تينا بعض الماء من كأس بلاستيكية. التجاعيد الموجودة على حنجرة تينا تُدَكِّر جيسيكا بالزائدة اللحمية الموجودة في عنق ديك الحبش.

"لماذا تخبريني بكل هذا الآن؟".

"لم يرد والدك الذهاب إلى الولايات المتحدة، شعر أن الخيار الأفضل كان البقاء في هلسنكي، وكان مقتنعا بذلك. من أجل صالحك أنتِ وتوفي فقط. في ذلك الوقت ورث والدك مالا كثيرا، وبالتالي لم يكن أي نجاح مادي ليحدث فرقا يذكر".

"أرادت أُمي أن تحقق حلمها...".

"لم يكن ذلك هو السبب الرئيسي، أمك رحلت لأنها خافت البقاء".

"مم كانت خائفة؟".

"من كاميليا أدليركروتر". صممت تينا لبرهة. صدر صوت خشخشة عربية عشاء خدمة الغرف من الممر. "صرفت أدليركروتر النظر عن ادعاءات تيريزا وقالت إنها واهمة، لم تكن كلماتها في صالح أمك. بإمكانك تخمين من صدق الناس، مريضة فصام أم طبيبة نفسية".

"لكن.. ما الذي قالته أُمي؟".

نظرت تينا إلى جيسيكا لفترة طويلة، تمهمم وكأن كل ما يحدث هو محض خيال.

"تمارس أدليركروتر السحر في قبو منزلها، وجعلت تيريزا تشارك في تلك الطقوس حيث أُغرقت في الماء وأُجبرت... انفجرت تينا بالبكاء بصمت، وجالت بعينيها في أرجاء الغرفة التي تنيرها أشعة الشمس، مسحت أنفها، واستجمعت أفكارها.

"عندما كبرت، رفضت والدتك إجراء أي جلسات علاج، لكن أدليركروتر لم تتركها وشأنها. كانت تيريزا تقول إن هنالك أشخاصا يتبعونها في الليل، وبأنها كانت تتلقى اتصالات غريبة، وأنهم هددوها بفعل شيء سيئ إن لم تعد".

"أشياء قد يقولها شخص يشعر بالهلع".

"بالضبط. لا أعلم إن كنت تلومين والديّ لعدم أخذ اتهامات تيريزا على محمل الجد. لهذا أرادت أن ترحل، إلى أبعد مكان ممكن".

"هل أخبرت أبي بذلك أيضا؟".

"لم ترد تيريزا أن يعرف والدك الحقيقة. لقد اكتشف أبوك وضع أمك المتزعزع مع الوقت، لكن لا أعتقد أنه كانت لديه فكرة عن سبب تقلبات المزاج المفاجئة، ووجد نفسه عالقا في الأمر".

"من أجلي أنا وتوفي؟".

"بالطبع! أنا واثقة من أنه أحب تيريزا أيضا". قالت تينا، ثم شربت ما بقي من ماء في كأسها. "كل ذلك النجاح.. حياة تحت الأضواء وعلى السجادة الحمراء.. لست متأكدة إن جعل هذا حياة والديك أصعب أو أسهل في النهاية، لكن أصبحت الأمور صعبة جدا خلال سنوات مما جعل والدك يقرر الانتقال".

تسارع نبض جيسيكا، وشعرت فجأة بجفاف في حلقها: "ذاك الصباح..".

"في الليلة قبل الحادث، تلقيت اتصالا من أبيك الموجود في لوس أنجلوس. لم أسمع أي شيء عنهما منذ زمن، وفاجأني هذا. لقد بذلت أمك ما بوسعها لتظهرني أنا وعائلة فون هيلينز بأكملها على أننا أشرار، لكن مع ازدياد صعوبة الحياة في المنزل، بدأ أبوك يدرك أن المشكلة الحقيقية ليست فينا. أخبرني باختصار أن زواجه قد انتهى منذ وقتٍ مضى، وبأنه وقع في حب امرأة أخرى، وبأنه سينتقل إلى بالو ألتو ليعيش مع تلك المرأة. كانت أمك منهمكة بالتحضيرات لتصوير فيلم جديد، وأمل أبوك أن يصحبكما معه، لكنها رفضت بشدة. على أية حال، اتصل بي، وتوسل إلي كي آتي وأساند أختي في رعايتكما".

"سافرت إلى لوس أنجلوس؟".

"بالطبع، فتيريزا أختي. لكنني وصلت متأخرة للأسف..".

قالت جيسيكا: "وحصل ما حصل". نظرت خارج النافذة. كان الجليد قد شكّل نجمة سيربالية على زجاج النافذة.

"عندما حصل ذلك، كنت في الطائرة... في طريقي إلى نيفادا، على وجه التحديد". مسحت تينا دمعها بإبهامها. "لم أعلم بما حصل إلا عندما كنت جالسة في المقعد الخلفي لسيارة أجرة عند بوابة بيل إير. في النهاية، حضرت الشرطة،

وشرحت الوضع، وأوصلوني إلى المستشفى. لم يتوقع أحدٌ نجاتك يا جيسيكا..
لن أنسى كم كنت صغيرة، محاطة بكل تلك الأجهزة..".
"إذا كنتِ هناك...".

"كل يوم على مدى أربعة أسابيع، أثناء علاجك. لقد حضر جدّك أيضاً. كان الأمر صعباً حقاً عليهما... خاصة لأن الأمر قد اقتضى أن يودعا ابنتهما الكبرى وعائلتها مرة أخرى بعد هذه الفترة من الفراق، من دون أي فرصة لإصلاح العلاقة، لكنهما لم يعرفا بأن اللوم يقع عليهما لأنهما لم يصدقا ما أخبرتهما به تيريزا عن طرق علاج كاميليا أدليركروتر".

سألتهما جيسيكا: "هل صدقتها؟". نظرت خارج النافذة مجدداً، لقد أشرقت الشمس للمرة الأولى منذ أسابيع.

قالت تينا: "اسمعي يا جيسيكا، أردت اصطحابك معي، لكن ذلك لم يكن ممكناً".

"لأنك لم تحبي الأطفال؟".

"كنت أصغر من أن أتبنى أحداً، وبسبب سرطان الثدي، لم يكن وضع جدتك الصحي مستقراً. كانت عمّتك الخيار المنطقي الوحيد. وبالرغم من أنها لم تكن تحب آل فون هيلينز، إلا أنني كنت أعرف أنها الخيار الأفضل للاعتناء بك. كان آل نيمي أناساً طيبين".

"صحيح. أتعلمين بأنني قضيت جميع أيام حياتي مقتنعة بأن عليّ لعنة ما؟ وبأنني فقدت كلا والديّ؟ من بحق الجحيم يفقد والديه وأخاه وهو لم يتجاوز هذا العمر؟ أنا هنا من يتوجب عليها حقاً أن تكون ساحرة". فقدت جيسيكا السيطرة على دموعها. "هل تظنين أن المال يجعل الأمور أسهل؟".

"خير من يعرف ذلك هو أنا يا جيسي". مسحت تينا على شعر جيسيكا، وتفاجأت عندما لم تنفر جيسيكا منها.

"أنا متأكدة من أنك لا تتذكرين، لكننا حاولنا الاستمرار بالتواصل معك حتى بعد تبني آل نيمي لك. ظننا أنك في أحد الأيام قد تنسين كرهك لنا، وبأننا قد نتناول

المثلجات معا، ونذهب إلى مدينة الألعاب.. ونمرح".

"وعندما توفي زوجك، لم يكن لديك شيء أفضل لتفعله سوى ملاحظتي في البندقية...".

"كان الجميع قلقين يا جيسिका. كان الفصل قد بدأ، ولم يتم دفع نفقات الشقة لجمعية المبنى في تولونكاتو، جامعو الفواتير كانوا يبحثون عنك، توجب عليّ إرسال أحد ليهتم بك".

"لم أنتِ هنا الآن؟".

"لأنك عشتِ ثلاثين سنة من عمرك ولم تعرفي الحقيقة. تطيلين التفكير بجميع النظريات حول الحادث المتعلق بالديك. أنتِ على معرفة بكره أمك لنا. أنا متأكدة من أنكِ سمعتِ بعشرات الأسباب لهذا الكره، ومعظم هذه الأسباب كان بلا شك من نسج مخيلتها، والآن أصبحتِ تعرفين الحقيقة، بأنها كرهتنا لأننا لم نصدقها. كنا نظن أنها مريضة بانفصام الشخصية - لقد كانت بالفعل - ولم نصدق ما أخبرتنا به عمّا فعلته بها كاميلا أدلير كروتز".

حملت تينا حقيبة يدها الرمادية من الأرض، وأخرجت ورقة ملفوفة، نظرت جيسिका إليها للحظة، وفتحتها بحذر.

تقرير حادث اصطدام السيارة في ولاية كاليفورنيا

المكان: لوس أنجلوس، لينكولن بوليفارد 4280. 33، 58، 41، 1 شمال.

118، 26، 08، 9 غرب

الوقت: 7.45 صباحا 05 / 04 / 1993

عم الصمت للحظة؛ توقف هدير الآلات، ولا صدى لوقع خطوات في الممر. أدركت جيسिका أنها كانت تعرف طوال الوقت، لكنها لم ترد أن تصدق. وأنه عند طمر الشخص لشيء بعمق كافٍ في داخله، سيتوارى عن الأنظار لكنه لا يختفي إلى الأبد. شعرت جيسिका بيد أخيها تضغط على يدها بقوة، رأت أمها تنظر عبر مرآة الرؤية الخلفية، لم تكن عينا أمها حزيتين، إنهما مليئتان بالأمل، لاحقت نظراتها نظرات جيسिका حتى تلاقتا، رفعت أمها حاجبها الداكن، ورسمت شفتها ابتسامة،

لقد اختفى الحزن، يبدو وكأن عينيها تضحكان، قريبا سيكون كل شيء على ما يرام يا عزيزتي. نظر أبوها إلى خارج النافذة، استفاق والدها من شروده عندما عبرت السيارة الحد الفاصل على الطريق. يلتف أبوها، يزمجر، ويحاول التحكم بالمقود. قريبا سنكون سعداء من جديد.

ذلك الصمت الذي يستمر ويستمر. صمت لا نهاية له، أبيض اللون وتفوح منه رائحة الإسفلت والإرهاق، الفراغ الذي لحق بها إلى غرفة المستشفى، عندما أصبح لكل شيء معنى من جديد.

طلب مني إرني أن أقول بعض الكلمات اليوم. إنه لشرف عظيم، أخبرته بأنني كنت أخطط لفعل هذا سواء أراد ذلك أم لم يرد.

جميعنا أحببنا إرني، لا يتطلب التعبير عن ذلك خطابا طويلا أو كلمات جميلة. لأن إرني يجلس في مكان ما، ينظر إلى ساعته، وكما نعرف جميعنا، ذلك المشهد كان يربك أيا من كان يتحدث. لهذا سأجعل تعليقاتي مختصرة.

في آخر تحقيق عملت فيه مع إرني كان أحد المجرمين فيه كاتب مشهورا. لهذا السبب- بالرغم من الظرف الذي نحن فيه- أردت أن أحدثكم عن الكتابة.

أعتقد أن كل واحد منا هو كاتب لحياته. نكتب قصتنا من خلال عيش كل يوم بيومه. عن طريق النظر، والسمع، والاختبار، وارتكاب الأخطاء على أمل التعلم منها. قصص البعض تشير لدينا الإعجاب أو الحسد، وبعضها الآخر يثير الشفقة أو الاستهجان.

إن عدد الأنواع الأدبية لا يعد ولا يحصى، وكذلك هو عدد النقاد الذين يشعرون أن من واجبهم نقد الطريقة التي يكتب بها الآخرون قصص حياتهم. أنا نفسي لطالما ظننت أن لا حاجة لكتابي أن يكون من أفضل الكتب مبيعا. يمكن للنقاد فعل ما يشاؤون به. لا يوجد داعٍ لأن تصل قصتي إلى العشرات، أو المئات أو حتى آلاف الناس. بل الجمهور المعين والمحدد هو الأفضل؛ لا أريد أن يكون كتابي تافها لأن قرائني لا يعرفونني جيدا. لهذا كما في أمور أخرى، النوعية أهم بكثير من الكمية. أريد ممن يفتح كتابي أن يقدر ويحترم الكاتب، بغض النظر عما كُتب فيه. أود من الشخص الذي يسأل أن يكمل القراءة حتى لو لم يكن هناك شيء للقول. أود قارئنا مخلصا لنصي. قارئنا مخلصا، إرني كان القارئ، المحرر، ناقد حياتي، لقد كان جميع هؤلاء الأشخاص في شخص واحد. لم نتفق دائما، لكنني

كنت أعلم أنه احترام نصّي. برغم أسلوببي العشوائي والملتوي، بدا وكأنه يعلم دائما ما سيرمي إليه النص، وتلك النظرة المُطمئنة التي كانت تعلو وجهه وهو يقرأه هي في الحقيقة ما دلني على أنني سأكون بخير. حتى مع أخطائي باستخدام علامات الترقيم.

الآن وبعد أن رحلت، يبدو الاستمرار في الكتابة صعبا. لكن هذا بالضبط هو سبب أهمية الاستمرار بالكتابة. تستمر بقية قصصنا لكن قصتك تعيش في داخلهم. شكرا لك يا إرني ورحلة موفقة.

قال إرني بينما وضعت جيسيكا الورقة على الطاولة: "إنني عاجزٌ عن الكلام". مسح كل منهما دموعه، كان خطاب إرني مُرهقا، ومن الواضح أن كل تعبير كان يتطلب جهدا كبيرا.

نظّفت جيسيكا أنفها بمنديل، ثم ابتسمت إلى الرجل النحيل الذي يضع يديه الهزيلتين على مقبضي كرسيه المدولب.

"أنتِ بارعةٌ بالكتابة حقًا يا جيسيكا".

ضحكت جيسيكا بعفوية، وأبعدت شعرها المنسدل عن عينيها. "لا يشعرني ذلك بالسرور، على الأقل ليس الآن".

"شكرا لك لأنك قرأتها لي".

"لقد شعرت.. نهضت جيسيكا وأمسكت بيد إرني "أنه من الضروري أن تسمع الخطاب. لأن الجميع سيسمعونه. لذا فلا أريد أن يفوتك شيء، خاصة وأن الخطاب يتحدث عنك".

ابتسم إرني بين لهثات سعاله وهو يلوّح باستخفاف: "حسنا، سنرى إن كان أحد ما سيحضر".

"بالطبع سيأتون. لا تكن غبيا". ربت جيسيكا على يد إرني. إن المياه تغلي في الإبريق.

صاح صوت أغنية فرانك سيناترا (طربى إلى القمر) من مكبرات الصوت في غرفة الجلوس. إنها أغنية إرني المفضلة.

"هل ترغب ببعض الشاي؟".

"لا شكرا. أرغب بقسط من الراحة".

سألته جيسिका، وبدا القلق في صوتها: "هل أنت متأكد؟ أأعد لك شطيرة؟". لم ترد أن تنتهي اللحظة، بدا إرني هادئا ومطمئنا على نحو مريب وغريب، بدا وكأنه قد تصالح مع العالم من حوله؛ لقد تقبل كم كان دوره صغيرا مقارنة بعمر الكون الأبدى.

"أحتاج إلى التمدد في سريري".

"بالتأكيد.. دعني أساعدك".

أمسك إرني بمعصم جيسिका بلطف مثبتا إياه على الكرسي، وجلسا للحظة بسكون. أخيرا، حدق إلى عينيها بعمق وقال: "جيسिका.. شكرا لك".

قالت جيسिका بصوت مرتعش: "عليك الحصول على قسط من الراحة الآن. سيحضر رجالك إلى هنا في الغد". ابتسم إرني بوهن: "سيأتون لوداعي... لم أرهم منذ فترة طويلة".

نظر إرني إلى يديه، زقرقت العصافير بمرح في الحديقة قبالة الشارع، حيث بدأت الأوراق الخضراء بالنمو في أعالي الأشجار. يبدو الربيع في قمة جماله الآن. أخيرا قال مبتسما: "شكرا لأنك سمحت لي بالبقاء معك هذه الأسابيع". جال بعينه في أرجاء المطبخ الكبير، ثم أغمضهما، بدا جفناه سميكين، وبدا أن فتحهما من جديد يحتاج إلى كثير من الجهد.

ازدردت جيسिका لعابها، ونظرت إلى الخطاب على الطاولة، لن يسمع إرني هذا الخطاب عندما ستلقيه.

سألها فجأة: "هل أحببت ذلك الشاب؟".

"من؟ فوبو؟ أظن ذلك. إنه مرح وغير معقد".

"إن المرح شيء جيد".

"لكن هل هو كافٍ؟".

ابتسم إرني وهز رأسه: "عديني بشيء يا جيسिका".

"ما هو؟".

"لا تنظري إلى الوراء، انظري إلى الأمام فقط.."

".. لأن الحياة توجد أمامنا فقط".

"بالضبط".

صدر صوت طنين قصير، أخرج إرني بجهد جهاز قياس الحرارة من تحت

إبطه.

"هل لديك حمّى؟".

ملأت ابتسامة مليئة بالبهجة وجه إرني: "36.5".

قالت جيسيكا، وهي تقرص خد إرني: "هذا رائع، هيا بنا. يا سيد دافوس.

سأساعدك في الخلود إلى سريرك".

"إن غدا يومٌ جديد".

جيسيكا.

فتحت جيسيكا عينيها. كانت غرفة الجلوس مظلمة. أطفأ المؤقت التلفاز تلقائياً، يشير الوقت في صندوق التلفاز إلى الثالثة والنصف صباحاً. صفرت الرياح في الخارج، جاعلة النوافذ تصرصر.

نادى أحدهم جيسيكا من جديد. إنه إرني صوته وهو في تمام الصحة، ليس صوت ذلك الرجل الضعيف المتألم الذي يعاني من مرض سريع التفاقم، إرني الذي وضعت على قبره باقة زهور.

جيسيكا.

لم تعد جيسيكا متأكدة إن كان هذا صوت رجل أم امرأة. فجأة رأت نفسها واقفة، سقطت المنشفة التي لفتها حول نفسها بعد الحمام المسائي على الأرض. خطت خطوة، ثم أخرى، وشعرت بأن أطرافها خفيفة الوزن، لا يؤلمها شيء. كما لو كانت تتزحلق فوق أرضية خشبية. تحلق، دون أي احتكاكٍ بين الأرض وقدميها، لا تلامس مع أي شيءٍ مادي.

تعالني يا عزيزتي.

إن الشخص المتكلم هو رجل وامرأة في الوقت. قد يكون إرني، نينا، يوسف، تينا، والدها ووالدتها معاً.

مشت نينا باتجاه طاولة الطعام، جلس الأشخاص حولها وغطى القماش الأسود اللامع الجميل منتصف الطاولة، إنه مكويّ ونظيف. الفستان الخامس وبجانبه حذاء ذو كعبٍ عالٍ، لامعٌ وفاخر. لابدّ وأنه أجمل حذاءٍ في العالم.

وقفت جيسيكا ونظرت إلى المرأة. شيء ما ليس على ما يرام. يبدو وكأن انعكاسها في المرأة ينظر إليها مكرراً تحركاتها مع فارقٍ زمنيٍّ قليل، وكأن انعكاسها

بدل أن يكون مطابقا لها، كان يقلدها بشكل عفوي.

انظري في المرأة.

هذه أنا.

بالطبع هذه أنتِ، يا عزيزتي.

رأت جيسيكا بطرف عينها، امرأة في ثوب السهرة الأسود جالسة في مقدمة الطاولة وتقرأ كتابا سميكا. إنني أقرأه أيضا يا أمي. وقفت المرأة ببطء. حركاتها متبسة وآلية، وكأنها دمىة في يدي مُحرك دمى هاوٍ، تشابكت خيوط دميتها. أغمضت جيسيكا عينها، وعندما فتحتهما بعد لحظة، ظهرت والدتها خلفها. إن وجه أمها قميءٌ للغاية. إنه مشوه، من غير الممكن التعرف إليه؛ يقطر الدم من فروة رأسها المحطم، فوق عينها وتجاه ذقنها.

"لماذا تبكين يا عزيزتي؟"

"أعلم ماذا فعلت يا أمي."

"لم أتعمد أن أجعلك تبكين يا عزيزتي."

شعرت بيد والدتها الباردة على جلد كتفها.

"كلا، لا أبكي بسبب ما فعلته."

"لماذا إذن؟"

"لأنني أفهم."

مكتبة

t.me/t_pdf

أنا أنظر إلى المرأة.

مكتبة ٦٢٢

بعد انتهاء روائي شهير من جلسة حوارية حول أعماله الأدبية، يتلقى اتصالاً تبلغه به الشرطة بمقتل زوجته في ظروف غامضة وطريقة مبتكرة. وفي طريق عودته إلى المنزل برفقة ضابطة شرطة، يتعرضان لحادث ويموتان حرقاً. ولكن المفاجأة تتمثل بظهور الروائي المقتول حرقاً في اليوم التالي في محطة المترو. ومن خلال التحقيقات الأولية، يتبين أن هنالك سلسلة من الجرائم تتطابق مع ما ورد في ثلاثية للمؤلف بعنوان مطاردة الساحرات.

من جهة أخرى، تبدو المحققة الرئيسية في القضية مستهدفة بجملة من الأحداث والتي تترافق مع أسئلة تحتاج إلى إجابات حول دور صديق المحققة الإيطالي، والمغزى من ادعاء موت المؤلف وظهوره مجدداً، وهل الأمر مرتبط بالأعمال الأدبية؟ أو مجموعة سرية تمسك بخيوط سلسلة الجرائم هذه لهدف ما؟

t.me/t_pdf

ISBN: 978-414-01-3048-7



9 786140 130487

جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت
في مكتبة نيل وهران كوم
www.nwf.com



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

